

بسم الله الرحمن الرحيم

عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

التناسب في سورة البقرة

إعداد الطالب:

طارق مصطفى محمد حميدة

بكالوريوس أصول الدين من الجامعة الأردنية/ عمان

إشراف:

الدكتور حاتم جلال التميمي

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة

عمادة الدراسات العليا / جامعة القدس

1428هـ / 2007م

التناسب في سورة البقرة

اسم الطالب: طارق مصطفى محمد حميدة

الرقم الجامعي: 20311779

إشراف الدكتور: حاتم جلال التميمي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ:.....

من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

١. الدكتور حاتم جلال التميمي : رئيس لجنة المناقشة
التوقيع:.....
٢. الدكتور إسماعيل الحاج أمين نواهضة: ممتحناً داخلياً
التوقيع:.....
٣. الدكتور عطية صدقي الأطرش: ممتحناً خارجياً
التوقيع:.....

جامعة القدس - القدس

1428هـ - 2007م

بيان

أقر أنا مقدم الرسالة أنها قُدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن أي جزء منها لم يُقدم لنيل أية درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع:.....

طارق مصطفى محمد حميدة

التاريخ:.....

الإهداء

إلى والديّ: سائلاً ربّي أن يرحمهما كما ربياني صغيراً،
إلى أساتذتي: فضل حسن عباس، وأحمد نوفل، وبسام جرار، وإلى كل من علمني حرفاً،
إلى الزوجة والصغار؛ فعلى حسابهم كان هذا المشروع.

شكر وعرفان

لا يشكر الله من لا يشكر الناس

الشكر لله أولاً على ما أنعم فأسبغ وأتم وأفاض، ثم لا يسعني بعد أن من الله تعالى عليّ بإنجاز هذه الأطروحة إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أسهم في مساعدتي على إتمامها، وأخص بالذكر الدكتور حاتم جلال التميمي المشرف على الرسالة؛ لما قدمه من توجيهات قيمة وملاحظات هامة، كان لها أكبر الأثر فيما انتهى إليه البحث.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للأستاذين الفاضلين: الدكتور إسماعيل الحاج أمين نواهضة، والدكتور عطيّة صدقي الأطرش، على تفضلهما بالموافقة على المشاركة في مناقشة هذه الأطروحة، وملحوظاتهما القيمة في تسديد هذا البحث وتقويمه.

وكذلك أتقدم بوافر الشكر والتقدير والامتنان لعدد من الأساتذة الفضلاء والإخوة الأكارم، بما قدموه لي من خدمات جليلة، ما كان لهذا البحث أن يتم ويستوي على سوقه بدونها، وأخص بالذكر أسرة مركز نون للدراسات القرآنية، وكل من بعث مرجعاً، أو قدم مشورة أو نصحاً، ومن ساعد في الطباعة أو الترجمة، أو أي نوع من العون، وهم حسب الترتيب الهجائي:

الدكتور أحمد الشرقاوي/مصر، والأستاذ باسم البسومي، والأستاذ بهاء البكري، والأستاذ تمام الشاعر، والسيد ثائر غيث، والشيخ حسن عثمان، والدكتور حسين الدراويش، والدكتور خالد الحلو، والدكتور خالد علوان، والسيد خليل فرحان، والأستاذ رايق سمور، والأستاذ صابر زيادة، والدكتور صبحي اليازجي/غزة، والدكتور صلاح الخالدي/الأردن، والشيخ عبد الحي حسن السلواي، والأستاذ عيسى وادي، والأستاذ فرج عبد الحسيب المالكي، والأستاذ محمود مهنا، والسيد محيي الدين الخطيب، والأستاذ نزار سليمان، والأستاذ نصر الله الشاعر، والمهندس نظمي الخطيب، والأستاذ يوسف دوقش، والسيد يوسف عواد.

مع الاعتذار لمن قد أكون أغفلت ذكره سهواً، سائلاً الله عز وجل أن يجزي الجميع خير الجزاء.

فهرست المحتويات

.....	بيان
.....	الإهداء
.....	شكر وعرفان
.....	فهرست المحتويات
.....	ملخص الرسالة
.....	مقدمة
.....1	الفصل الأول: التعريف بسورة البقرة والتناسب
.....2	المبحث الأول: التعريف بسورة البقرة
.....3	■ المطلب الأول: أسماء السورة وسبب التسمية لكل اسم
.....5	■ المطلب الثاني: نزول سورة البقرة
.....7	■ المطلب الثالث: ترتيب السورة في المصحف
.....8	■ المطلب الرابع: عدد آي سورة البقرة
.....9	■ المطلب الخامس: فضل سورة البقرة
.....11	المبحث الثاني: التعريف بالتناسب
.....12	■ المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات
.....15	■ المطلب الثاني: القائلون بالتناسب والمشتغلون به
.....27	■ المطلب الثالث: المعارضون والرد على اعتراضاتهم
.....42	■ المطلب الرابع: أهمية علم المناسبات
.....52	الفصل الثاني: أوجه التناسب وأنواعه في القرآن الكريم
.....54	المبحث الأول: أوجه التناسب في الآي
.....55	■ المطلب الأول: أوجه التناسب في الآية
.....60	■ المطلب الثاني: أوجه التناسب بين الآيات

المبحث الثاني: أوجه التناسب في السورة

64.....

66.....
المطلب الأول: التناسب بين المطلع والختام

67.....
المطلب الثاني: التناسب بين مقاطع السورة

69.....
المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية في السورة

70.....
المطلب الرابع: تميز السورة بمفردات وتعبيرات معينة

71.....
المطلب الخامس: التناسب بين الاسم والموضوع

المبحث الثالث: أوجه التناسب بين السور

76.....

77.....
المطلب الأول: بين السور المتجاورة

82.....
المطلب الثاني: بين السور ذات المطالع المتشابهة

المبحث الرابع: التناسب في القصص القرآني

86.....

88.....
المطلب الأول: بين قصص السورة الواحدة

90.....
المطلب الثاني: تشكل قصة جديدة من قصص السورة

92.....
المطلب الثالث: تناسق الشخصية في القصص

95.....
المطلب الرابع: بين اللفظة القرآنية وبيئة القصة

96.....
المطلب الخامس: التناسب بين القصة وواقع الدعوة

المبحث الخامس: أنواع التناسب بين السور القرآنية

100.....

الفصل الثالث: أوجه التناسب الداخلية في سورة البقرة

105.....

المبحث الأول: التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها

107.....

المبحث الثاني: التناسب بين قصص السورة

114.....

114.....
المطلب الأول: محور الإحياء والإماتة

117.....
المطلب الثاني: التناسب بين القصة الأولى والأخيرة

117.....
المطلب الثالث: محور الخلافة والإمامة الدينية

المبحث الثالث: التناسب بين اسم السورة وموضوعها

121.....

.....121.....	المطلب الأول: قصة البقرة
.....123..	المطلب الثاني: حكمة الأمر بذبح البقرة
.....125.....	المطلب الثالث: عبادة البقر
.....133.....	المطلب الرابع: التناسب بين اسم السورة وموضوعها
.....137.....	المطلب الخامس: مفردات تميز سورة البقرة
.....139.....	المبحث الرابع: التناسب بين فواصل السورة وموضوعها
.....140.....	المطلب الأول: من الفواصل الظاهرة والخفية
.....142.....	المطلب الثاني: فواصل البدء والختام
.....144.....	المطلب الثالث: الفواصل والآخرة
.....146.....	المطلب الرابع: فواصل التقوى
.....148.....	المطلب الخامس: فواصل الجذر (كفر)
.....150.....	المطلب السادس: فواصل العلم
.....154.....	المطلب السابع: فواصل الرحمة
.....156.....	المطلب الثامن: فواصل الحكمة
.....157.....	المطلب التاسع: فواصل القدرة المطلقة
.....159.....	المطلب العاشر: فواصل الظلم
.....162.....	المبحث الخامس: الوحدة الموضوعية في سورة البقرة
.....168.....	الفصل الرابع: أوجه التناسب الخارجية لسورة البقرة
.....170.....	المبحث الأول: التناسب بين سورتي البقرة والفاتحة
.....170.....	المطلب الأول: الإجمال والتفصيل
.....173.....	المطلب الثاني: الصلاة
.....175.....	المطلب الثالث: الخلافة بين سورة الحمد والتسبيح بالحمد
.....177.....	المبحث الثاني: التناسب بين سورة البقرة وآل عمران

.....177.	▪ المطلب الأول: التناسب بين فاتحتي السورتين
.....179.	▪ المطلب الثاني: بين فاتحة آل عمران وخاتمة البقرة
.....179.	▪ المطلب الثالث: التناسب بين خاتمتي السورتين
.....180.	▪ المطلب الرابع: تناسب الاتحاد والتلاحم (التوأمة)
.....184.	▪ المطلب الخامس: تناسب الإجمال والتفصيل
.....188.....	المبحث الثالث: التناسب بين سورة البقرة وسورة الفلق
.....193.....	المبحث الرابع: مناسبة السورة لواقع الدعوة الإسلامية
.....198...	المبحث الخامس: التناسب بين البقرة وترتيبها في المصحف
.....198.	▪ المطلب الأول: من حكم مجيء البقرة أول المصحف
.....199.	▪ المطلب الثاني: البقرة أم ثانية للقرآن الكريم
.....202.	المبحث السادس: التناسب بين البقرة والصور المفتحة ب(الم)
.....202.	▪ المطلب الأول: مقارنة ابن القيم في بدائع الفوائد
.....204.	▪ المطلب الثاني: مقارنة سعيد حوى في الأساس
.....212.	▪ المطلب الثالث: التناسب بين أول المجموعة وآخرها
.....222.....	الخلاصة والتوصيات
.....225.....	المصادر والفهارس
.....226.....	مسرد الأحاديث النبوية الشريفة
.....228.....	مسرد الأعلام
.....232.....	المصادر والمراجع
.....243.....	ملخص باللغة الإنجليزية

ملخص الرسالة

لما لم تتفق كلمة المفسرين منذ القديم على موضوع التناسب، وكان كثير منهم - وإن وافقوا على التناسب داخل الآية الواحدة، أو بين الآية وجارتها- إلا أنهم يعترضون على وجه أو أكثر من وجه التناسب القرآني، فكان منهم من اعترض على الوحدة الموضوعية في السورة، أو على التناسب بين اسم السورة وموضوعها، أو على التناسب بين السورة وجارتها، وصولاً إلى الوحدة الموضوعية في القرآن كله، وحيث إنه لا بد من قول فصل يبين وجه الحق في هذه المشكلة، فقد كانت هذه الدراسة في سورة البقرة، لتجلي القول وتحسم الخلاف وتحل الإشكال.

ولأجل ذلك فقد اتجهت الدراسة إلى الإجابة على عدد من الأسئلة المحددة للمشكلة، والتي أبرزها: هل يجد تناسب بين بداية السورة وخاتمها، وهل من علاقة بين قصص السورة، وهل للسورة محور رئيس، وهل لاسمها ارتباط بمحورها، ومن ثم ما وجه اتصال سورة البقرة بالفتحة التي تسبقها وآل عمران التي تليها، وما علاقتها بالسور التي لها البداية نفسها(الم)، وما مناسبتها للفلق نظيرتها في آخر المصحف، وهل يؤدي ذلك إلى أن القرآن جميعه يشكل وحدة متماسكة، وهل موقع البقرة في أول المصحف يعطيها مركزية لما بعدها من السور؟.

وتكمن أهمية هذه الدراسة، في توضيح المعاني التي قد تلتبس في الآيات الكريمة، وفي تجليتها الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، بعد تأكيدها في كل سورة من سور، وبالذات سورة البقرة موضوع الدراسة، ومن ثم يتأكد أن ترتيب سور القرآن الكريم كان توقيفياً، ويتجلى وجه عظيم من وجوه الإعجاز القرآن يؤكد ربانيته، ويرد على افتراءات المستشرقين. وقد اتبع الباحث في دراسته، المنهج الوصفي الذي يجمع بين الاستقراء والتحليل للسورة الكريمة، وأحياناً الموازنة والترجيح بين الأقوال المختلفة.

ولذلك فقد قامت هذه الرسالة على أربعة فصول، حيث اضطلع الفصل الأول بالتعريف على شطري عنوان الأطروحة وهما سورة البقرة وموضوع التناسب، وعرض الفصل الثاني لأوجه التناسب وأنواعه في القرآن، ثم تحدث الفصل الثالث عن أوجه التناسب الداخلية في سورة البقرة، فيما تحدث الفصل الرابع والأخير عن أوجه التناسب الخارجية لسورة البقرة. وقد خلصت الدراسة إلى الوحدة الموضوعية في سورة البقرة، والتي محورها الرئيس هو الخلافة، وأكدت الدراسة توقيفية ترتيب السور القرآنية، والوحدة العضوية في القرآن جميعه، وقد انتهت إلى أن الكثير من العلماء قد اهتموا بالتناسب، وكان أبرزهم الرازي والبقاعي.

وأهم التوصيات التي يراها الباحث، أن بعض العناوين الفرعية في هذه الدراسة تستحق أن تفرد بالبحث من مثل علاقة أسماء السور بمحاورها والتناسب بين السور التي لها ذات الفتحة، وكذلك ضرورة الكتابة في نظرية التناسب عند كل من الرازي والبقاعي.

مقدمة

بسم الله، ثم الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وبعد: —

فقد وصف ربنا تعالى، كتابه العزيز بأنه ژ گب گج گگ گگ گز ن ژ [هود] ، كما دعا
إلى تدبر القرآن للاستدلال من خلال هذا التدبر على ربانيتها، إذ لو ژ چ ی د ت ذ ڈ ڈ ڈ ژ
[النساء].

ومن هذا المنطلق؛ فقد كان العلماء والمفسرون الأجلاء، يقفون عند كل آية، وكل كلمة، وكل حرف في كتاب الله، ليتعرفوا الحكمة من وضعها في مواضعها التي هي فيها، ويبحثون عن علاقة هذه الآية بسابقتها ولاحقتها، ولم ذيلت هذه الآية بالعزیز الحکیم، وذيلت أختها بالغفور الرحيم ؟ ولماذا قال هنا: لعلكم تتقون، وقال هناك: لعلكم تتفكرون؟.

ولم يكتف العلماء بالحديث عن علاقة الآية بما قبلها وما بعدها، أو العلاقات داخل الآية الواحدة، وإنما كانوا يتتبعون الخيط الذي يربط آيات السورة من أولها إلى آخرها، ومحورها الرئيس، وعلاقة مطلعها بخاتمها، واسمها بمحورها.

وتطرقوا في كتبهم إلى دراسة التناسب بين السورة والسورة التي تسبقها، وتلك التي تليها، بل والمناسبة بين السورة في أول المصحف ونظيرتها في آخره.

ولم يزل العلماء يتساءلون ويحاولون الإجابة، إلى أن غدا علم المناسبة علماً قائماً بذاته، له أصوله وقواعده، وشرفه وأهميته؛ حتى قال الإمام البقاعي^(١) في (نظم الدرر): " فلذلك كان هذا العلم — يقصد علم المناسبات — في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير؛ نسبة علم البيان من النحو"^(٢).

وأصبحنا نرى الكتب والأبحاث الكثيرة تحمل عناوين مثل: " الوحدة الموضوعية " في سورة كذا، أو سورة كذا، على اعتبار أن السورة وحدة واحدة.

(١) أبو الحسن، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (809 – 885 هـ)، من البقاع بسورية، سكن دمشق وبها توفي، مؤرخ أديب مفسر له: أخبار الجلائد في فتح البلاد، ومساعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، وهذا التفسير. [البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع ص40-41، الأعلام 1/ 56].

(٢) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (5/1)، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1995م.

وقد جاء العلماء السابقون في هذا العلم بالكثير، سواء في كتب التفسير، أو علوم القرآن، وما تفرع منه من كتب الإعجاز القرآني، ومصنفات التناسب، وكان منهم من بنى تفسيره على علم المناسبة كالبقاعي، وفي العصر الحديث لقي هذا الموضوع اهتماماً وعناية كبيرين من المفسرين والباحثين الذين أفادوا من علم القدماء وعلوم العصر، وأضافوا إليه.

ومع كل ذلك فإن النظرة الجزئية قد سيطرت على أغلب التفسيرات وكتب علوم القرآن، حيث ركزت على طلب المناسبات بين الآية والتي قبلها والتي بعدها، ولم تتعمق في طلب الخيوط التي تربط بين أجزاء السورة، أو الروابط بين السور من بداية المصحف حتى نهايته، والتي تبرز وحدته العضوية.

ولما كان القرآن لا يتقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، فقد رغب الباحث أن يكون له سهم في هذا الخير، فيلتقط عدداً من درر السابقين ويضيف عليها بعضاً مما عسى أن يفتح الله تعالى عليه، ويعيد نظمها في عقد جديد، وقد وقع الاختيار على سورة البقرة لتكون موضوع الدراسة، علماً بأن اختيارها في البداية لم يكن إلا لأن الباحث، وقتها كان يدرّس تفسيرها في بعض المساجد، وقد تجمع لديه الكثير من المناسبة بشأنها، حيث قرر القيام بالبحث، لمساق البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، في الفصل الأول من العام الجامعي 2003/2004م.

سبب اختيار البحث:

لقد جاء اختياري لموضوع التناسب في سورة البقرة للأسباب الآتية:

- (١) أهمية الدراسات القرآنية عموماً، كونها أساس الدراسات العربية والإسلامية القديمة والمعاصرة.
- (٢) أهمية علم التناسب فهو اللحمة القرآنية التي ربما تخفى على كثير من العلماء.
- (٣) تتبع دراسة هذه الظاهرة عند العلماء.
- (٤) أن علم المناسبة علم إبداعي يمكن للباحث المتعمق فيه أن يتوصل إلى نتائج جديدة ومعطيات لم يسبق إليها، ومن ثم عدم التوقف عند ما كتبه السابقون في التناسب، ومن ذلك الإضافات الجديدة في علاقة اسم السورة بموضوعها، والتناسب بين قصص السورة، وعلاقة سورة البقرة بسورة الفلق، والتناسب بين السورة وموقعها في المصحف، والتناسب بين سورة البقرة وبقيّة السور الكريمة المفتحة ب(ألم)، وغير ذلك.

٥) أن سورة البقرة هي أطول سور القرآن وأكثرها تنوعاً في الأحكام والقصص والأفكار، فإذا تأكدت

فيها الوحدة الموضوعية، والتناسب بين أجزائها، وارتباط مطلعها بختامها، وغير ذلك من وجوه

التناسب والارتباط؛ فإن تدبر التناسب في غيرها يغدو أيسر وأهون.

٦) أن الكلام عن التناسب في سورة البقرة، قد جاء غالباً، مفرقاً في ثنايا كتب التفسير بحيث يحتاج إلى جمع

وإبراز وإعادة تبويب، أو جاء بشكل موجز مختصر في سياق الحديث عن التناسب في القرآن الكريم جميعه

بحيث يحتاج إلى دراسة تطبيقية على كل سورة منفردة، وهو هدف هذه الدراسة.

٧) أن الباحث قد كتب في هذا الموضوع نفسه ضمن مساق " البحث العلمي وتحقيق المخطوطات"، بداية التحاقه

ببرنامج الدراسات العليا بالجامعة، ثم عرض ما كتبه على عدد من العلماء والأساتذة الكرام، في الجامعة

وخارجها، فلقى منهم كل تشجيع ودعم.

مشكلات البحث وأسئلته:

كان موضوع التناسب محل خلاف بين علماء التفسير ما بين مؤيد ومعارض، ومثله موضوع الوحدة الموضوعية في

السور القرآنية، حتى عند الذين يقولون بوجود التناسب بين الآيات، وكذلك لم تتفق كلمتهم على القول بالتناسب بين اسم

السورة وموضوعها، ولا بالتناسب بين السور القرآنية وصولاً إلى الوحدة العضوية في القرآن جميعه.

ولذلك فإن هذه الرسالة تهدف إلى الإجابة عن عدد من الأسئلة، أهمها:

١) هل هناك تناسب بين مطلع السورة وخاتمتها؟ وهل ثم تناسب بين قصص السورة؟

٢) هل تمثل سورة البقرة، على طولها، موضوعاً مترابطاً؟

٣) هل يوجد تناسب بين اسم السورة وموضوعها، من جهة، وبين موضوعها وفواصلها من جهة أخرى؟

٤) هل ثم تناسب بين سورة البقرة وبين الفاتحة التي قبلها، وآل عمران التالية لها؟

٥) ما علاقة البقرة بالسور التي لها نفس الفاتحة: (الم)، وما علاقتها بسورة الفلق المناظرة لها.

٦) هل لسورة البقرة علاقة بكل السور التالية لها كونها بعد الفاتحة التي هي أم القرآن؟

٧) ما وجه اتصال البقرة بواقع الدعوة الإسلامية؟

أهمية البحث:

١. إبراز الوحدة الموضوعية في السور القرآنية عموماً، وفي سورة البقرة بخاصة.

٢. التأكيد على العلاقة الوثيقة بين اسم السورة القرآنية ومحورها الرئيس.

٣. الاستعانة بعلم المناسبات في فهم المعنى، ودفع الإيهام وإزالة اللبس، والترجيح بين الأقوال المختلفة في التفسير.

٤. التأكيد على الترابط والتلاحم الوثيق بين سور القرآن الكريم وآياته من بدئه إلى نهايته.
٥. إبراز نوع مهم من أنواع الإعجاز القرآني، والتأكيد على أن هذا القرآن بتركيبه وترتيبه لا يمكن أن يكون بشري المصدر.
٦. الرد على مزاعم المشككين من المستشرقين وغيرهم، بعدم ترابط أجزاء النص القرآني.
٧. المساهمة في تجلية علم المناسبة وتأصيله، وتشجيع الكتابة فيه؛ لأهميته الكبيرة من علم التفسير والإعجاز القرآني.

منهجية البحث:

- سأتبع في بحثي هذا المنهج الوصفي الذي يجمع بين الاستقراء والتحليل، وأحياناً التركيب، مع الموازنة والترجيح، حيث سأبدأ بدراسة جهود ثلة من العلماء في الموضوع لأسبر غورها محاولاً الوصول إلى تصور كلي، يكون منطلقاً لدراسة سورة البقرة دراسة توظف أقوال أهل التفسير، وتقيد من جهود الباحثين في الدراسات القرآنية عموماً، وتوظف القواعد التي جاءت متناثرة في ثنايا كلامهم، وتوازن بين مسالك العلماء وتختار ما يترجح من أقوالهم، وذلك وفق الخطوات الآتية:
١. الرجوع إلى أمهات المصادر في علم المناسبة، سواء في ذلك كتب التفسير، أو علوم القرآن وفروعه من مصنفات الإعجاز القرآني، أو تلك التي تخصصت في موضوع التناسب.
 ٢. الموازنة والترجيح بين أقوال العلماء.
 ٣. الزيادة على تلك الأقوال بإضافة لبنات جديدة إلى جهود السابقين، مما لم ينطرقوا إليه.
 ٤. عزو الأقوال إلى أصحابها، وبيان أوجه التشابه والاختلاف بين أقوال العلماء في النقطة الواحدة.
 ٥. عزو الآيات الكريمة إلى السور مع ذكر الرقم ملاصقاً لنص الآية.
 ٦. تخريج الأحاديث الشريفة من مصادرها الأصلية، وإذا كان الحديث في غير الصحيحين فالتزم ببيان درجة صحته، ولا أستشهد بحديث ضعيف.
 ٧. ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في الرسالة وعزو الأمثال إلى مصادرها.

الدراسات السابقة

بعد البحث والسؤال لم يظهر لي أن أحداً قد كتب في هذا الموضوع بالشكل الذي كتبت فيه، مع العلم بأن هنالك كتابات قيمة عديدة تناولت موضوع المناسبة وعلى رأسها كتاب "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي، و"تناسق الدرر في ترتيب السور" لجلال الدين السيوطي^(١).

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير السيوطي الشافعي، (849 — 911هـ): إمام حافظ مؤرخ أديب وعالم موسوعي، له نحو 600 مصنف منها (ترجمان القرآن، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، وتاريخ أسيوط، والحاوي للفتاوي، واللائي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة وغيرها). [الأندروني، طبقات المفسرين، 365-366، الأعلام، 1/ 301-302].

[illegible]

وهناك دراسات أخرى تخصصت في سورة البقرة، لكن بعيداً عن علم المناسبة، ومن ذلك "النظم في سورة البقرة"، للدكتور حسين الدراويش^(٤)، وهي أطروحة دكتوراه في اللغة العربية من الجامعة الأردنية، و"الروابط اللفظية في سورة البقرة"^(٥)، وهي رسالة ماجستير في كلية الآداب بجامعة القدس من إعداد الطالبة رهام يعقوب طَافْس، وكلتا الرسالتين –

وآدابها، جامعة القدس، 2003م.

على أهميتهما، وإمكانية تقاطعهما نظرياً مع الموضوع - لكنهما في ميدانين مختلفين عن التناسب، وكما سبق القول فإنه حتى الدراسات والكتابات التي اهتمت بالتناسب فإنها لم تتطرق إلى عدة جوانب تناولتها هذه الرسالة.

الصعوبات التي واجهت البحث:

لعل من أبرز الصعوبات التي واجهت الباحث في مثل هذا الموضوع اتساع مادته، وتشتت مباحثه ودقة مسأله؛ ما يستدعي البحث في كتب التفسير، وعلوم القرآن، وما يتفرع عنها من كتب الإعجاز والمناسبة، وغيرها. وكذلك صعوبة الوصول إلى بعض مراجعه القديمة التي لم تطبع منذ زمن بعيد، أو الكتابات الحديثة التي طبعت في بعض البلدان ولم تصل إلينا، وأيضاً بعض الرسائل الجامعية التي ما زالت حبيسة رفوف المكتبات، وقد أمكن التغلب على كثير من ذلك بفضل الله تعالى، حيث قيض سبحانه عدداً من الإخوة والسادة الأكارم، فتفضلوا بإعطاء الباحث أطروحاتهم، أو ما عندهم من هذه المراجع، أو بعثه بالبريد الإلكتروني، أو تجشموا مشقة البحث عن عدد آخر منها، وجلبه حتى من قطاع غزة والأردن ومصر وسوريا والسعودية. ثم إن طول سورة البقرة والحجم الكبير الذي تحتله في كتب التفسير، ودراسة موضوع التناسب في الإطار الذي اخترته يحتاج إلى جهد دؤوب وعمل متواصل، أحمد الله تعالى أن أعاني عليه ووفقي لإتمامه.

محتويات البحث:

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وأربعة فصول، كان أولها للتعريف بشطري عنوان الأطروحة، والثاني للحديث عن أوجه التناسب القرآني وأنواعه، والفصل الثالث لأوجه التناسب الداخلية في سورة البقرة، فيما تحدث الفصل الرابع عن أوجه التناسب الخارجية في السورة الكريمة، وختمته بالخلاصة والتوصيات، والمسارد والفهارس، ثم ملخصاً باللغة الإنجليزية، وذلك على نحو ما تقدم في فهرست الموضوعات. ولما كان هذا البحث لُحْمته وسداه الآيات القرآنية الكريمة، وإلحاق مسرد بالآيات، يحتاج، في تقدير الباحث، إلى ما لا يقل عن خمس وعشرين صفحة، فإنني لم ألحق مسرداً بالآيات الكريمة، وإنما اكتفيت بمسرد الأحاديث الشريفة، وفهارس الموضوعات والمصادر والأعلام الواردة في البحث.

الفصل الأول

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بسورة البقرة

المبحث الثاني: التعريف بالتناسب

المبحث الأول

التعريف بسورة البقرة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة وسبب التسمية لكل اسم

المطلب الثاني: نزول سورة البقرة

المطلب الثالث: ترتيب السورة في المصحف

المطلب الرابع: عدد آي سورة البقرة

المطلب الخامس: فضل سورة البقرة

المطلب الأول

أسماء السورة وسبب التسمية لكل اسم

أسماء السور، المثبتة في المصاحف، هي، على الأرجح توقيفية، أي ثبتت بالوحي؛ وفي ذلك يورد السيوطي أنه قد " ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار" (١). بل إن أستاذنا الدكتور فضل عباس ليذهب إلى أنه من المستبعد عقلاً أن لا يكون لكل سورة اسم خاص تعرف به في عهد النبي ﷺ (٢).

ويجدر التنويه إلى أن بعض الأسماء أشهر من بعض، وألصق بالسور من غيرها، فضلاً عن أن بعض الأسماء توقيفية، وبعضها اجتهادي وأشبه بالأوصاف والألقاب وما تتسم به بعض السور، مما أطلقه الصحابة الكرام، أو من بعدهم على هذه السورة أو تلك، تنويهاً بفضلها، أو إبرازاً لجليل معانيها.

وفيما يتعلق بسورة البقرة موضوع هذه الدراسة، فإن لها من الأسماء، سوى البقرة: سنام القرآن، و فسطاط القرآن، وهي مع سورة آل عمران الزهراوان، وفيما يأتي بيان لكل اسم وسبب التسمية به:

(١) البقرة: سميت السورة بهذا الاسم لقصة البقرة الواردة فيها، حيث قتل في بني إسرائيل قتيل، فأمرهم

الله تعالى على لسان موسى ﷺ أن يذبحوا بقرة، وبعد كثير من المماطلة والتكؤ ذبحوها، فأمروا أن

يضربوا جسم القتيل ببعض البقرة، فأحياه الله تعالى، وأخبر عن قاتله، وذلك في الآيات الكريمة من

(74 – 67).

(٢) الزهراء: ففي الصحيح عن أبي أمامة الباهلي (٣) رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما

تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيبتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ،

اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة) (٤).

وأصل الزهر: الحسن والضياء والصفاء، والزهرة: النجم المعروف، والأزهر: القمر، وزهرت النار:

بمعنى أضاءت (٥)، والزهراوان: "النيرتان، مأخوذ من الزهر والزهرة: فأما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له

(١) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن: (115/1)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1415هـ - 1995م.

(٢) عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، (447/1)، دار الفرقان، عمان، ط1، 1418هـ - 1997م.

(٣) هو صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، (ت 81هـ)، صحابي شهد مع الرسول جميع الغزوات سوى بدر، آخر من مات من الصحابة بالشام، له في الصحيحين 250 حديثاً. [ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، 375/4، الأعلام، 303/3].

(٤) مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، رقم: (804، 805)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، دط، 1419هـ - 1998م.

(٥) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، (ص462-463)، حققه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1415هـ - 1995م.

من أنوارهما، أي من معانيهما، وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة" ^(١)، والغيايتان والغمامتان: كل ما أطل الإنسان من فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما، والمراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين ^(٢).

٣) سنام القرآن: عن ابن مسعود ^(٣)، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تَقْرَأُ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ) ^(٤).

وسنام كل شيء أعلاه ^(٥)، وسورة البقرة سنام القرآن" إما لطولها واحتوائها على أحكام كثيرة، أو لما فيها من الأمر بالجهاد، وبه الرفعة الكبيرة" ^(٦).

٤) فسقاط القرآن: كما كان يسميها خالد بن معدان ^(٧)، "وذلك لعظمها ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها" ^(٨)، والفسقاط: البيت من الشعر ^(٩).

-
- (١) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، (5/4)، دار الفكر، بيروت، 1415هـ - 1995م.
- (٢) النووي، شرح صحيح مسلم، (90/6)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1347هـ - 1929م.
- (٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب (32هـ)، أبو عبد الرحمن الهذلي الإمام الحبر فقيه الأمة، من السابقين الأولين، أول من جهر بالقرآن، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وجميع الغزوات. [انظر: ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** (74/3)، والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء** (461/1)، حقق بإشراف، شعيب الأرناؤوط وأكرم البوشي].
- (٤) رواه الحاكم في كتاب فضائل القرآن، (561/1)، والبيهقي في شعب الإيمان (452/2)، رقم (3277)، وذكره الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة (135/2)، حديث رقم (588)، مكتبة المعارف، الرياض، دط، 1415هـ - 1995م.
- (٥) ابن منظور الإفريقي، أبو الفضل جمال الدين بن محمد، **لسان العرب**: مادة سنم (306/12-308)، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ - 1994م.
- (٦) المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن، **تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي**: (181/8)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط2، 1406هـ - 1986م.
- (٧) خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي (ت 104هـ)، تابعي، ثقة، أصله من اليمن، وإقامته في حمص، تولى شرطة يزيد بن معاوية، [ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 16/189-205، الأعلام، 2/299].
- (٨) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن** (119/1).
- (٩) الرازي، محمد ابن أبي بكر، **مختار الصحاح**، (ص249)، دار عمار، عمان، ط1، 1417هـ - 1996م.

المطلب الثاني

نزول سورة البقرة

يذكر الدكتور صلاح الخالدي أن "ترتيب السور حسب النزول ليس دقيقاً في مجمله، ومن ثم ليس يقينياً ولا يمكن الجزم به، لعدم وجود أدلة صحيحة موثوقة يُعتمد عليها في ذلك، ويمكن أن نأخذ بعض الأقوال في الترتيب التاريخي من باب الاستئناس لا من باب الجزم واليقين"^(١).

وعلى أية حال؛ فإن سورة البقرة بحسب النزول - على ما اشتهر - هي السورة السادسة والثمانون، وهي أول سورة نزلت بالمدينة المنورة، بعد الهجرة. وقد نزل قبلها في مكة خمس وثمانون سورة، كما ذكر الزركشي^(٢) في كتاب البرهان^(٣). وقال أبو عمرو الداني^(٤)، بعدما أورد السور التي أنزلت بمكة: "فذلك ما أنزل عليه ٤ بمكة، خمس وثمانون سورة ... وأنزل عليه بعدما قدم المدينة سورة البقرة، ثم آل عمران، ثم الأنفال..."^(٥) وقد نقل السيوطي هذا القول، وقول من قال أنه قد نزل بعد البقرة سورة الأنفال ثم آل عمران^(٦). وهو أولى بالصواب لأن الأنفال نزلت في غزوة بدر، وآل عمران تحدثت عن أحد، وبدر قبل عام من أحد.

وإذا كانت الروايات في عمومها تفيد أن سورة البقرة نزلت بعد الهجرة، فإن هناك حديثاً يستثني خواتيم سورة البقرة، ويؤكد أنها نزلت ليلة الإسراء والمعراج؛ أي في العهد المكي وفق المشهور من أقوال العلماء^(٧).

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي، بين النظرية والتطبيق، (ص239)، دار النفائس، عمان، ط1، 1418هـ - 1997م.

(٢) هو بدر الدين أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت 794هـ) تركي الأصل، المصري المولد والوفاء، من العلماء الأصوليين على الفقه الشافعي. له (إعلام الساجد أحكام الساجد، والإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة، والديباج في توضيح المنهاج)، [انظر: شذرات الذهب 335/6، طبقات الداودي، 157/2-158، الأعلام 6/ 60-61].

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (1/ 250-251).

(٤) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمر الأموي القرطبي (371-444هـ)، والداني نسبة إلى دانية في الأندلس، كان إماماً في علم القراءات، والتفسير وإعراب القرآن وطرقه، وله معرفة بالحديث ورجاله، من تصانيفه: "جامع البيان" في القراءات السبع، و"المقنع في رسم الصحاح ونقطها"، و"الاهتداء في الوقف والابتداء". (ابن بشكوال: الصلة 592/2-593، طبقات الداودي، 373/1-376).

(٥) الداني، أبو عمرو، البيان في عد آي القرآن، (ص136)، تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط1، 1414هـ - 1994م.

(٦) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (20/1).

(٧) العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، (188/1-189)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 5، 1413هـ - 1993م.

حيث روى ابن مسعود رضي الله عنه: (لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيَقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيَقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ إِذَا يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، قَالَ فَرَأَسُ مَنْ ذَهَبَ، قَالَ فَأَعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقَحَّمَاتُ^(١)).

وصفوة القول أن سورة البقرة هي أول ما نزل بعد الهجرة، واستمر نزولها حتى نهاية العهد المدني، حيث نزلت الآية (281) منها، والتي هي على الراجح آخر آية في القرآن، كما نزل قبيلها آيات الربا، فيما تقدمت خواتيم السورة سائرهما فنزلت قبيل الهجرة، لكن غالب آيات السورة قد نزل في بدايات الهجرة.

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، رقم(173).

المطلب الثالث

ترتيب السورة في المصحف

البقرة هي السورة الثانية في المصحف العثماني، بعد الفاتحة وقبل آل عمران. وهذا الترتيب -على الراجح من أقوال العلماء - ليس باجتهاد الصحابة، رضوان الله عليهم، وإنما هو توقيفي بتوجيه الرسول ﷺ وحيًا؛ وبالأخص في العرضة الأخيرة، ويكفي دليلاً على هذا القول أنه متواتر حفظاً وكتابة؛ تناقلته الأمة من لدن الرسول ﷺ وحتى يومنا هذا.

حيث يقول الإمام البغوي^(١) إن " الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً. إنهم كتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئاً أو أخرجوا أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذه من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يلقي أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف من جبريل - صلوات الله عليه - إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في السورة التي يذكر فيها كذا؛ فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة"^(٢).

ويؤكد الدكتور فضل عباس أن: " ترتيب السور في كتاب الله تعالى توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه، فكما أن الآيات كانت بترتيب أخذ النبي ﷺ عن جبريل عن الله رب العالمين، فإن ترتيب السور كذلك. هذا هو مذهب الجمهور، وليس كما ذكر السيوطي - رحمه الله - من أن مذهبهم أن ترتيب السور اجتهادي"^(٣).

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، (436-516هـ)، من خراسان، كان إماماً في الفقه والتفسير والحديث، له: معالم التنزيل، في التفسير، والتهذيب في الفقه، والجمع بين الصحيحين. [انظر: طبقات السيوطي، ص: 49-50، طبقات الأندلسي، ص: 158-160].

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، (4/521-523)، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1403هـ - 1983م.

(٣) عباس، إتيان البرهان، (1/449)، وكلام السيوطي المشار إليه في: إتيان في علوم القرآن، (1/135).

المطلب الرابع

عدد آي سورة البقرة

قال أبو عمرو الداني^(١): "وهي مئتا آية وثمانون وخمس آيات في المدينيين والمكي والشامي، وست في الكوفي، وسبع في البصري، وقد ذكر الداني أن الاختلاف وقع في إحدى عشرة آية:

- (١) ث ألم ث [1]؛ عدها الكوفي ولم يعدها الباقر.
 - (٢) ث عذاب أليم ث [10]؛ عدها الشامي ولم يعدها الباقر.
 - (٣) ث مصلحون ث [11]؛ لم يعدها الشامي وعدها الباقر.
 - (٤) ث إلا خائفين ث [114]؛ عدها البصري ولم يعدها الباقر.
 - (٥) ث يا أولي الألباب ث [197]؛ لم يعدها المدني الأول والمكي، وعدها الباقر.
 - (٦) ث من خلاق ث [200]؛ الثاني لم يعدها المدني الأخير، وعدها الباقر. تراجع في الكتاب وغيره.
 - (٧) ث ماذا ينفقون ث [219]؛ الثاني عدها المدني الأول والمكي، ولم يعدها الباقر.
 - (٨) ث لعلمكم تتفكرون ث [219]؛ الأول عدها المدني الأخير والكوفي والشامي، ولم يعدها الباقر.
 - (٩) ث قولاً معروفاً ث [235]؛ عدها البصري ولم يعدها الباقر.
 - (١٠) ث الحي القيوم ث [255]؛ عدها المدني الأخير والمكي والبصري، ولم يعدها الباقر.
 - (١١) ث من الظلمات إلى النور ث [257]؛ عدها المدني الأول ولم يعدها الباقر.
- ويجدر التنويه إلى أن الخلاف في العدّ ليس زيادة أو نقصاً في نصوص الآيات؛ فإن من أسبابه الخلاف في احتساب البسمة آية أو عدم احتسابها، وكذا الخلاف في حروف الفواتح أيها آية وأيها بعض آية، كما قد تقسم آية طويلة إلى آيتين، أو تدمج آيتان قصيرتان وتحسبان آية، حيث كان الرسول ع يقف غالباً على رؤوس الآي، لكنه ربما وقف قبل داخل الآية فيظن الصحابي أن موضع وقوفه ع رأس آية.

المطلب الخامس

فضل سورة البقرة

(١) الداني، أبو عمرو، البيان في عد آي القرآن، (ص 140).

وردت عدة أحاديث وآثار، في فضل سورة البقرة، وخواتيمها وآية الكرسي، منها:

- عن النواس بن سمعان^(١) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَلْ عِمْرَانَ وَضُرِبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدَ قَالَ كَانَهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَانَهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا)^(٢).
- وعن أبي بن كعب^(٣)؛ أن النبي ﷺ قال: (يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أُنْذِرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْظَمُ، قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أُنْذِرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ قَالَ فَضْرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ)^(٤).
- وعن ابن عباس قال: (بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُحْتَفَتُ قَطُ إِلَى الْيَوْمِ فَزَلَّ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُوْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتَّحَةَ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ)^(٥).
- وعن أبي مسعود البديري^(٦): قال رسول الله ﷺ: (الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَا)^(٧).
- وعن عبد الله بن مسعود، قال ﷺ: (إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ)^(٨).
- وعن أبي هريرة^(٩) - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفُرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ)^(١٠).

(١) هو: النواس بن سمعان بن صعصعة العامري، له ولأبيه صحبة، سكن الشام [الإصابة 478/6، تهذيب التهذيب 544/4، أسد الغابة 460/1-461].

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، (رقم 804، 805).

(٣) أبي بن كعب بن قيس الخزرجي الأنصاري، (ت 22هـ) من كتاب الوحي، شهد بدرًا والمشاهد كلها، من اللجنة التي كلفها عثمان بنسوخ القرآن [أسد الغابة 57/1-58، الأعلام 82/1].

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم: (810).

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم: (806).

(٦) هو عقية بن عمرو بن ثعلبة، أبو مسعود الأنصاري البديري (ت 40هـ)، سكن بدرًا، وشهد موقعتها كما قال البخاري، أقام في الكوفة، واستخلفه عليّ عليها لما سار إلى صفين. [أسد الغابة 318/7، فتح الباري 55/9].

(٧) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المغازي رقم: (4008)، وكتاب فضائل القرآن رقم: (5008، 5040، 5051)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ط، 1419هـ - 1998م، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم (807، 808).

(٨) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (رقم 588)، سبق تخريجه.

- وروى كثير بن عباس^(٣) عن أبيه أن الرسول ع قال له عندما ولى المسلمون يوم حنين: (يا عباس! ناد قل: يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة^(٤)).
- وعن عثمان بن أبي العاص^(٥): (استعملني رسول الله ﷺ وأنا أصغرُ الستة الذين وفدوا عليه من تقيفٍ وذلك أني كنتُ قرأتُ سورة البقرة فقلتُ يا رسول الله إنَّ القرآنَ ينفلتُ مني فوضعَ يدهُ على صدري وقالَ يا شيطانُ اخرجْ منْ صدرِ عثمانَ فما نسيتُ شيئاً أريدُ حفظه^(٦)).

المبحث الثاني

التعريف بالتناسب

-
- (١) عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة (ت59هـ)، أسلم سنة سبع للهجرة، لزم الرسول ﷺ وكان من أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، استعمله عمر على البحرين، وكانت وفاته بالمدينة. [أسد الغابة 5/119-120، الأعلام 3/308].
- (٢) مسلم، في كتاب صلاة المسافرين، رقم: (780).
- (٣) كثير بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم الرسول ﷺ، ولد قبل وفاته بأشهر، كان فقيهاً فاضلاً. [ابن الأثير، أسد الغابة 3/519].
- (٤) مسلم، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم (1775).
- (٥) عثمان بن أبي العاص بن بشر النخعي، (ت 55هـ)، أسلم في وفد تقيف فاستعمله النبي ﷺ على الطائف، وأقره أبو بكر وعمر، وحين همت تقيف بالارتداد قال لهم: يا معشر تقيف كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتداداً، له أحاديث في البخاري ومسلم، [أسد الغابة 3/212-213، سير أعلام النبلاء، 2/374-375].
- (٦) رواه البيهقي في دلائل النبوة (308/5)، وابن ماجة، (3548)، وذكره الألباني، السلسلة الصحيحة، (1001/6).

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات.

المطلب الثاني: القائلون بالتناسب والمشتغلون به.

المطلب الثالث: المعارضون والرد على اعتراضاتهم.

المطلب الرابع: أهمية علم المناسبات.

المطلب الأول

التعريف بعلم المناسبات

التناسب لغة:

النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب سُمي لاتصاله وللاتصال به^(١). والنسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نسب بالطول؛ كالاشتراك بين الآباء والأبناء، ونسب بالعرض؛ كالنسبة بين بني الإخوة وبني الأعمام، قال: **رُثُو نُو نُو نُو** [الفرقان: 54]^(٢). والنسب: القرابة، وقيل: هو في الآباء خاصة، وناسبه: أي شركه في نسبه^(٣). ومن المجاز: المناسبة المشاكلة^(٤)، أي المماثلة والمشابهة والموافقة، تقول: هذا شكل هذا أي مثله^(٥) ومن أشبه أباه فما ظلم^(٦).

و يُستخلص مما سبق الآتي:

(١) أن النسب هو العلاقة التي تربط الفرع بأصله، أي الأبناء بآبائهم وأمهاتهم، لكنه غلب في ذكر انتماء الولد لأبيه ثم قبيلته للفخر، ولكون الأبوة أهم لأنها قد تكون موضع شك فتحتاج إلى إثبات، بعكس الأمومة.

(٢) والفروع المنبثقة عن أصل واحد بينها مناسبة، أي شراكة في النسب، وذلك مدعاة للتماثل والتشابه، ولذلك جاء المعنى المجازي للمناسبة بأنه المشاكلة بمعنى المشابهة، وإن كانت المناسبة لا تقتضي بالضرورة المشابهة، حيث الأهم فيها هو وجود الرابطة والصلة.

التناسب في الاصطلاح:

-
- (١) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، (ص 1025)، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1415هـ - 1994م.
- (٢) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، (ص 545)، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ - 1997م.
- (٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة نسب، (1/755-756).
- (٤) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (2/430) تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، د. ط، 1414هـ - 1994م.
- (٥) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ص 533).
- (٦) الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري، **مجمع الأمثال**، (رقم 4019)، (2/355)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1408هـ - 1988م.

عرف البقاعي علم المناسبات القرآني بأنه: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال"^(١).

وعند القاضي أبي بكر بن العربي^(٢)، هو: "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني"^(٣).

وعرفه الفراهي^(٤) الذي أطلق عليه اسم (النظام) بالقول: "و مرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة،....وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلاماً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر"^(٥).

ومن التعريفات الاصطلاحية السابقة للمناسبة تلاحظُ الأمور الآتية:

- (١) الاتصال الوثيق بين التناسب والبلاغة؛ إذ هو "سر البلاغة" كما يؤكد البقاعي، فإذا كانت المناسبة عند البلاغيين هي ترتيب المعاني المتأخية^(٦)، فإن علم التناسب هو معرفة علل ترتيب الأجزاء. بل لقد عرف بعضهم البلاغة بأنها التناسب أو حسن النظام المرادف له عند أهل الاختصاص، فهي: "القوة على البيان مع حسن النظام"^(٧)، فقال: "أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقل مجازه، وكثر إعجازه، وتناسبت صدور وأعجازه"^(٨).

-
- (١) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (5/1).
 - (٢) محمد بن عبد الله المعافري، المالكي، أبو بكر بن العربي، (468-543هـ)، كان أبوه من فقهاء إشبيلية، لقي أبا حامد الغزالي بالشام وسمع من علماء بغداد، ثم عاد إلى المغرب وتوفي بفاس، قاض من حفاظ الحديث، بلغ رتبة الاجتهاد في الفقه، له: "أحكام القرآن"، و"عارضة الأحوذ في شرح الترمذي"، و"وقانون التأويل"، و"الناسخ والمنسوخ". انظر: [الأعلام/6/230، الأندروي، طبقات المفسرين 180-181].
 - (٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (62/1).
 - (٤) حميد الدين، عبد الحميد الأنصاري الفراهي، (1280هـ-1349هـ) ولد في قرية فريها بالهند، حفظ القرآن وأخذ الحديث والفقه، وأتقن العربية والفارسية ونظم الشعر فيهما، من كتبه: إمعان في أقسام القرآن، نظام القرآن وتأويل الفرقان بالقرآن، ودلائل النظام. انظر: [اليازجي، صبحي، الوحدة الموضوعية بين عبد الحميد الفراهي وسيد قطب: ص56-79].
 - (٥) الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، (ص 75)، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند، 1388هـ.
 - (٦) عكاوي، د. إنعام، المعجم المفصل في علوم البلاغة، (6/430)، دار الكتب العلمية، ط1، 1992م.
 - (٧) ابن رشيق القيرواني، العمدة، (1/244)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م.
 - (٨) ابن رشيق القيرواني، السابق، (1/246).

فضلاً عن أن نظرية عبد القاهر الجرجاني^(١) في النظم ، تركز على فكرة الترتيب باعتبار أن معاني الكلام تترتب في النفس أولاً ثم تأتي الألفاظ مرتبة على وفق ترتيب المعاني في النفس^(٢). وما دام أن هناك ترتيباً خاصاً في الكلام فلا بد أن هناك معاني مقصودة لهذا الترتيب.

(٢) وإذا انشغل أكثر البلاغيين والمفسرين كالجرجاني، وصاحب الكشف وصاحب التحرير والتنوير، وغيرهم بالنظم داخل الآية القرآنية المفردة غالباً، أو بين الآيات المتجاورة، فإن علم التناسب ينظر إلى "النظام" الرابط بين أجزاء السورة جميعها، بل يمتد إلى القرآن كله، ومن ثم فإن من تمام بلاغة القرآن وبلاغه المبين أن يُعامل معه باعتباره وحدة واحدة.

ولذلك تؤكد بعض التعريفات السابقة أن السورة وحدة واحدة، بل إن آيات القرآن الكريم لترتبط حتى تكون "كالكلمة الواحدة"، وهو تعبير غاية في تأكيد الوحدة العضوية للقرآن، فكما أن الكلمة يتهدم بنيانها من أي تغيير في حروفها أو زيادة أو حذف، فكذلك القرآن. وكثيراً ما يجري تشبيه السورة أو القرآن جميعه بالبناء، أو بالجسم الإنساني، عند غير واحد من العلماء، كما سيأتي في المطلب التالي.

(١) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، (ت 471هـ)، من جرجان بين طبرستان وخراسان، إمام في اللغة، له: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والتتمة، والجمل، والعمدة، والمغني شرح الإيضاح، وغيرها. [انظر: الأندروي، طبقات المفسرين ص 133، الأعلام 4/48-49].

(٢) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز ، (ص 54) مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ط3، 1413 هـ - 1992 م.

المطلب الثاني

القائلون بالتناسب والمشتغلون به

لفت الرسول الكريم ﷺ إلى ضرورة التعامل مع القرآن باعتباره وحدة واحدة، وإلى أهمية تفسير القرآن بالقرآن، حيث روى ابن مسعود في تفسير قوله تعالى: **ثَأْبَابُ بَابٍ بِبَابٍ** [الأنعام: 82]، قال: (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا: وَأَيْنَا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لَقْمَانُ: **ثَفْثَفْ قَفَقَفَ جَجَجَ جَجَجَ** [لقمان: 13]^(١)).

وقال ابن تيمية^(٢) عندما سئل عن أحسن طرق التفسير: "إن أصح الطرق في ذلك: أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فُسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر"^(٣).

وإذا كان الأمر على هذه الحال في ربط الآية بآية أخرى في سورة أخرى، فالأمر ألزم فيما يتعلق بآيات السورة الواحدة، وبالأخص الآيات المتجاورة في ذات السورة، وهو ما اصطُح عليه بالسياق، و"كلمة السياق في تعبير المفسرين تطلق على الكلام الذي خرج مخرجاً واحداً، واشتمل على غرض واحد، هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد، مع ملاحظة أن الغرض من الكلام، أو المعاني المقصودة بالذات، هي العنصر الأساسي في مفهوم السياق، كما أننا قد نستخلص: أن السياق قد يضاف إلى الآية وإلى السورة وإلى القرآن كله، من جهة أغراضه ومقاصده الأساسية، ومن جهة نظم المعجز"^(٤).

ولعل مراعاة السياق من أهم الأسس التي اعتمدها ابن جرير الطبري^(٥) في الترجيح بين أقوال المفسرين في

كثير من الآيات^(٦)، وقد أكد مرات عديدة أنه من غير الجائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا

(١) البخاري، **الجامع الصحيح**، في الإيمان: رقم (32)، وفي الأنبياء: رقم (3428، 3429)، وفي التفسير: رقم (4629،

4776)، وفي استنباط المرتدين: رقم (6918، 6937)، ومسلم، **الصحيح**، في كتاب الإيمان: رقم (124).

(٢) أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي (661-728هـ)، كان كثير البحث في فنون الحكمة داعية إصلاح في الدين، له: الفتاوى، والصارم المسلول، ونقض المنطق. [الدرر الكامنة 1/144، الأعلام 1/144].

(٣) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، (ص 44-45)، تحقيق عصام الحرساني، ومحمد شكور، دار عمار، عمان، ط1، 1418هـ - 1997م.

(٤) أبو صافية، عبد الوهاب، دلالة السياق: منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، (ص 86) عمان، دن، ط1، 1989م.

(٥) محمد بن جرير الطبري (224-310هـ)، الفقيه المؤرخ شيخ المفسرين، له سوى التفسير: تاريخ الأمم، والقراءات، وأحكام شرائع الإسلام، واختلاف العلماء. [انظر: السيوطي، طبقات المفسرين ص 95-97، الأندروني، طبقات المفسرين، ص 48].

(٦) الشاعر، تَمَام كمال، منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين أقوال المفسرين، (ص 134)، رسالة ماجستير في أصول الدين بجامعة النجاح الوطنية، 2004م.

المكلفين، بالاستكانة والخضوع له بالطاعة، وإفراد الربوبية له، والعبادة، دون الأوثان والأصنام والآلهة؛ لأنه جل ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم^(١).

(٢) أبو بكر النيسابوري (٢) (324 هـ): فقد نقل صاحب (البرهان في علوم القرآن) أن أول من أظهر ببغداد علم المناسبة هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، "وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة" (٣) .

(٣) القاضي عبد القاهر الجرجاني (471 هـ): صاحب نظرية النظم، الذي هو، بحسب تعبيره: " تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"^(٤)، وعنده أن المعاني تترتب في النفس أولاً وتتبعها الألفاظ مرتبة على حسب ترتيب المعاني؛ " وأنت إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدوم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"^(٥).

ولذلك فالنظم هو الإعجاز الحقيقي للقرآن الكريم عند الجرجاني، حيث يؤكد أن السبب الذي جعل الكفار يدعون معارضة القرآن وقد تحدوا إليه؛ أنه قد: " أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمهم، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها،...، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعُشراً عُشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح مكاناً أو أشبه، أو أخرى أو أخلق. بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه السماء موضع طمع، حتى خرست الألسن أن تدعي وتقول"^(٦).

(١) الطبري، السابق، (ص 232/1).

(٢) أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل النيسابوري (238 - 324 هـ)، المحدث، الفقيه الشافعي، كان إمام عصره من الشافعية بالعراق، [شذرات الذهب/2، 302، الأعلام 119/4].

(٣) الزركشي، البرهان، (1/62-63).

(٤) الجرجاني، دلائل الإعجاز، (ص 4).

(٥) الجرجاني، السابق، (ص 54).

(٦) الجرجاني، السابق، (ص 39).

لكن الباحث لم يجد للزمخشري كلاماً عن الربط بين السورة والسورة، ولا عن وحدة موضوع السورة، ولا عن تناسب آخرها مع أولها سوى إشارة في آخر سورة المؤمنون^(١).

٥) القاضي أبو بكر بن العربي (543هـ): قال إن "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المعاني علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه بسورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه فلما لم نجد له حكمة، ورأينا الخلق فيه بأوصاف البطلانة، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه"^(٢).

٦) الإمام الفخر الرازي^(٣) (606هـ) في تفسيره مفاتيح الغيب: الذي أكثر فيه من ذكر المناسبة سواء في ذلك الربط بين أجزاء الآية أو بين الآية والآية، أو بين المقاطع، وكذا بين ختام السورة ومطلعها، أو بين مطلع السورة وخاتمة السورة السابقة، فضلاً عن تنبيهه لفكرة الوحدة الموضوعية في السورة، كما صنع عند تفسيره سورة فصلت، كما سيأتي في الفصل التالي.

وكثيراً ما يبدأ الرازي تفسير الآية بقوله: "اعلم أنه سبحانه لما.."، ليربط الآية بما قبلها، وإذا لاحظ بينهما أكثر من وجه للارتباط والتناسب فإنه يقول: "اعلم أن في كيفية النظم وجهين: "أو وجوهاً"، أو يقول: "اعلم أن اتصال هذه الآية بما قبلها من وجوه".

ولا يقف الرازي عند حد الوحدة الموضوعية للسورة، بل إنه يؤكد الوحدة العضوية للقرآن الكريم جميعه، كما ذكر في بدايات تفسيره لسورة القيامة "أن القرآن كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض"^(٤).

٧) كمال الدين الزمكاني^(٥) (651 هـ)، فقد نقل الزركشي عنه أنه ذكر في بعض دروسه، مناسبة استفتاح استفتاح الإسراء بالتسبيح، والكهف بالحمد، ثم قال: "وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور، فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض؟ بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة"^(١).

(١) الزمخشري، السابق، (201/3).

(٢) الزركشي، البرهان، (62/1).

(٣) محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي (544-606هـ)، المفسر المتكلم، تتلمذ على البغوي، له: البرهان في قراءة القرآن، والمصنف في إعجاز القرآن. [السيوطي، طبقات المفسرين، ص: 115-116، شذرات الذهب 21/5].

(٤) الرازي، التفسير الكبير، (719/10)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1417هـ - 1997م.

(٥) عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري، الزمكاني، (ت 651 هـ)، ولي القضاء، ودرس مدة ببعلبك، له: التبيان في علم البيان، ونهاية التأمل في بيان أسرار التنزيل، ورسالة في "الخصائص النبوية". [، طبقات الأندلسي 237، الأعلام 4: 176].

٨) أبو جعفر بن الزبير^(٢) (708هـ)، في كتابيه: "البرهان في تناسب سور القرآن" و "ملاك التأويل"^(٣)،

فأما البرهان فقد خصصه لموضوعات السور والارتباط فيما بينها، وقد نقل البقاعي أغلبه في تفسيره مصرحاً بنسبة كلامه إليه، كما نقل عنه غير واحد من تلاميذه كصاحب البحر المحيط وصاحب التسهيل، والأول تابع أستاذه واقتفى أثره في الاهتمام والالتفات إلى موضوع التناسب. وأما (ملاك التأويل)، فإنه قد خصصه لتفسير الآيات المتشابهات، حيث كان كثيراً ما يذكر أن السبب هو الارتباط بالآية السابقة والسياق، كما يلفت إلى المناسبة مع موضوع السورة وما يتكرر فيها من الألفاظ والصيغ والمعاني التي تميز كل سورة عما سواها.

٩) ولي الله الملوي^(٤) (774هـ): نقل عنه صاحب البرهان قوله: "قد وهم من قال: لا يُطلب للآي الكريم مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً؛ فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون؛ مرتبة سورته كلها وآياته بالتوقيف"^(٥). والزركشي لم يصرح باسم الملوي وإنما قال: "قال بعض مشايخنا المحققين"، لكن البقاعي^(٦) والسيوطي^(٧)، أوردا ذات القول وحددا الاسم.

١٠) الإمام الشاطبي^(٨) (790هـ): حيث يقول في المسألة الثالثة عشرة من كتابه الموافقات في أصول الشريعة: "لا بد لفهم السورة على وجهها الصحيح من دراستها كلها إجمالاً، ورد أولها إلى آخرها، وآخرها إلى أولها، فإنها وإن اشتملت على قضايا متعددة، لكنها نازلة لهدف واحد، وتدرج تحت مقصد

(١) الزركشي، البرهان، (66/1).

(٢) أحمد بن إبراهيم الغرناطي، (708هـ)، النحوي المقرئ المفسر المؤرخ، كان محدث المغرب كله في زمانه، له تعليق على كتاب سيبويه، وشرح الإشارة في الأصول، وسبيل الرشاد في فضل الجهاد، [طبقات الأندلسي: 397، الأعلام: 86/1].

(٣) ابن الزبير، ملك التأويل، القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التأويل، تحقيق محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1405هـ - 1985م.

(٤) محمد بن أحمد بن إبراهيم الملوي الشافعي، المعروف بابن المنفلوطي (774هـ)، برع في التفسير، والفقه والأصول، والتصوف كثير العبادة. [ترجم له ابن حجر في كتابيه: إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، 57/1-59، والدرر الكامنة، 187/3، طبقات الداودي، 58/2-59].

(٥) الزركشي، البرهان، (63/1-64).

(٦) البقاعي، نظم الدرر، (6/1).

(٧) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (235/2).

(٨) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، (790هـ) المجتهد الأصولي المعروف بالشاطبي. له الموافقات في أصول الأحكام، والاعتصام، وأصول النحو، وقال عنه الشيخ رشيد رضا في تقديمه لكتاب الاعتصام: العلماء المستقلون في هذه الأمة ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين، والإمام الشاطبي من هؤلاء القليل، [الاعتصام للشاطبي ص3، الأعلام، 75/1].

واحد، فاعتبار جهة النظم مثلاً في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالإقتصار على بعضها في غير مفيد غاية المقصود، كما أن الإقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما، لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها.

"فسورة البقرة - مثلاً - كلام واحد باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بُث فيها، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال، وذلك تقدير الأحكام على تفاصيل الأبواب، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك"^(١).

(١١) بدر الدين الزركشي(794هـ): والذي تحدث في كتابه البرهان في^(٢) علوم القرآن عن التناسب

باعتباره واحداً من علوم القرآن، فعرفه وذكر رواه وأبرز المشتغلين به إلى زمانه، وردودهم على المعترضين، ثم أفاض في الحديث عن وجوه التناسب.

(١٢) برهان الدين البقاعي (885هـ): وله التفسير المسمى (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وله

أيضاً (مساعد النظر في الإشراف على مقاصد السور)^(٣)، حيث كان دأب البقاعي في نظم الدرر، أن يورد في بداية كل سورة مقصودها من خلال اسمها الدال على هذا المقصود حسب رأيه، ولا يكتفي بذلك وإنما يتحدث عن كل أوجه التناسب؛ داخل الآية، وبين الآيتين، وفيما بين مقاطع السورة، والتناسب بين ختام السورة وبدايتها فيما يسميه "رد المقطع على المطلع" بالنسبة للسورة، ثم بين السورة وجارتها، بل ويتحدث عن "رد المقطع على المطلع" بالنسبة للقرآن؛ أي المناسبة بين السور التي في آخر المصحف ونظيراتها في أوله، باعتبار القرآن جميعه وحدة واحدة.

ولعل جهد البقاعي في نظم الدرر، هو الأجمع والأشمل والأكثر تفصيلاً، والأفضل من كل سابقه وأغلب الذين جاءوا من بعده؛ فإنه قد جعل المناسبة من جميع جوانبها غايته من الكتاب الذي حوى كنوزاً من هذا الفن. ولا عبرة بما يقال أحياناً عن تكلفه فيه، فبعضه من كلام الأقران، أو الذين لا يقدرّون هذا العلم حق

(١) الشاطبي، أبو إسحق، الموافقات في أصول الشريعة، (309/3-311)، شرحه وخرج أحاديثه عبد الله دراز، ووضع تراجمه، محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

(٢) الزركشي، البرهان، (ص: 61-128).

(٣) البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، طبع بتحقيق: عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1408هـ - 1987م. انظر: www.tafsir.org

قدره، ثم هل يتوقع من البقاعي وقد أخذ على عاتقه استقصاء وجوه التناسب في القرآن كله، أن يهتدي إلى الأصوب في كل موضع؟ وبحسب البقاعي أنه قد التفت إلى بعض أوجه التناسب التي لم يسبق إليها؛ كدلالة اسم السورة على مقصودها، أو رد المقطع على المطلع فيما يتعلق بالتناسب بين السور التي في آخر المصحف ونظيراتها في آخره، وهذه الثانية لم يتابعه فيها أحد من المتأخرين، بحسب علم الباحث.

١٣) جلال الدين السيوطي (911هـ): وقد نقل في (الإتقان)^(١)، و(معترك الأقران)^(٢)، أغلب كلام الزركشي في (البرهان)، وللسيوطي أيضاً: (تناسق الدرر في تناسب السور)، وقد ذكر السيوطي في مقدمته أن هذا الكتاب هو جزء من كتاب له كبير في موضوع التناسب، واسمه (أسرار التنزيل)^(٣).

وللسيوطي أيضاً في التناسب، (قطف الأزهار في كشف الأسرار)^(٤)، و (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)^(٥).

١٤) ابن شهيد ميسلون، محمد بن كمال أحمد الخطيب، عرّف في كتابه: (نظرة العجلان في أغراض القرآن). بمناسبات آياته ووحدة الموضوع في سورة^(٦).

١٥) الإمام عبد الحميد الفراهي (ت1349هـ): والفراهي له كتاب (دلائل النظام)، وله تفسير لم يتمه أسماه: (تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان).^(٧) وكان ممن تنبه لأهمية هذا العلم، ونوه بقيمته وشرفه، فقال: "المعترفون بوجود التناسب جعلوا التناسب علماً شريفاً، ولكن لم يجعلوه جزءاً عظيماً من مفهوم القرآن. ولذلك بقي متروكاً لإشكاله. وأما نحن فنقول: إن فهم القرآن محوّل إليه. والوجوه الكثيرة في التأويل، وعدم الاعتماد على تأويل صحيح إنما نشأ من عدم المعرفة بالنظام، فإنه هو المعتمد في صحيح التأويل ورفع الشكوك والحيرة"^(٨).

(١) السيوطي، ١ إتقان، (234/2-247).

(٢) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، (43/1-58)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.

(٣) السيوطي، تناسق الدرر، (ص53).

(٤) الطباع، إياد خالد، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، (ص131)، دار القلم، دمشق، ط1، 1417هـ - 1996م.

(٥) حققه الدكتور محمد بازمول بذيل كتابه، علم المناسبات بين السور والآيات، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ -

2002م. والدكتور محمد الشوربجي، المكتب الإسلامي لإحياء التراث، انظر www.ahlalhdeth.com

(٦) الخطيب، محمد بن كمال، ابن شهيد ميسلون، نظرة العجلان في أغراض القرآن، المطبعة العصرية، دمشق، 1365هـ.

(٧) وهما من منشورات سلسلة دائرة الحميدية بالهند.

(٨) الفراهي، دلائل النظام، (ص75).

وشدد الفراهي على أن " معرفة النظام من الضروريات لعلماء الأمة، حتى يعلموا الناس حسب ما فهموا، فإنهم إن لم يفهموه واختلفوا فيه كيف يرشدون الناس؟ بل يشتد ضرر قيادتهم لأنفسهم ولجميع المسلمين" (١).

١٦ (الدكتور محمد عبد الله دراز^(٢) (ت 1958م): وكان ممن نوه بهذا العلم في كتابه النبأ العظيم حيث يقول: " إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة، يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جُمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعبة وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول. فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة.... ولماذا نقول إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظامان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشترك العضوان بالشرابين والعروق والأعصاب. ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية" (٣).

وقد أخذ الدكتور دراز على عاتقه، بيان الوحدة والنظام في سورة البقرة في الكتاب تطبيقاً لما أفاض في تأكيده.

١٧ (الأستاذ سيد قطب^(٤) (1906-1966م): وذلك في كتابه: (التصوير الفني في القرآن)، وتفسيره: (في ظلال القرآن).

فقد جعل لموضوع "التناسق" فصلاً خاصاً في (التصوير الفني) (١)، وتحدث في (الظلال) عن الوحدة الموضوعية في السورة، وشخصيتها المتميزة قائلاً: " إن كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة،

(١) الفراهي، السابق، (ص10).

(٢) محمد عبد الله دراز (ت 1958م): فقيه متأدب مصري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له: دستور الأخلاق في القرآن، والدين، ومدخل إلى القرآن الكريم. [الأعلام، 246/6].

(٣) دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم (ص155)، دار القلم، الكويت، ط2، 1390هـ - 1970م.

(٤) سيد قطب إبراهيم (1906-1966م): مصري المولد والاستشهاد، حفظ القرآن صغيراً وتخرج في كلية دار العلوم، أديب ومفكر، له: العدالة الاجتماعية في الإسلام، وهذا الدين، والمستقبل لهذا الدين، والنقد الأدبي أصوله ومناهجه، ومهمة الشاعر في الحياة، ومعالم في الطريق. [انظر: الأعلام، 147/3-148، العظم، يوسف، رائد الفكر الإسلامي، الشهيد سيد قطب، دار القلم، دمشق، ط1، 1400هـ - 1980م].

و ذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص في علاج هذا

الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة.

" إنها كلها تتجمع على الموضوع والغاية، ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة، وطرائقها المتميزة، ومجالها

المتخصص في علاج هذا الموضوع، وتحقيق هذه الغاية، إن الشأن في سور القرآن من هذه الوجهة،

كالشأن في نماذج البشر التي جعلها الله متميزة، كلهم إنسان، وكلهم له خصائص الإنسانية، وكلهم له التكوين

العضوي والوظيفي والإنساني، ولكنهم بعد ذلك نماذج متنوعة أشد التنوع"^(٢).

١٨) الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم، في كتابه: (الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم

وسوره)^(٣)، وهو في الأصل أطروحة المؤلف لنيل الدكتوراه، من جامعة الأزهر عام 1971م.

١٩) محمد الصديق الغماري الحسني، في كتابه: (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)، وقد ذكر في

مقدمته أنه أراد أن يبين في الكتاب "مناسبات سور القرآن الكريم بعضها لبعض حسب ترتيبها في المصحف

الشريف"^(٤).

٢٠) الأستاذ سعيد حوى^(٥) في كتابه: (الأساس في التفسير).

حيث يرى الأستاذ سعيد حوى أن الخاصية الأولى لتفسيره وقد تكون ميزته الرئيسية، أنه قدم لأول مرة

نظرية جديدة في موضوع الوحدة القرآنية"^(٦). وهذا التفسير وإن كان يركز على الوحدة القرآنية، والسياق

(١) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، (ص 87-142)، دار الشروق، القاهرة/بيروت، ط8، 1403هـ - 1983م.

(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3/1243)، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ط26، 1418هـ - 1997م.

(٣) القاسم، محمد أحمد يوسف، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، دار الطبوعات الدولية، مصر، ط1، 1399هـ - 1979م.

(٤) الحسيني، أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، (ص 3) عالم الكتب، بيروت، 1406هـ - 1986م.

(٥) سعيد حوى (1935-1989م)، من حماة بالشام، أحد قيادات ومنظري الإخوان المسلمين، صنف: الأساس في السنة، والله جل جلاله، والرسول، والإسلام، وعدداً من الكتب الفكرية والحركية، [حوى، سعيد، هذه تجربتي وهذه شهادتي، والشرقاوي، أحمد، ونظرية الوحدة الموضوعية للقرآن من خلال كتاب الأساس في التفسير، محمد خير يوسف، تنمية الأعلام، 1207-209].

(٦) حوى، سعيد، الأساس في التفسير، (1/21)، دار السلام، مصر، ط2، 1409هـ - 1989م.

القرآني العام؛ فهو كذلك يركز على وحدة السورة، وعلى إبراز سياقها الخاص، بل إن هذه النظرية التي اعتمدها في موضوع الوحدة القرآنية، أعطت السياق الخاص لكل سورة آفاقاً جديدة، كما قال^(١). ومفتاح نظرية الوحدة القرآنية^(٢) عند سعيد حوى، أن كل سورة بعد البقرة إنما هي تفسير لآية أو أكثر من سورة البقرة^(٣)، على ما سيأتي في مبحث تال.

(٢١) الدكتور عناية الله أسد سبحاني، في كتابيه: "إمعان النظر في نظام الآي والسور"^(٤)، و " البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران ^(٥)"، وهما أطروحتا الماجستير والدكتوراه اللتان تقدم بهما المؤلف، ونشرا فيما بعد.

وقد كان الأول تأصيلاً وتنظيراً وتقعيداً للتناسب القرآني - الذي سماه النظام، متابعاً في ذلك العلامة الفراهي-، فيما كان الثاني دراسة تطبيقية لهذا النظام في السور الثلاثة الأولى.

(٢٢) الدكتور محمود البستاني^(٦) في كتابيه: (عمارة السورة القرآنية)، و(التفسير البنائي للقرآن الكريم)^(٧). الكريم^(٧).

يقول الدكتور محمود البستاني بأن السورة هي هيكل أو بناء قد خطط له بدقة وإتقان، وأن لهذا التخطيط فلسفته أو نكاته الفكرية^(٨).

ويرى البستاني أن الدراسات المتناثرة التي اهتمت بما أسماه عمارة السورة القرآنية، "لم تتطرق إلى سور القرآن جميعاً، كما لم يتوفر بعضها على دراسة السورة بأكملها، فضلاً عن أن بعضها الثالث لم يتناول جميع الخطوط التي ترتبط بها شبكة السورة الكريمة بقدر ما اقتصر على واحد أو أكثر من الخطوط المشار إليها، ولعل السر في ذلك بالنسبة إلى الدراسات القديمة، يعود إلى أن القدماء لم يتيسر لهم وعي

(١) حوى، السابق، (2/ 686).

(٢) الشرقاوي، أحمد، نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس في التفسير، وهو في الأصل رسالة ماجستير في أصول الدين، جامعة الأزهر، 1994م. www.saaaid.net.

(٣) حوى، الأساس في التفسير، (11/ 6770).

(٤) سبحاني، محمد عناية الله، إمعان النظر في نظام الآي والسور، دار عمار، عمان، ط 1، 1424هـ - 2003م.

(٥) سبحاني، البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران.

(٦) محمود بن الحاج عبد الحسين البستاني، ولد في النجف عام 1366هـ وجمع بين الدراستين الحوزوية والأكاديمية، له: [الإسلام وعلم النفس، تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، دراسات فنية في التعبير القرآني، دراسات فنية في القصص القرآني]. [انظر: www.ahlulbaitonline.com].

(٧) مقدمة الكتاب الأول، وشرط الكتاب الثاني، على موقع الحوزة www.u-of-islam.net.

(٨) البستاني، التفسير البنائي، المقدمة، عن www.u-of-islam.net.

ثقافي يسمح لهم بدراسة النص الأدبي من خلال (الوحدة العضوية) التي تربط بين أجزاء النص من جانب، وبينه وبين عناصره التي يتألف منها من جانب آخر؛ حيث تتطلب مثل هذه الدراسات ثقافة فنية ونفسية واجتماعية لم تتوفر إلا في العصور الحديثة.^(١)

وبعد استعراض هذه النثلة الكريمة من العلماء، ينبغي التأكيد على أن من خُصوا بالذكر هم نخبة من أبرز المشتغلين بالتناسب عبر العصور، وبالأخص من كانت لهم بصماتهم في هذا المجال، علماً بأن ثمة أعلاماً كباراً من القدماء والمعاصرين - سوى هؤلاء - عُتوا بالمناسبات في تفاسيرهم وأبحاثهم ورسائلهم الجامعية سواء منهم من استعمل مصطلح التناسب أو النظم أو النظام أو الوحدة الموضوعية أو العضوية، وقد أورد الباحث الكثير من أقوالهم في ثنايا هذه الدراسة.

(١) البستاني، عمارة السورة القرآنية، www.u-of-islam.net

المطلب الثالث

المعارضون والرد على اعتراضاتهم

لعل أبرز من نقل عنهم الاعتراض على التناسب هما الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(١)، والإمام الشوكاني^(٢)، فأما العز بن عبد السلام فأكد أن " من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبه ببعضه ببعض، لئلا يكون مقطعا مبترا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك، يصاب عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب "، وضرب لذلك أمثلة بتصرف الملوك والحكام والمفتين، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة و متخالفة ومتضادة، وأنه ليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها^(٣).

وأما الشوكاني، فقد جاء اعتراضه في بدايات تفسيره لسورة البقرة، عند ارام الانتقال من قصة آدم إلى أخبار بني إسرائيل، لينتقد أولئك الذين يقولون بالمناسبة بين القصتين، ويشدد على البقاعى وأمثاله، حيث يقول رحمه الله:

" اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في

(١) عبد العزيز بن عبد السلام، عز الدين السلمي الدمشقي ثم المصري، (557-660هـ)، لقب بسلطان العلماء، اختصر تفسير الماوردي، وله التفسير الكبير، ومن تصانيفه: مجاز القرآن، وشرح الأسماء الحسنى، وقواعد الشريعة [انظر: الأندروي، طبقات المفسرين: 242، والأعلام: 21/4].

(٢) محمد بن علي بن الشوكاني (1173-1250هـ)، مجتهد فقيه من كبار علماء اليمن، ولي قضاء صنعاء، وله أكثر من مائة كتاب في مختلف العلوم الشرعية مثل: نيل الأوطار، وإرشاد الفحول، والتعقيبات على الموضوعات، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد. [انظر: الشوكاني، البدر الطالع، ص732-742، والأعلام: 298/6].

(٣) ابن عبد السلام، عبد العزيز، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، وبذيله: نبذ من مقاصد القرآن الكريم، (ص 338-339)، تحقيق محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/1995م، ونقله الزركشي في البرهان، (63/1)، بتغيير طفيف.

المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه حسبما ذكر في خطبته.

ويتابع الشوكاني: " وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرقا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله، منذ نزول الوحي على رسول الله ﷺ إلى أن قبضه الله عز وجل إليه وكل عاقل، فضلاً عن عالم، لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها بل قد تكون متناقضة". ثم يقول " وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك، وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور؟ فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن، ويفردون ذلك بالتصنيف، تقرر عنده أن هذا أمر لا بد منه، وأنه لا يكون القرآن بليغاً معجزاً إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة وتبين الوجه الموجب للارتباط، فإن وجد الاختلاف بين الآيات فرجع إلى ما قاله المتكلمون، فوجده تكلفاً محضاً، وتعسفاً بيناً، انقذ في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة، هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتباً على هذا الترتيب الكائن في المصحف، فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب، وأيسر حظ من معرفته يعلم علماً يقيناً أنه لم يكن كذلك".

ثم قال: " وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي، وأنزله بلغة العرب، وسلك مسالكهم في الكلام، وجرى به مجاريهم في الخطاب، وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتي بفنون متخالفة، وطرائق متباينة، فضلاً عن المقامين، فضلاً عن المقامات، فضلاً عن جميع ما قاله ما دام حياً، وكذلك شاعرهم، ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر في ساحتها كثير من المحققين.

وختم الشوكاني كلامه بالقول: " وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الوطن؛ لأن الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام، فإذا قال متكلف: كيف ناسب هذا ما قبله؟ قلنا: لا كيف"^١.

وفي الإجابة عن كلام العالمين الجليلين، ربما تحسن الإشارة إلى الأمور الآتية:

(١) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (1/ 171-174)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، ط 2، 1418هـ - 1997م.

(١) أنهما يتفقان في مجمل الاعتراضات، بل يمكن القول إن كلام الشوكاني رحمه الله هو بسط وتطويل

لكلام العز بن عبد السلام، لكن في سياق خطابي، ولذلك لن أفرد كل واحد منهما بجواب خاص.

(٢) أن العز رحمه الله، لا يرفض التناسب مطلقاً، بل يشترط فيه أن يقع في أمر مرتبط بأخذه، دون

ما يقع على أسباب مختلفة، على حد تعبيره، وهذا سبب لوجازة كلامه وخفة حدته، كما يبدو.

(٣) أن للإمام الشوكاني قولاً آخر يناقض فيه قوله الأول، يشي في البقاعي وتفسيره وذكائه، حيث يقول

خلال ترجمته له:

"ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير - يقصد نظم الدرر للبقاعي- الذي جعله في المناسبات بين

الآي والسور؛ علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء، الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وكثيراً ما

يشكل عليّ شيء في الكتاب، فأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا

الكتاب فأجد فيه ما يفيد في الغالب، وقد نال منه علماء عصره بسبب تصنيف هذا الكتاب"^(١).

ثمة قرائن عدة تؤكد أن ما قاله الشوكاني في البدر الطالع، هو القول الأخير عنده في المسألة، حيث يذكر فيه أنه

في حالات كثيرة، وعندما يشكل عليه فهم شيء في كتاب الله تعالى، فإنه يجد ما يشفي عند البقاعي، بعد أن لا

يجد شيئاً في مطولات التفاسير الأخرى ولا مختصراتها، وهذه القناعة لم تكن قد تحصلت للشوكاني في بدايات

اشتغاله بالتفسير، حين قال القول الرافض وهو لما يزل يفسر أوائل سورة البقرة.

ومن يقرأ ثناء الشوكاني على البقاعي ودفاعه عنه، والرد على السخاوي^(٢) الذي نال من البقاعي وانتقص من

قدره^(٣)، يدرك أن هذا الموقف مبني على سعة اطلاعه على إنتاج البقاعي العلمي، ولعله كان متأثراً في البداية

ببعض قراءاته للمتحمّلين عليه، حيث ذكر الشوكاني أن البقاعي قد "نال منه علماء عصره بسبب تصنيف هذا

الكتاب"، وأن موقف السخاوي من البقاعي - كما قال الشوكاني - هو من كلام الأقران في بعضهم بعض بما

يخالف الإنصاف، لما يجري بينهم من المنافسات^(٤).

(١) الشوكاني، البدر الطالع، (ص 40-41).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السخاوي (831 - 902 هـ) ولد القاهرة تتلمذ على ابن حجر، له: تاريخ مصر الإسلامية، والشافعي في وفيات الأئم، والضوء اللامع، انظر: الشوكاني، البدر الطالع 701-704، وترجمته لنفسه في الضوء اللامع 3/8-24.

(٣) انظر: السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (1/82-91)، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1422هـ - 2002م.

(٤) الشوكاني، البدر الطالع، (ص 41).

وربما كان تراجع الشوكاني عن معارضته لعلم المناسبة، كافياً لعدم الالتفات إلى قوله السابق؛ سيما وأن الشوكاني نفسه قد أورد العديد من المناسبات في تفسيره بين الآيات أو بين السور، كما أوضح ذلك الدكتور الشرفاوي في بحثه القيم: (موقف الإمام الشوكاني في تفسيره من المناسبات)^(١)، ولكن لئلا يعلق شيء من الاعتراضات في أذهان البعض أرى أن أرد عليها، سيما وأن تفسير الشوكاني مشهور وذائع الصيت يطلع عليه الكثيرون، فضلاً عن أن اعتراضه على التناسب في بدايته، فيما كتبه (البدر الطالع)، ليس له نفس الشهرة، وبالكاد يستعمله بعض الباحثين بشكل محدود عند الحاجة.

أهم الاعتراضات على التناسب القرآني

بالإمكان تقسيم اعتراضات ابن عبد السلام والشوكاني وغيرهما على علم المناسبة القرآني، في النقاط الآتية:

(١) الخلاف حول توقيفية الترتيب لسور القرآن.

ربما يزعم الباحث أن هذا هو أحد أبرز القضايا التي أثارت الكثير من الغبار على موضوع التناسب، ولذلك فقد بسط القول فيه في المبحث الأول، لتأكيد أن ترتيب السور والآيات توقيفي.

(٢) نزول القرآن مفرقاً حسب حوادث متخالفة.

وهذه النقطة - كما يرى الباحث - من آثار النقطة السابقة، حيث تعدى اعتراض بعض العلماء على المناسبة بين السور، لعدم قولهم بتوقيفية ترتيبها، إلى الاعتراض حتى على المناسبة بين الآيات على الرغم من إجماعهم^(٢) على توقيفية ترتيبها.

وحجتهم أنه كما لا يصح البحث عن المناسبة بين كلام الخطباء ونظم الشعراء وإنشاء الأدباء، التي قيلت في ظروف مختلفة زماناً ومكاناً وموضوعاً، فكذلك لا يصح البحث عن المناسبة بين آيات القرآن التي تنزلت في ظروف متعددة ومتباينة.

ويكفي في الإجابة عن ذلك أن أيّ أديب أو شاعر، "يجمع ويرتب" ما تنأثر من إنتاجه بين دفتي كتاب، لا بد وأن يكون له منهج ومنطلق في ترتيب كلامه، إذ قد يرتبه على الزمان، أو قد يخالف الترتيب الزمني لإنشائه، فيرتب أجزاءه على الموضوع، أو بحسب الطول والقصر، أو القوة والضعف، أو غير ذلك، بحسب ما يقتضيه النظر عنده، أو الغرض الذي يرمي إليه.

(١) شبكة التفسير والدراسات القرآنية www.tafsir.net، وصيد الفوائد www.saaaid.net.

(٢) السيوطي، الإتيقان، (132/1).

هذا عند البشر المخلوقين، فهل إذا رتب الله تعالى آيات كتابه وسوره بغير الترتيب الذي أنزلها فيه، لا يكون ذلك عن حكمة؟! وكيف يجتمع في العقل والذهن، بل كيف ينسجم مع الإيمان، القول بأن الترتيب من الله تعالى الحكيم العليم، مع رفض البحث عن الحكمة من هذا الترتيب؟ بل رفض الاستماع إليها وتشديد النكير عليها؟. إن الرسول ع " كانت تنزل عليه الآيات فيأمر كتبة الوحي أن يضعوها في موضعها بين ما نزل من القرآن، في هذه السورة أو تلك، ويضع بعض ما نزل في مكة بين آيات السور المدنية، فلولا أن رابطاً يجمع بين هذه الآيات بعضها وبعض ما كان ثمة سبب يدفع إلى هذا الوضع ولا يقتضيه، بل لرتبت الآي كما نزلت وما كان هناك داع إلى ترتيب ولا تبويب، أما القرآن قد نزل للناس كافة، ولأجيال جميعها؛ فقد اختار الله لكتابه خير ترتيب يحقق الهدف الذي له نزل الكتاب الحكيم"^(١).

(٣) الزعم بأن هذا العلم متكلف.

لعل أمراً آخر بالغ الأهمية مما يستند إليه المعترضون على التناسب القرآني، هو بعض الكلام المتكلف في القول بالمناسبة، ومع التسليم بوجود التكلف والمتكلفين، فليس كل ما يقال متكلفاً، ولا ينبغي أن يكون ذلك ذريعة لرد الوجوه المعقولة المقبولة التي ذكرها الآخرون^(٢). والواقع أنه لا يكاد يخلو علم من متكلفين، يميز تكلفهم عادة أولو الاختصاص، لكن لا أحد يطالب بإلغاء هذا العلم لأجل هذه الفئة، ولو طالب ما استمع إليه أحد. إن علم المناسبات القرآنية، يعتبر — وبحق — من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى غوص عميق وطول فكر وتدبر، والغائص لا يُشترط أن يخرج باللؤلؤ بعد كل غوص.

فلدقة هذا العلم قل المهتمون به^(٣)، وندر المشتغلون فيه حتى لقد اشتكى أحدهم، وهو القاضي أبو بكر بن العربي، بأنه إذ لم يجد من يحمل هذا العلم ويأخذه عنه، فإنه قرر أن يتوقف عن الحديث فيه وتعليمه، بعد أن أكد أنه لم يتطرق لعلم التناسب القرآني إلا عالم واحد كتب عن التناسب في سورة البقرة^(٤).

وبسبب من القصور البشري، والكمال القرآني، وكونه لا يخلق على كثرة الرد؛ فإن القرآن العظيم يكشف للمتدبر عند كل نظر معنى إضافياً، ووجهاً جديداً للتناسب، ولذلك قد يرى هذا العالم عند آية معينة أو سورة محددة غير ما يراه سواه عند النقطة ذاتها، بل إن العالم الواحد ليرى عند كل نظر جديداً لم يفتن إليه من قبل،

(١) بدوي، أحمد أحمد ، من بلاغة القرآن، (ص:239)، دار نهضة مصر، القاهرة، ط 3، 1370هـ - 1950م.

(٢) مُسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، (ص65)، دار القلم، دمشق، ط1، 1410هـ - 1989م.

(٣) الزركشي، البرهان ، (62/1).

(٤) الزركشي، السابق، (62/1).

كما قد يصحح قول غيره أو قوله السابق، وثمة شواهد عدة عند البقاعي في نظم الدرر، والسيوطي في تناسق الدرر، تؤكد ذلك؛ حيث يكرران التصريح بالاهتداء إلى التناسب بعد طول تفكير أو شهور من التفكير والتدبر، أو يستدرك أحدهما وهو يتحدث عن وجه المناسبة فيذكر ما يراه ألطف منه أو أحسن منه.

فالبقاعي يؤكد في مقدمة تفسيره مقدار الجهد فيه حيث يقول: "فلا تظنن أيها الناظر لكتابي هذا أن المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها والرفع لستورها؛ فربَّ آية أقيمت على تدبرها شهوراً" ^(١)، وفي سياق حديثه عن مقاصد سورة آل عمران يقول: "هذا ما كان ظهر لي أولاً، وأحسن منه أن... " ^(٢)، ويعيد ذات العبارة في سياق المناسبة بين سورتَي البقرة وآل عمران: "وأحسن منه أنه لما... " ^(٣).

والسيوطي يكرر عبارة: "وقد ظهر لي وجه اتصالها"، وعبارة: "ثم ظهر لي بحمد الله وجه آخر أتقن مما تقدم"، و"ظهر لي بعد الجهد".

ومن الأمثلة أن السيوطي وهو يتحدث عن المناسبات بين سورتَي البقرة وآل عمران قال: "فذكر هناك — يعني في البقرة — ذكر خلق الناس، وذكر هنا تصويرهم في الأرحام، وذكر هناك مبدأ خلق آدم، وذكر هنا مبدأ خلق أولاده. وأطف من ذلك: أنه افتتح البقرة بقصة آدم حيث خلقه من غير أب ولا أم، وذكر في هذه نظيره في الخلق من غير أب، وهو عيسى عليه السلام... إلى آخر كلامه ^(٤)"، وقال في المناسبة بين النمل والقصص: "ظهر لي بعد الفكرة ^(٥)"، وقوله: "ثم ظهر لي بحمد الله وجه آخر أتقن مما تقدم ^(٦)" وقوله "ثم ظهر لي وجه آخر أحسن في الاتصال ^(٧)" وهو يتحدث عن مناسبة الكهف للإسراء.

ومن المعاصرين سيد قطب الذي كان يمضي شهوراً لأجل معرفة وجه الاتصال بين الآية وسابقتها، كما حصل معه عندما استوقفه سر الانتقال المفاجئ من الحديث عن أحكام الطلاق إلى الأمر بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى ثم العودة مرة أخرى إلى موضوع الطلاق ^(٨)، وينقل الدكتور صلاح الخالدي عن الطبعة

(١) البقاعي، السابق، (8/1).

(٢) البقاعي، السابق، (3/2).

(٣) البقاعي، السابق، (4/2).

(٤) السيوطي، جلال الدين، تناسق الدرر في تناسب السور، (ص: 73)، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط 1، 1406هـ — 1986م.

(٥) السيوطي، تناسق الدرر، (ص: 108).

(٦) السيوطي، السابق، (ص: 85).

(٧) السيوطي، السابق، (ص: 100).

(٨) انظر: [البقرة: 238]، والآيات السابقة واللاحقة.

حدا بأهل السنة، كما يقول الفراهي، أن يدعوا إلى الالتزام بما روي عن الصحابة والتابعين سداً لأبواب الفتنة، ولأجل ألا يكون تأويل للقرآن إلا وهو مؤسس على قواعده التي تكون فارقة بين الحق والباطل ، ويعجب الفراهي كيف يتمتع أهل الحق عن الفكر والنظر في آيات الله المشهودة والمنلوثة، بعد أن علموا أن القرآن حث على الفكر والتدبر في كليهما، وأن الصحابة، رضي الله عنهم، كانوا يقولون بما فهموا منه، وينقلون ذلك عنهم^(١).

والتفسير بالرأي، ومنه التماس المناسبة، مثل الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية، فإنه لا يزال مفتوحاً أمام أربابه، والمجتهد في حكم الشرع مأجور، أخطأ أم أصاب^(٢). ومن ثم فلا ينبغي التشنيع على المفسرين وأهل العلم الذين يلتزمون المناسبة إذا ما أخطأوا الاجتهاد.

(٦) الاشتراط بأن يقع الكلام في أمر متحد لقبول المناسبة: على ما قال العز بن عبد السلام، والملاحظ أن الذي قاله العز رحمه الله يكاد يتبناه الكثير من الباحثين حتى من المشتغلين بالتناسب، وسنجد من يعترض على التناسب بين السور، أو الوحدة العضوية في السورة، كما سنجد من يعترض على اتصال اسم السورة بموضوعها، أو على الأقل بيدي شيئاً من التحفظ.

إن المشكلة ليست في أن التناسب موجود في مواضع وغير موجود في مواضع أخرى؛ حيث إنه موجود في كل موضع من كتاب الله تعالى؛ ولكنه ظاهر جلي في مواضع، وخفي مستتر يستدعي غوصاً وعمق تفكير في مواضع أخرى، وقد يوفق له العالم أو لا يوفق.

(٧) الزعم بعدم وجود وحدة موضوعية في السورة.

حيث يقول الدكتور محمد رجب البيومي: "إن محاولة الربط الوثيق بين أغراض السورة الواحدة مهارة عقلية فائقة، وهي وإن ظهرت بين الآيتين المتجاورتين على نحو من التأويل في بعض ما تختلف به وجوه القول من آيات الذكر الحكيم، فإن بعض السور، لا تكاد تدور على فكرة خاصة بما يساق من هذه المعاني؛ لأن الربط الذي برع فيه بعض المفسرين كان ربطاً جزئياً ينظر إلى الآية المجاورة دون أن يحدد هدفاً واحداً للسورة إلا

(١) الفراهي، التكميل في أصول التأويل، (ص 8، 9) بتصرف، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند، دت، دط.

(٢) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (262/1)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط2، 1396هـ - 1976م.

بتكلف خاض في الخائضون عن اجتهاد يخطئ ويصيب" ^(١). ويلاحظ في كلام البيومي تعريضه بالقائلين بوحدة السورة من خلال قوله بأن محاولة الربط هذه مهارة عقلية فائقة، كما لو كان الحديث عن هذه الوحدة نوعاً من إسباغ العقلانية على ما ليس بعقلاني، والغريب أنه، في نفس مقالته، ^(٢) ينقل عن الرافي ^(٣) رحمه الله كلامه عما أسماه روح التركيب ^(٤) الذي يؤدي إلى أن يتعلق أجزاء النص القرآني بعضه ببعض، كأنما وُضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت، فكيف يقبل ما يؤدي إليه الحس والشعور عند قراءة القرآن الكريم، ثم هو يرفض الأدلة العقلية والبراهين الواقعية المؤكدة لمشاعره وأحاسيسه؟.

إن مشكلة المعارضين للوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، هي أنهم قاسوا السورة القرآنية على مؤلفات البشر وتقسيمهم لموضوعات كتبهم، ونسوا أن القرآن يتعامل مع النفس ليربيها، ولذلك ينوع لها في المداخل والمآخذ، لعلمه سبحانه بالنفس الإنسانية التي هو فاطرها، وأحسن السبل للتأثير فيها. إن القرآن ينتقل بين الأغراض المختلفة، "لا اعتباطاً وبلا هدف، ولكن لصلات وثيقة تربط بين هذه الأغراض، بحيث تتضافر جميعها في الوصول إلى الغاية القصوى وتحقيقها" ^(٥).

" إن القرآن كتاب رسالة يتجه إلى بناء الشخصية الإنسانية على أساس مفاهيمها الأساسية، وليس كتاباً تقليدياً يتحرك في اتجاه تحليل فكرة معينة بطريقة موضوعية تحاول أن ترصد الموضوع من جميع جوانبه، كما لو كان شيئاً مستقلاً بنفسه بعيداً عن أي تأثير قريب أو بعيد بالواقع الداخلي للإنسان. وفي ضوء ذلك، نجد القرآن يؤثر في السورة الواحدة عدة مواضيع متنوعة تختلف في طبيعتها، وفي مواقعها وعلاقاتها بالأشياء، فلا تشعر بوجود وحدة موضوعية تجمع هذه المواضيع في نطاق موضوعي واحد؛ ذلك ليس المشكلة في القضية، بل القضية هي أن هناك جانباً إنسانياً يراد معالجته في عملية صنع الشخصية" ^(٦).

(١) البيومي، محمد رجب، البيان القرآني، (ص: 133-134)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة- بيروت، ط 1، 1421هـ - 2001م.

(٢) البيومي، البيان القرآني، (ص 133).

(٣) مصطفى صادق عبد الرزاق الرافي، أديب وشاعر مصري أصله من طرابلس الشام، دارت بينه وبين كل من العقاد وطه حسين معارك أدبية وفكرية، له: تاريخ آداب العرب، وتحت راية القرآن، ووحى القلم، والمساكين [الأعلام: 235/7].

(٤) الرافي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (ص: 278-279)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط 7، 1381هـ - 1961م.

(٥) بدوي، من بلاغة القرآن، (ص: 230).

(٦) الدغامين، زياد، منهجية البحث في التفسير الموضوعي، (ص 118) دار البشير، عمان، ط 1، 1416هـ - 1995م. عن/محمد حسين فضل الله، في ظل التربية الإسلامية، مقالات المؤتمر الثاني للفكر الإسلامي بطهران.

(٨) الاعتراض على التناسب بين اسم السورة وموضوعها

يكتنف موضوع المناسبة بين موضوع السورة واسمها ما يكتنف مباحث التناسب جميعها، من حيث إنها ليست كلها في غاية الجلاء والوضوح، وكأن الله تعالى جلى لنا بعضها ليحفزنا على التدبر بحثاً عما خفي منها، وما قيل في الرد على منكري المناسبة عموماً، يقال هنا أيضاً في مواجهة المعترضين على ارتباط اسم السورة بموضوعها، سواء لخفائه أو لتكلف القائلين به، ولكن لا يسعنا إنكاره، سيما وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، كما نُقل في المبحث الأول عن السيوطي.

إن إيماننا بتوقيفية أسماء السور، يقتضي البحث عن الحكمة من وراء هذه التسمية الربانية، حيث لا يعقل أن يصدر عن أحكم الحاكمين إلا كل أمر حكيم، وخفاء الحكمة لا يعني عدم وجودها.

يقول الزركشي في أسماء السور: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريظة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها"^(١).

وقول الزركشي أنه ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، حق، ومن ثمّ فالمطلوب البحث عن الحكمة الإلهية في التسمية، لكن لا يُسلم له ما بعده؛ لأنه يُسقط الأسباب البشرية والعادة العربية على الذات الإلهية والحكمة الربانية؛ حيث إن التسمية لهذه السور توقيفية ابتداءً، لا أن الله - تعالى - استوقفه أمر نادر أو بارز أو غريب فسمّاها لأجله، وكونها منزلة للبشر عموماً والعرب ابتداءً، لا يعني أنها قد خضعت لقوانينهم. وكذلك فإن أستاذنا الدكتور فضل عباس مع تأكيده بأن أسماء السور توقيفية - كما نقلنا عنه في المبحث الأول من هذا الفصل - فإنه لا يرى بأنه من الممكن تحليل جميع أسماء السور، حيث يقول في (إتقان البرهان): "حاول بعض العلماء أن يعللوا أسماء السور، ولكن إن تم هذا لهم في كثير منه، فلن يتم لهم في كثير منها كذلك، فمما قُبِلَ تحليله: سورة يوسف وسورة نوح عليهما السلام، حيث إن كل سورة تتحدث عن النبي الذي سميت باسمه، وقد قالوا: إن سورة هود عليه السلام، سميت باسمه مع كون قصة نوح فيها أطول من قصة هود؛ وذلك لأن

(١) الزركشي، البرهان، (١/ 340).

ويتابع الدكتور فضل عباس:" ولكن هذا التعليل لا يتم لنا - كما قلت - في سور القرآن كلها، فعلى سبيل المثال سورة يونس - عليه السلام - لم تذكر فيها قصته، وإنما ذكر فيها آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ثَأْبَابُ﴾^(١). ذكرت بشيء من التفصيل في سورة الصافات كما ذكرت في غيرها، فكانت سورة الصافات وغيرها أولى أن تسمى سورة يونس، لو أن الأمر يخضع للتعليل"^(٢).

والربط بين التسمية وعدد مرات تكرار الاسم في السورة منطقي، كما ذكروا بالنسبة إلى سورة هود، ومن المناسب أخذه بعين الاعتبار كأحد أسباب التسمية، لكن ما قيل من أن سبب تسمية سورة هود - مع أن قصة نوح فيها هي الأطول - هو أن لنوح سورة خاصة به، فغير مقبول؛ لأن الكلام يوحي بأن تسمية هود كانت اضطرارية، وهذا القول إن قبل في حق البشر فلا يقبل بحال بالنسبة إلى الله تعالى، وكذلك فإن هذا القول يوحي بأن سورة نوح نزلت قبل هود، فيما تذكر كتب علوم القرآن أنها نزلت بعدها، وأنه قد نزل بين السورتين ما يقارب العشرين سورة^(٣).

وحيث إن أمر التسمية مرتبط بالوحي الإلهي، وليس المقياس هو المساحة التي يأخذها الاسم من السورة حتى نحكم بأنه يعلل أو لا يعلل، بل إن الإشارة السريعة أو اللمحة الخاطفة للاسم في السورة، لتستوجب منا تفكيراً أعمق وتدبراً أكبر، سعياً وراء حكمة التسمية، كما في سورة يونس وأمثالها.

كذلك فقد اعترض الدكتور زياد الدغامين على قول البقاعي بأن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، وقال بأن هذا: "أمر بحاجة إلى إعادة نظر، فضلاً عن أن بعض السور لها أسماء مختلفة كسورة غافر، أو سورة المؤمن، فكل اسم سورة أطلق عليها باعتبار يغاير الاعتبار في الاسم الآخر، فكيف يكون الاسم - مع هذا - مترجماً عن

(٣) أبو زهرة، محمد، أصول الفقه، (ص 237)، دار الفكر العربي، بيروت، دط، دت.

مقصودها؟^(١). علماً بأن الدكتور الدغامين لا ينكر أن يدخل اسم السورة ليدل على موضوعها أو ليشكل دعامة في ذلك الموضوع^(٢).

إن كلام الدكتور الدغامين يجيب عن تساؤله، فما دام أن كل اسم سورة أُطلق عليها باعتبار "أي لعة وحكمة إلهية، فهذا يقتضي التفكير فيه، وأما تعدد الاعتبارات بتعدد الأسماء فلا يلغيها، بل يستدعي ملاحظتها كلها، وفي وجود اسمين توقيفين لسورة واحدة، دعوة للنظر إليها من خلال زاويتين لا زاوية واحدة، وهذا عامل مساعد لحسن التدبر وفهم مراد الله تعالى، وليس عاملاً مربكاً أو موقفاً في البلبلة والاضطراب، سيما وأن تغاير الاعتبارات لا يعني تناقضها بل تنوعها وتكاملها، وقد رأينا أن الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم قد أطلقوا الأسماء والأوصاف والألقاب على السور الكريمة، انطلاقاً من ملاحظ التفات إليها، أو أرادوا من غيرهم الالتفات إليها، لمزيد الإيضاح والبيان.

وخلاصة القول أن: "التوقيف في أسماء السور يجعل من اسم السورة عنواناً بارزاً لمحور المعنى أو المعاني المتناسقة التي تتضمنها السورة، كما أن الأسماء التي ذكرت زيادة على الأسماء التوقيفية ترتبط كذلك لدى المفسرين من الصحابة وتابعيهم بالمعاني التي تتضمنها السورة^(٣)؛ وعليه" فعنوان السورة - أو اسمها - مفتاح لمعانيها^(٤).

(٩) الادعاء بأن القرآن جاء على طريقة العرب في الكلام وهي الاقتضاب:

والاقتضاب: هو قطع الكلام واستئناف كلام غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه^(٥)، حيث يُنسب إلى أبي العلاء محمد بن غانم^(٦) قوله: "إن القرآن إنما وقع على الاقتضاب، الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم!!"^(٧)، ثم تابعه الشوكاني ليقول بأن القرآن الذي نزل بلغة العرب، قد سلك مسالكهم في الكلام، وجرى

(١) الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، (ص 103).

(٢) الدغامين، السابق، (ص 131).

(٣) سعيد، محمد رأفت، سورة لقمان بين كلمة التنزيل وتناسب الترتيب، (ص12)، دار المنار، القاهرة، 1412هـ - 1992م، د.ط.

(٤) سعيد، السابق، (ص13).

(٥) ابن الأثير الجزري، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (241/2)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.

(٦) أبو العلاء، محمد بن غانم، المعروف بالغانمي، ولد بنيسابور عام 464هـ، كان من فضلاء عصره، وشعره مشهور، من شعراء نظام الملك، [عز الدين ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأساب، 374/2].

(٧) السيوطي، الإتيان، (237/2).

مجاريهم في الخطاب، إذ كانت عاداتهم أن يأتوا بفنون متخالفة وطرائق متباينة، في المقام الواحد، فضلاً عن المقامين فضلاً عن المقامات.

ويرد الدكتور أسد سبحاني بأن "العرب كانوا أبعد الناس عن الاقتضاب، وكانوا أرغبهم في دقة السبك وحسن النظام، حتى إنه كان يُعتبر عندهم مقياساً لجودة كلامهم وبلاغته"^(١)، واستشهد على ذلك بأقوال بعض بلغاء العرب، من مثل: "البلاغة أن يكون أول كلامك يدل على آخره، وآخره يرتبط بأوله"^(٢). فهذا واقع طريقة العرب في الكلام شدة التماسك والارتباط، أما منشأ الوهم بأن طريقتهم الاقتضاب - كما يفسره أسد سبحاني - فإنه لما كانت البلاغة عندهم الإيجاز وقلة اللفظ، وكان الأصل في كلامهم تنكب الفضول وبلوغ المعنى ولما يطل سفر الكلام؛ كانوا يقفزون في كلامهم قفزات واسعة، وكانوا يحذفون من الحديث ما كان مفهوماً لدى السامع، ولو لم يفعلوا لكان عاراً عليهم، فإنهم بطبيعتهم كانوا يحبون الكناية في الكلام، وعندهم أن الكلام الذي لا حذف فيه لا محل فيه للعقل والنظر، كما نقل عن الفراهي، وكان ذكاؤهم يريهم الكثير في القليل، وكانوا يقولون منوهين بميزته هذه: "الحر تكفيه الإشارة"^(٣)، وهذا الإيجاز في الكلام وسرعة الانتقال من مقال إلى مقال مقال أصبحت آفة عند الذين جاءوا من بعدهم، فإنهم نشأوا على الإسهاب في القول والإفاضة في الكلام لقلة حظهم من ذوق البلاغة وذكاء القريحة وحسن البيان.

ويتابع أسد سبحاني أنه لما استعصت عليهم متابعة الشاعر العربي في تخلصاته السريعة اللطيفة اتهموه بالاقتضاب، وكان أولى بهم أن يتهموا أنفسهم هم بالعجز، دون أن يتهموا التراث الأدبي العربي بما هو بريء منه^(٤).

وما ورد من الاقتضاب في الكلام العربي، فلا يكاد يخلو منه كلام في أي لسان، وقد كانوا هم أول ناقديه، ولم يكن معدوداً عندهم من الكلام البليغ. ولعل بعض الاقتضاب يرجع إلى ما أصاب الشعر الجاهلي من نسيان بعض أجزائه ونسبة الرواة بعضاً من أجزائه إلى غير قائله، والانتحال. وإذا كان ذلك حال الشعر فإن إمكانية

(١) سبحاني، إنعام النظر، (ص: 83).

(٢) ابن رشيق، العمدة، (244/1).

(٣) الميداني، مجمع الأمثال، (رقم 2447)، وهو عجز البيت : (العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة).

(٤) سبحاني، إنعام النظر، (91، 92)، بتصرف.

الخلل في النثر أكبر؛ لأنه غير منظوم^(١). وقد سبقت الإشارة إلى ما كان يذكره شيخ المفسرين الطبري عن حذف بعض الكلام لظهوره^(٢).

وخلاصة القول أن الاقتضاب ليس من خصائص الكلام العربي، بل هو عيب في الكلام ونقص في صاحبه، ينتزه عنه الكلام البليغ فضلاً عن أبلغ الكلام.

(١٠) الظن بأن التناسب يعني التماثل:

سبق القول في مقدمة هذا المبحث أن المناسبة مدعاة للتشابه، وإن كان مجرد المناسبة لا يقتضي بالضرورة حصول المشابهة، وبحسب الدكتور دراز، فإن بعض الباحثين ظنوا أن المناسبات الموضوعية بين أجزاء السورة تعني الاتحاد أو التماثل أو التداخل أو غيرها من الصلات الجنسية فحسب، وقد أدى هذا الظن إلى أن يتعسف البعض في إثبات هذا النوع من الاتصال، وفريق آخر - إذ لم يجد التشابه - نفى وجود الاتصال، وادعى أن الاقتضاب هو الأصل في القرآن وكلام العرب.

وبرأي دراز فإن "التزام طريق معين في المناسبة وهو أن تكون من قبيل التجانس المعنوي زادت المسألة ضيقاً وحرَجاً، وذلك أفضى هذا الرأي بأصحابه إلى أحد الطرفين المذمومين: التكلف أو الخروج"^(٣). علماً بأن الصلات بين أجزاء القرآن، كما بين الكلام عموماً، قد تكون التشابه أو التضاد أو التفرع أو الاستنباط أو التمهيد أو غيره^(٤).

وقد خلص الدكتور محمد بازمول بعد مناقشته لمذهب المانعين للتناسب، والمطلقين بالجواز إلى حد التكلف، إلى أن الصواب هو جواز طلب المناسبات بين السور والآيات، وأنه علم حسن، ولكن بشروط، هي:

(أ) أن تكون المناسبة منسجمة مع السياق والسباق واللاحق.

(ب) أن لا تكون المناسبة متعارضة مع الشرع.

(ت) أن تكون متوافقة مع تفسير الآية، غير مخالفة له مخالفة تضاد.

(ث) أن لا تكون المناسبة متعارضة مع اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن العظيم.

(١) فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، (١/86-89)، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1984م.

(٢) في المطلب الثاني من هذا المبحث.

(٣) دراز، النبأ العظيم، (ص 160).

(٤) دراز، السابق، (ص 161).

ج) أن لا يجزم المفسر بأن هذه المناسبة هي مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أداه إليه اجتهاده ونظره وتدبره.

ح) أن يعلم أن المناسبة موجودة، ولا يلزم أن تكون ظاهرة في كل موضع لكل أحد. وقد انتهى إلى أنه يشترط لجواز طلب المناسبات ما يشترط في قبول التفسير بالرأي، لكونها مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً^(١).

ولعل الأنسب من قول الدكتور محمد بازمول أن طلب المناسبات جائز شرعاً، أن يقال بأن حكمه هو أنه مندوب وقد يصل إلى الوجوب؛ إذ ينبغي على البحث في موضوع المناسبات القرآنية حسن فهم مراد الله تعالى في قرآنه، كما سيأتي في المبحث التالي. وكان الدكتور الفاضل ربما هالته حدة النبوة في كلام الشوكاني رحمه الله، فأراد التوسط بين فريق المانعين الذين يشددون النكير، وفريق القائلين بالتناسب الذين لا يخلو بعض كلامهم من التكلف، وقد سبق القول بتراجع الشوكاني نفسه عن مقالته، فما ينبغي أن تجعل في مقابلة أئمة العلم من القائلين بالتناسب عبر العصور.

(١) بازمول، علم المناسبات بين السور والآيات، (ص37).

المطلب الرابع

أهمية علم المناسبات

تعرض غير واحد من الذين تكلموا في المناسبات إلى فوائدها وثمراتها ومزاياها، وهناك العديد من القواسم المشتركة فيما يقولون، وقد أفاض في ذلك البقاعي وأسد سبجاني، وسعيد حوى، وغيرهم، والسطور الآتية تسعى لاقتطاف أبرز ما قيل:

١) فهم مراد الله تعالى في كتابه، وعدم الوقوع في اللبس أو الخطأ

فمثلاً استند كثير من القدماء والمعاصرين على هذا الجزء من قوله تعالى على لسان العزيز: **ثُمَّ وَرَوَّاهُ بِرُوَاهِهِمْ وَيَسَّاهُ لِي يَاسِينَ** [يوسف: ٢٣]؛ في القول بأن ذلك تقرير إلهي بأن كيد النساء عظيم، حيث غفلوا عن أن القائل هو العزيز، وكون القرآن أورد قوله لا يعني بالضرورة موافقته عليه، وكم قد اقتبس القرآن من أقوال الكفار والمنافقين! فضلاً عن أن هذا القول من العزيز دليل على ضعف شخصيته وعجزه أمام انحراف زوجته^(١).

وفي قوله تعالى **ثُمَّ آتَاهُ آسَاةً وَيَسَّاهُ لِي يَاسِينَ** [التين: ١ - ٣]، فإن من رجح من العلماء بأن التين والزيتون من المواضع لا من المأكول استدل بقوله: "أما كونهما من المواضع فقد دل عليه السياق، لأنه تعالى قرن التين والزيتون بطور سينين والبلد الأمين؛ فدل النظم على كونهما اسمين لموضعين^(٢)".

٢) معرفة المناسبة والنظام مفتاح لكثير من كنوز القرآن وحكمه

يقول الإمام الرازي إن "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"^(٣)، والبقاعي يؤكد أن "المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف، بدیعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر"^(٤)، وقال الفراهي: "ولما كان أكثر الحكم ومعالي الأمور مخبوءة تحت دلالات النظم، فمن ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه"^(٥).

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، (127/2)، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ - 1998م.

(٢) الندوي، أبو الحسن الحسني، **تأملات في القرآن الكريم**، (ص104)، دار القلم، دمشق، ط1، 1991م.

(٣) الرازي، **التفسير الكبير**، (110/4).

(٤) البقاعي، **نظم الدرر**، (8/1).

(٥) الفراهي، **دلائل النظام**، (ص38).

ويجد القارئ أن المفسرين، والمشتغلين بعلوم القرآن والدراسات القرآنية، كثيراً ما يتوقفون عند السر في اختتام آية ببعض الأسماء الحسنى واختتام غيرها بغيرها، وكذا التوقف عند ما أسموه براعة الاستهلال بالنسبة لسورة معينة، أو حسن اختتامها، والمعنى من تتالي آيتين أو سورتين، زائداً على القول السابق في تفسير كل منهما على حدة، ومثله في ترتيب المواضع في الآية الواحدة، كالسر في ترتيب أركان الإيمان في الآية الكريمة (آمن الرسول...) [البقرة:285]، أو الحكمة في ترتيب وجوه البر، في قوله تعالى: (ليس البر...) [البقرة:177]، والمعاني من كون الفاتحة في أول المصحف، والمعوذتين في آخره.

٣ إظهار أسرار الإعجاز القرآني والكشف عن كنوزه

التناسب وجه من وجوه الإعجاز القرآني، ودليل آخر على ربانية هذا الكتاب العظيم، يقول البقاعي في نظم الدرر: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين : أحدهما : نظم كل جملة على حياها بحسب التركيب، والثاني : نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب" (١). وحول الإعجاز في الترتيب، يقول الفخر الرازي في ختام تفسير سورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف تفسير هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب ألفاظه وشرف معانيه، فهو معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته" (٢). وقال الشيخ أبو بكر النيسابوري: "إن إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية، والقوية بين آياته وسوره، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة، ترتيباً وتماسكاً" (٣). وعند الأستاذ سعيد حوى أن مثل هذه الدراسات "تضع لبنة في صرح الحديث عن إعجاز القرآن ومعجزاته... (و) أن هذا الترتيب ما بين سور القرآن على هذه الشاكلة التي رتبها الله عز وجل في كتابه، شيء به وحده تقوم الحجة على كل من يتصور أن هذا القرآن يمكن أن يكون بشري المصدر" (٤).

(١) البقاعي، نظم الدرر، (7/1).

(٢) الرازي، التفسير الكبير، (106/3).

(٣) حسن، سامي عطا، المناسبات بين الآيات والسور، www.saaid.net ، نقله عن: رضوان، د. بسيوني عرفة ، الفصل والوصل، (ص 39) مكتبة الرسالة، القاهرة.

(٤) حوى، الأساس في التفسير، (25/1).

٤) النظام يكشف عن قدر الأمور وأهميتها

ومثال ذلك معرفة سر اقتران طاعة الرسول p بطاعة الله تعالى في كثير من الآيات، ومغزى مجيء الزكاة بعد الصلاة في عدة مواطن من كتاب الله، وأهمية الإحسان بالوالدين إذ جاء تالياً للأمر بالتوحيد في أكثر من موطن.

وينقل سبحاني عن الإمام الفراهي قوله: "وقد عظم بيان الجمعة عندي حين علمت كيف مهد الله قبلها من ذكر تسبيح ما في السماوات والأرض، وصفاته الحسنی وفضله على الأمة، وخسران اليهود على استخفافهم بحكم الله، فقد رغب، ثم رغب، ثم رغب، ثم رغب، ثم ذكر أحكام الجمعة"^(١).

ويضرب "سبحاني" لذلك مثلاً صلاة الجمعة، وكيف يمكننا أن ندرك أهميتها ومكانتها في الدين من خلال النظر في نظام السورة وارتباطاتها بالسور المجاورة^(٢).

فقد قرنت سورة الجمعة بسورة الصف، وهذا القرآن يوحى بأن صلاة الجمعة إعداد وترويض للجهاد، وإذا كانت سورة الصف قد أشادت بالذين يقاتلون في سبيل الله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، فإن سورة الجمعة نفت أن يكون الذين هادوا أولياء لله من دون الناس بدليل أنهم لن يتمنوا الموت بما قدمت أيديهم، وهل الجهاد إلا الشوق إلى لقاء الله تعالى؟.

وفي ذلك يؤكد الفراهي: واعلم أن ذكر الجمعة ها هنا بعد سورة الصف وآية تمنى الموت، يشير إلى أنها من أسباب القيام بالجهاد^(٣).

ومن جهة أخرى فإن اقتران سورة الجمعة بسورة المنافقون، تلميحاً إلى أن الغفلة عن صلاة الجمعة من أمارات النفاق^(٤).

٥) تكميل المقصود من كل سورة وفهم المراد من القرآن

شدد الإمام ابن تيمية، على ضرورة تحزيب القرآن على السور، لا على عدد الكلمات والحروف، كما أكد على أهمية قراءة السورة كاملة في الصلاة لا قراءة جزء من وسطها أو آخرها، وأن ذلك هو السنة وفعل

(١) سبحاني، إمعان النظر، (ص 167)، نقلاً عن مخطوط "مذكرات القرآن" للفراهي.

(٢) سبحاني، السابق، (ص 159-167)، بتصرف كبير وتلخيص.

(٣) سبحاني، السابق، (ص 167).

(٤) سبحاني، السابق، (ص 161).

وكان الزركشي أكد أن فائدة التناسب "جعل أجزاء الكلام آخذاً بعضها بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء"^(٢)، والجعل المقصود هنا هو الجعل في الذهن؛ لأن واقع حال القرآن أنه كالبناء المحكم، لكن صاحب النظرة العجلى قبل التدبر، قد يقع في وهم عدم ارتباط آي القرآن وسوره ببعضه ببعض.

وموضوع التكرار في القرآن قد تكلم فيه كثيرون، والراجح أنه ليس في القرآن تكرار وإنما هو التشابه، سواء في ذلك القصص أو العقيدة وغيرهما؛ حيث يقول البقاعي متحدثاً عن أهمية التناسب: "وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادّعي في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقّت له"^(٣).

ويقول الدكتور فضل عباس بأن المتدبر لآيات العقيدة: " يجد أنها خالية من التكرار، لأن كل موضع قُررت فيه العقيدة، نجد فيه معنى ومعلماً وفائدة، لا نجدها في الموضع الآخر" (٥).

[illegible]

(٥) عباس، فضل، وعباس، سناء فضل، **إعجاز القرآن الكريم**، (ص 229)، دار الفرقان، عمان، 1991م.

والأمن" ^(١).

[illegible]

لكن السياق في المعارج يتحدث عن (المصلين)، فيما يتحدث السياق في الذاريات عن (المتقين المحسنين)، الأمر الذي يقتضي أن صنيعهم أعظم، وقربتهم أكبر، فقد كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستعفرون، وهو ما يتبين لنا إذا أنعمنا النظر في الفرق بين الآيتين، حيث تصف سورة المعارج الحق الذي في أموال المصلين بأنه معلوم، وتتركه سورة الذاريات مجرداً عن الوصف والتحديد، وذاك هو الفرق بين الطائفتين، لأن المتقين المحسنين لا يكتفون بقدر معلوم ينفقونه من أموالهم، وربما استغرقت النفقة عند أحدهم، كل ماله أو جلّه.

(٧) ملاحظة اقتباسات النبي ﷺ وأصحابه من نظم القرآن الكريم .

والناظر في أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام لا بد أن يلاحظ المواطن العديدة التي يظهر في اقتباسه عليه السلام من مشكاة القرآن الكريم، والإفادة من النظم القرآني؛ يقول الدكتور سبحاني: "إذا تأمل الباحث في نظام الآيات ورباط معانيها، ثم وصل إلى ما يجد له تأييداً في كلام النبوة وآثارها، ازداد بذلك ثقة

(١) الفنوجي، صديق بن حسن، فتح البيان في مقاصد القرآن، (121/7)، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1415هـ - 1995م.

(٢) مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، (418/7)، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1981م.

وارتياحاً إلى ما فتح الله عليه من خزائن حكمته، كما ازداد انشراحاً واقتناعاً بصحة ذلك الحديث الذي وجد له أصلاً في تنزيله^(١).

مثّل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)^(٢)، فهذا الحديث الشريف مستفاد من الآيات الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْجِعُوا إِلَىٰ مِمَّا عَلَّمْتُمُوهَا فَيُفْسِدُوا إِلَيْكُمْ سُوءَ مَا عَلَّمْتُمُوهُنَّ فِي الْأَرْوَاحِ وَلَا يَعْزِفُوا إِلَىٰ أَعْيُنِنَا غُرَّتِهِنَّ فَلْيَظْمِرْنَ بَحْرُنَّ لِهَيْبَتِنَا لِئَلَّا يَغْنَثُنَّ﴾ [النور]، فالآيتان الأولى والثانية تأمران بغض البصر وحفظ الفروج، ثم تأتي الثالثة لتأمر بتزويج الأيامي والصالحين من العباد والإماء، حيث يفيد نظم الآية أن النكاح يكون معواناً على غض البصر وحفظ الفرج، وأما الأمر بالصوم في نهاية الحديث لمن لا يقدر على الزواج فهو مستفاد من نظم الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ لَازِمُوا تِلْكَ الذِّكْرَ﴾ [البقرة]، حيث جاء حفظ الفروج تالياً لصفة الصوم، الأمر الذي يلمح إلى أنه كالسبب له.

ب — وعن ابن عباس ، قال : كنتُ خلفَ رسولِ اللهِ يومًا ، فقالَ : يا غلامُ ، ألا أعلمُكَ كلماتٍ : **احفظِ اللهَ يحفظَكَ ، احفظِ اللهَ تجدهُ تُجاهَكَ ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ ، واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعتْ على أنْ ينفَعوكَ بشيءٍ لم ينفَعوكَ إلا بشيءٍ قد كُتِبَ اللهُ لكَ ، ولو اجتمعوا على أنْ يضروكَ بشيءٍ لم يضروكَ إلا بشيءٍ قد كُتِبَ اللهُ عليكِ ، رُفِعَتِ الأَقلامُ ، وجفَّتِ الصِّحَافُ** ^(٣).

والحديث السابق يكاد يكون مستوحى من سورة الكهف، التي موضوعها الأساس حفظ الفتية المؤمنين في الكهف من القوم الكافرين وحتى من الوحوش والحشرات والشمس والتربة، وكذا حفظ الدين بحفظ كتابه الذي لم يجعل الله له عوجاً ولا مبدل لكلماته، فضلاً عن أن جو الحفظ يتعلق بسائر قصص السورة من حفظ السفينة والوالدين المؤمنين، والغلامين اليتيمين، ثم حفظ القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً، من

(١) سبحانی، إمعان النظر، (ص 258).

(٢) البخاري، كتاب الصوم، (رقم 1905)، وكتاب النكاح رقم (5065، 5066)، صحيح مسلم، رقم (1400).

(٣) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة، رقم (2516)، وأحمد في مسند عبد الله بن عباس، رقم (2537)، والألباني، صحيح الجامع الصغير، وزادته، رقم (7957).

(٩) الرد على شبهات المستشرقين، وأعداء الإسلام عموماً: وفي ذلك يقول الأستاذ سعيد حوى: " ولقد سئلت أكثر من مرة، من بعض من عرضت عليهم وجهة نظري، في فهمي للصلة بين الآيات والسور عن فائدة هذا الموضوع، وكنت أجيبه بأن هذا الموضوع في رد على شبهة أعداء الإسلام الذين زعموا أن هذا القرآن لا يجمع آياته في السورة الواحدة جامع ولا يربط بين سوره رابط، وذلك لا يليق بكلام البشر فكيف بكلام رب العالمين، إنها لشبهة فظيعة جداً أن يحاول محاول إشعار مسلم بأن كتاب الله ينزل عن كتاب البشر في هذا الشأن، وقد استطعت بحمد الله أن أبرهن على أن كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الواحدة وكماله في الوحدة الجامعة التي تجمع ما بين سوره وآياته على طريقة لم يعرف لها العالم مثيلاً، ولا تخطر على قلب بشر، لقد استطعت بهذا أن أرد السهم إلى لئد راميهِ من أعداء الهي في هذه النقطة بالذات " (١).

وقد طعن كثير من المستشرقين والمنصرين في الوحدة، وزعموا أن آيات القرآن لا يجمعها سياق وليس بينها وفاق، وأوصوا بإعادة ترتيب القرآن وفق أسباب نزوله تيسيراً للقارئ وإعانة له على فهم المعنى -على حسب زعمهم الباطل وفهمهم السقيم، كما فعل المستشرق نولدكه (٢)، وتابعه المستشرق الفرنسي بلاشير (٣). ومن قبل فقد طعن عدد من الملاحدة في الماضي في آيات القرآن الكريم بدعوى أنها غير متناسبة (٤).

ويرى الدكتور أحمد الشرقاوي أن من حكم العليم الخبير أن يقيض من أعداء الدين من يخدم الإسلام من حيث لا يشعرون، فإن إثارة أعداء الإسلام لهذه الشبهة الباطلة دفع الكثير من الغيورين إلى دراسة هذا الموضوع بتعمق (٥).

إن كون علم المناسبات القرآنية يبطل دعاوى المشككين، لا يعني أنه أتى رد فعل على شبهات المستشرقين وأعداء الإسلام، كما لو أنه لولاها لم يكن، فإن الكلام فيه قديم قديم، وربما استتارت شبهات المبطلين بعض الغيورين للبحث في التناسب، لكن ذلك لم يكن هو القاعدة ولم يكن البداية.

(١) حوى، السابق، (27/1).

(٢) نولدكه، ث: مستشرق ألماني (1836-1930م)، أثن عدداً من اللغات الشرقية واللاتينية له: تاريخ النص القرآني، وأصل وتركيب سور القرآن، وتاريخ الشعوب الإسلامية، وفكرة عامة عن حياة محمد، [مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين : ص 686-687].

(٣) بلاشير، ريجيس (1900-1973م): درس الثانوية في الدار البيضاء، وتابع في كلية الآداب بالجزائر، والسوربون، وكان عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق، له: ترجمة القرآن الكريم، وتاريخ الأدب العربي، ومعجم عربي إنجليزي فرنسي، [الأعلام: 72/2، ومراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين: ص 171-173].

(٤) ابن قتيبة، أبو محمد مسلم، تأويل مشكل القرآن، (ص 72-73)، المكتبة العلمية، بيروت، ط2، 1981م.

(٥) الشرقاوي، موقف الشوكاني من التناسب، سابق، عن: موقع صيد الفوائد، وشبكة التفسير.

١٠) ومما قيل في أهمية دراسة النظام والمناسبة في القرآن الكريم:

أن الوقوف على نظام الآيات يسمو بالدارس إلى ذروة الشوق والمحبة واللذة التي لا يصل إليها أبداً من لا يهتم بنظامها^(١)؛ فإن هذه المشاعر وتلك الأحاسيس تزداد بزيادة المعرفة بمحاسن الكلام وحسن النظام وقوة البرهان، حيث إن مثل هذه الدراسات "تروي ظمأ طلاب المعرفة، والباحثين عن دقائق أسرار هذا القرآن"^(٢)، وكذلك فإن طلب هذا العلم مما يعين على حفظ القرآن، ويحقق أمر الله تعالى بتدبره، وتحصيل الثواب^(٣).

(١) سبجاني، إنعام النظر، (ص 268).

(٢) حوى، الأساس في التفسير، (1/25).

(٣) بازمول، علم المناسبات، (ص 40).

الفصل الثاني

أوجه التناسب وأنواعه في القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أوجه التناسب في الآي

المبحث الثاني: أوجه التناسب في السورة القرآنية

المبحث الثالث: أوجه التناسب بين السور

المبحث الرابع: أوجه التناسب في القصص القرآني

المبحث الخامس: أنواع التناسب بين السور المتجاورة

قُصد في الفصل السابق إلى التمهيد لموضوع التناسب، والتعريف بسورة البقرة، وهما شقا عنوان الأطروحة، أما هذا الفصل فهدفه استعراض أبرز وجوه التناسب في القرآن الكريم تمهيداً وتقعيداً لما سيقال حول أوجه التناسب في سورة البقرة، وتأكيداً على أن ما سيقال هناك ليس بدعاً من القول بل له نظائر في الكتاب الحكيم جميعه.

ويشتمل هذا الفصل على أوجه التناسب في الآي، والمناسبات الداخلية للسورة القرآنية، وأوجه التناسب الخارجية لها مع غيرها، وكذا التناسب في القصص القرآني وقد أفرد لأهميته، علماً بأن بعض أوجه التناسب فيه يندرج تحت الأوجه الداخلية وبعضها الآخر مشمول في الأوجه الخارجية للتناسب، والمبحث الأخير يذكر أنواع الروابط بين الآيات والسور.

المبحث الأول أوجه التناسب في الآي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التناسب في الآية

المطلب الثاني: التناسب بين الآيات

المبحث الأول

يتضمن هذا المبحث أوجه التناسب في الآية من حيث: التناسب بين النداء ومضمون الآية، فالتناسب في ترتيب المذكورين، ثم المناسبة بين الآية والفصلة، ومن ثم التناسب بين الآيات المتجاورة، وفيه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، وسأفرد لكل منها مطلباً من المطالب الآتية:

المطلب الأول: التناسب في الآية

وأكثر ما بحث المفسرون المناسبات في الآية، إذ هي تتعلق بالسياق القريب، وبعدها المناسبة مع الآية المجاورة، والذي هو موضوع المطلب التالي.

ومن أوجه المناسبات في الآية الواحدة اختيار المفردات، وكذا الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والتعريف والتكثير، وفي كتب التفسير والإعجاز البياني منه الكثير وهو ليس غرض هذا البحث، ومن الأوجه كذلك ارتباط المنادى بموضوع الكلام والغرض المطلوب، ومنها ترتيب الأسماء والنعوت داخل الآية، وكذلك مناسبة الفاصلة للآية.

أولاً: المناسبة بين النداء والمضمون:

في القرآن نداءات كثيرة تنصدر آياته أو تتوسطها، من مثل: (يا بني آدم، يا بني إسرائيل، يا أهل الكتاب، يا أيها الذين هادوا، يا أيها الإنسان...)، وكل واحد منها يناسب السياق والغاية من النداء، ومن أمثلته:

(۱) یا بنی آدم:

النداء الأول: ژ د ج ج د چ چ ژ [الأعراف: 26].

قال في زهرة التفاسير: " النداء لبني آدم جميعاً؛ لأنه مجاوبة للفطرة الإنسانية التي جعلت أبوي البشر يخصصان عليهما من ورق الجنة، ولذا كان النداء إلى أولاد آدم، وفيه إشارة إلى تلك الفطرة السليمة، وإلى ذلك الحياء الفطري الذي هو سمة الإنسانية الرفيعة، لا إلى تلك الإنسانية المسيخة، التي تظهر في العري الفاحش الذي يقره بعض الذين تبلدت مشاعرهم وأحاسيسهم"^(١).

(¹) أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، (2804/6)، دار الفكر العربي، مصر، د ط، د.ت.

حيث جاء النداء " للناس أجمعين، تذكيراً للأبناء بما كان للآباء من عداوة إبليس، وتهديده بإغوائهم، وأنه يقعد لهم الصراط المستقيم، فالله تعالى ينهانا أن ننخدع بالشيطان، وله ماضٍ في إيذائنا وخدع أبويننا، وكان من نتيجة استجابتهما لوسوسته إخراجهما من الجنة وكشف سوء أفعالهما"^(١).

يقول أبو حيان^(٢): "وأضافهم إلى لفظ إسرائيل، وهو يعقوب، ولم يقل: يا بني يعقوب، لما في لفظ إسرائيل من أن معناه عبد الله أو صفوة الله، وذلك على أحسن تفاسيره، فهزهم بالإضافة إليه؛ فكأنه قيل: يا بني عبد الله، أو يا بني صفوة الله، فكان في ذلك تنبيه على أن يكونوا مثل أبيهم في الخير، كما تقول: يا ابن الرجل الصالح أطع الله، فتضيفه إلى ما يحركه لطاعة الله؛ لأن الإنسان يحب أن يقتفى أثر آباءه"^(٣).

قال تعالى: ژ ف ف ف ق ف ق ف ج ج ج ج ج ج ج ج ج چ چ ی د ذ ذ ذ
 ڈ ژ ژ [آل عمران]، "والسبب في هذا النداء هو أولاً توبيخهم على ما كان منهم؛ لأن علمهم بالكتاب كان يوجب عليهم الإذعان للحق بدل التفرق فيه، ؤ ه ه ه ه ه ه ر [الشورى: 14]، ثم هناك سبب آخر، وهو أن علمهم بالكتاب في الجملة يجعل الاحتكام إلى ما بقي منه عندهم كافياً لإذعانهم إن كانت عندهم أثارة من إيمان بالحق وطلب له مع ما هم فيه من تعصب"^(٤). ومثل ذلك يقال في الآية الكريمة ژ ژ ژ ک ک ک ک گ گ [آل عمران: 65]، فإن علمهم بالكتاب يجعلهم على بينة من أمر إبراهيم عليه السلام ومن ثم فإن حجاجهم مغالطة لما يعرفون.

- (١) أبو زهرة، السابق، (6/ 2807-2808)، بتصرف.
- (٢) محمد بن يوسف بن حيان، الأندلسي الغرناطي، (654-745هـ)، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، له سوى التفسير، التذييل والتكميل، وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب. [طبقات الداودي ، 2/ 286-291، طبقات الأندروزي 278-280].
- (٣) أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير،(1/ 281)، دار الفكر، بيروت، 1413هـ - 1992م.
- (٤) أبو زهرة، زهرة التفاسير،(3/ 1257).

لفت غير واحد من المفسرين إلى الحكمة من الترتيب للأمور المذكورة في الآية أو الآيات، ومن الأمثلة على ذلك:

(١) الحكمة من ترتيب الدواب المذكورة في قوله تعالى: رِ ي ث ث ذ ن ت ذ ذ ف ط ذ ف
ف ذ ذ ق ق ق ج ز [النور: ٤٥]، كما يراها الزمخشري: "هي لتقديم ما هو أعرق في القدرة:
وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم، ثم الماشي على رجلين، ثم الماشي على أربع"^(١).

٢) وقال أبو حيان عن الترتيب في الآية الكريمة: **رَّكَعًا وَرُكُوعًا** [البقرة: 98]: "وهذا الترتيب في غاية الحسن؛ فابتدئ بذكر الله، ثم بذكر الوسائط التي بينه وبين الرسل، ثم بذكر الوسائط التي بين الملائكة وبين المرسل إليهم، فهذا ترتيب بحسب الوحي، ولا يدل تقديم الملائكة في الذكر على تفضيلهم على رسل بني آدم، لأن الترتيب الذي ذكرناه هو ترتيب بحسب الوسائط، لا بالنسبة التفضيل"^(٢).

وعند قوله تعالى ﴿كِبَرًا كَبِيرًا﴾ ك ك ر ر ث ث ث ث ه ه ه ه ث [البقرة: 285]، قال: "وهذا الترتيب في غاية الفصاحة؛ لأن الإيمان بالله هو المرتبة الأولى، وهي التي يستبد بها العقل؛ إذ وجود الصانع يقر به كل عاقل، والإيمان بالملائكة هي المرتبة الثانية؛ لأنهم كالوسائط بين الله وعباده، والإيمان بالكتب: هو الوحي الذي يتلقاه الملك من الله يوصله إلى البشر، هي المرتبة الثالثة، والإيمان بالرسل الذين يقتبسون أنوار الوحي فهم متأخرون في الدرجة عن الكتب، هي المرتبة الرابعة" (٣).

ويضاف إلى ذلك أن تأخير الرسل هو أيضاً بسبب ما بعدها من الحديث عن عدم التفريق بين أحد منهم.

والدرجات التي يتحدث عنها أبو حيان هي مراتب لأركان الإيمان، لا درجات ومرتبات المذكورين، كما بيّن ذلك في الآية السابقة.

ثالثاً: المناسبة بين الفاصلة والآية:

والحديث هنا يتضمن المناسبة بين الفاصلة والآية، وبعض العادات القرآنية في تقديم الأسماء الحسنى أ و تأخيرها، وسر التغاير في بعض الأحيان، ومن الأمثلة على ذلك:

(١) الزمخشري، الكشاف، (240/3).

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، (516/1).

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، (٢/٧٦٥).

آية سبأ هو سياق القدرة والعلم، وسياق العناية بالمخلوقات المذكورة، التي تتجلى فيها كلها رحمة الله تبارك وتعالى^(١).

(٤) وسر اختلاف الفواصل بين الآيتين: ژ أ ب ب ب پ پ پ پ پ ی ی ی ن ن ن ت ت
ت ت ت ت ت ف ف ف ف ق ج ج ج ج ج ج چ ر [القصص]؛ أن الليل
يصلح للاستماع ولا يصلح للإبصار، فيما النهار ظرف مضى صالح للإبصار^(٢)، بل يحصل فيه تشويش
للسمع لكثرة الأصوات.

[illegible][illegible]

المطلب الثاني: المناسبة بين الآيات

(١) عباس، إعجاز القرآن الكريم، (ص 214).

(٢) ابن أبي الإصبع المصري، **تحرير التحبير**، (ص364)، تحقيق حفني محمد شرف، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، دط، 1416هـ - 1995م.

(٣) هو محمد أحمد مصطفى أبو زهرة، (1898-1974م)، من علماء الأزهر الأفذاذ، له عشرات الكتب منها: المعجزة الكبرى، خاتم النبيين، الملكية ونظرية العقد، تاريخ الديانات القديمة، وعدة دراسات عن أئمة الفقه. [انظر: الأعلام: 25/6-26، ومقدمة زهرة التفاسير 1/3-11].

(٤) أبو زهرة، زهرة التفاسير، (3286/6).

(٥) أبو زهرة، السابق، (3287/6).

أولاً: المناسبة بين الآية وسابقتها:

(٣) والتناسب بين الآيتين الكریمتین: ر ن ا ئ ه ت و ث ق ط ی ب
ب پ د پ پ پ ی پ ی ث ذ ز س ش ص ض ظ ع ف ق ک گ خ غ ج ح ط ظ ظ ٹ ڈ ف ف ف ف ژ [آل عمران]،
قال الإمام الطبري:" يعني بذلك جل ثناؤه: أغير دين الله تبغون يا معشر اليهود، وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، وإليه ترجعون، فإن ابتغي غير دين الله يا محمد، فقل لهم: آمنا بالله؛ فترك ذكر قوله:
فإن قالوا نعم"، وذكر قوله:"فان ابتغوا غير دين الله"، لدلالة ما ظهر من الكلام عليه(٤).

www.alukah.net

(٤) أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (3/ 458).

(٤) و قال في اللباب عن سر مجيء قوله تعالى: ژ و ژ و ژ و ژ و ژ [آل عمران: 28]، بعد الآيتين الكريمتين: ژڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ک ک د د گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ س

ٹ ٹ ڈ ڈ ہ ہ ب پ ہ ه ه ع ئے ك ك ف ك ذ و و و و ژ [آل عمران]:

في كيفية النظم وجهان: أحدهما: أنه- تعالى- لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم الله -تعالى-

ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس فقال: ژ و ژ و ژ و ژ و و و و ژ، والثاني: أنه

لما بين أنه - تعالى- مالك الدنيا والآخرة، بين أنه ينبغي أن تكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه، دون أعدائه^(١).

تفعل كل هذا مع ربها، وهو ليس لها رب، والذي هو من غير جنسها، والذي يستخدمها أكثر مما يخدمها، وهو الحيوان غير الناطق غير العاقل. فكيف الإنسان العاقل الشريف مع ربه الحقيقي وولي نعمه، إن الإنسان لربه لكنود! فللإنسان عبرة في دواجنه وفي عبيده المسخرة^(١).

وقد " ترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل؛ فبدأ بموضع مظهر المسيح، ثم ثنى بموضع مظهر الكليم، ثم ختمه بموضع مظهر عبده ورسوله وأكرم الخلق عليه"^(٣).

(١) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، تأملات في القرآن الكريم ، (ص 110-111)، دار القلم، دمشق، ط 1، 1411هـ - 1991م.

(٣) ابن قيم الجوزية، التبيين في أقسام القرآن، (ص55)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1414هـ - 1994م.

79

المبحث الثاني

أوجه التناسب في السورة القرآنية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها

المطلب الثاني: التناسب بين مقاطع السورة

المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية للسورة

المطلب الرابع: تميز السورة بمفردات وتعابير معينة

المطلب الخامس: التناسب بين اسم السورة وموضوعها

التناسب بين كل آية وجارتها يقتضي أن السورة القرآنية وحدة واحدة، وقد مضى في مبحث سابق تشبيه السورة أو تشبيه القرآن الكريم بالبناء الواحد، أو الجسم الواحد، بل وحتى الكلمة الواحدة.

والمعاصرون كالفراحي، وسيد قطب، والدكتور مصطفى مسلم، والدكتور صلاح الخالدي، وسعيد حوى، وأسد سبحاني، ومحمود البستاني، وطه جابر العلواني، وصبحي الفقي، وغيرهم ممن تكرر الرجوع إلى مؤلفاتهم في هذا البحث، استخدموا مصطلحات حديثة من مثل: (الوحدة الموضوعية في السورة، أو الوحدة العضوية، وكذا التماسك، والوحدة البنائية، وعمارة السورة، والتفسير البنائي، فضلاً عن النظام والتناسق والترابط والتناسب والنظم).

وقد أكثر عدد من أئمة التفسير القدماء، من ربط نجوم السورة - أجزاء السورة ومقاطعها - أكثر من مرة خلال التفسير ثم يجمعون العلاقة بين هذه الأجزاء وبالأخص قبيل ختام السورة، شعوراً منهم وإشعاراً لقرائهم بوحدة السورة القرآنية، وفيما يأتي عدد من الأمثلة في ربط المقاطع، ثم أمثلة أخرى قديمة ومعاصرة على تبلور فكرة الوحدة الموضوعية في السور القرآنية.

المطلب الأول

التناسب بين مطلع السورة وختامها

أغلب الذين اهتموا بالمناسبة التفقوا إلى الصلة بين بداية السورة ونهايتها، أو رد مقطوعها على مطلعها، وإن تفاوتوا في ذلك كثرة وقلة، أو قوة وضعفا وهذه بعض الأمثلة التي تبين ذلك:

(١) سورة المؤمنون: قال الزمخشري: "جعل فاتحة السورة: **ث** **أ** **ب** **ب** **ذ** **ر** ، وأورد في خاتمتها: **ر** **ث** **و** **ئ** **ي** .
ئ **ي** **ر** ، فستان ما بين الفاتحة والخاتمة ^(١) ، فقد بُدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين، وختمت بنفي فلاح الكافرين؛ تحريضاً على الإيمان، وعلى ما يوجب بقاءه وتتميته، من التمسك بالتزويل ^(٢) .

٢) سورة الإسراء: افتتحت بالتسبيح الذي هو تنزيه الله تعالى عما لا يليق، وختمت بتسبيح الذين أوتوا العلم، ثم بالطلب إلى الرسول μ أن يحمّد الله تعالى على أن تنزهه عن الولد والشريك.

(۳) سورة الكهف: حيث بدأت بقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَوُضِعَ الْكَلِمَةُ أُولَٰئِكَ نَمُودِلَهُمْ رَبَّنَا بِأَعْمَالِهِمْ فَهُمْ فِي أَوْحَادٍ مُّشْتَرَكَةٍ﴾

وختام السورة: " رُئُو نُو نُؤ نُؤْئِي:مِئِي مِئِي ئِي يِي ئِج
 ئَح ئَمِئِيئِي بَح بَخ مِئِي بِي تَج تَح تَح تَمِئِيئِي ئِج ئَمِئِي ئِيئِيئِي جَح
 جِمِجِحِمِجِحِجَحِخِمِجِحِجَحِخِمِجِحِجَحِ .

(١) الزمخشري، الكشاف، (201/3).

(٢) ابن عجيبة الأندلسي، أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (44/5)، تحقيق عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م.

قال في الظلال: "وهكذا يتساقط البدء والختام في إعلان الوحدانية، وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتميز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث"^(١).

ففي المطلع حمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب، وفي الختام تأكيد الكلام على لسان الرسول أنه بشر/عبد، وأنه يوحى إليه، وفي البداية أن الكتاب ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً، وفي الختام: أن على من كان يرجو لقاء ربه أن يعمل عملاً صالحاً، وأن لا يشرك بعبادة ربه أحداً.

المطلب الثاني

التناسب بين مقاطع السورة

(١) قال في (غرائب القرآن) رابطاً بين مقاطع سورة الصافات وخاتمتها: "واعلم أن السورة اشتملت على ما قاله المشركون في الله، وعلى ما عانى المرسلون من جهتهم، وعلى ما يؤول إليه عاقبة الرسل وحزب الله من موجبات الحمد؛ فلا جرم ختمها بكلمات جامعة لتلك المعاني"^(٢).

(٢) وقال الرازي في الآية قبل الأخيرة من سورة الأحقاف: "اعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة ما يدل على وجود الإله القادر الحكيم المختار، ثم فرّع عليه قولين؛ الأول: إبطال قول عبدة الأصنام، والثاني: إثبات النبوة، وذكر شبهاتهم في الطعن في النبوة، وأجاب عنها.

"ولما كان أكثر إعراض كفار مكة عن قبول الدلائل بسبب اغترارهم بالدنيا، واستغراقهم في استيفاء طيباتها وشهواتها، وبسبب أنه كان يتقل عليهم الانقياد لمحمد والاعتراف بتقدمه عليهم ضرب لذلك مثلاً وهم قوم عاد فإنهم كانوا أكمل في منافع الدنيا من قوم محمد فلما أصروا على الكفر أبادهم الله وأهلكهم، فكان ذلك تخويفاً لأهل مكة بإصرارهم على إنكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم لما قرر نبوته على الإنس أردفه بإثبات نبوته في الجن، وإلى ههنا قد تم الكلام في التوحيد وفي النبوة، ثم ذكر عقبيهما تقرير مسألة المعاد"^(٣).

(٣) وأورد النيسابوري^(٤) في أواخر تفسير سورة ص: "واعلم أنه سبحانه لما بدأ في أول السورة بأن محمداً يدعو إلى التوحيد، وأن الكفار يستهزئون منه وينسبون له إلى السخرية تارة وإلى الكذب تارة أخرى، ثم ذكر طرفاً

(١) قطب، في ظلال القرآن، (4/2257).

(٢) النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورجائب الفرقان، (5/579).

(٣) الرازي، التفسير الكبير، (10/29-30).

(٤) نظام الدين، الحسن بن محمد القمي النيسابوري، (ت 728هـ)، مفسر له اشتغال بالحكمة والرياضيات، وتفسيره غرائب القرآن كأنه اختصار لتفسير الرازي. [الأعلام 2/216].

(١) النيسابوري، غرائب القرآن، (5/606-607).

وبعد الحديث عن تناسب المقسم به مع المقسم عليه، والغوص في معاني الآيات والموازنة بين صاحب الخلق القويم، وذوي الخلق الذميم، قال رحمه الله عن السورة: "وختمها بالأمر بالصبر الذي هو جماع الخلق العظيم في قوله: [رَجِّحْ رَجْلَكَ رَجْلًا] [القلم: 48]^(١).

المطلب الرابع

تميز السورة بمفردات وتعابير معينة

تحدث غير واحد عن الشخصية المستقلة لكل سورة، وتميزها عن غيرها بألفاظ وتعابير محددة، ومن أمثلته:

(١) فقد ذكر أستاذنا الدكتور أحمد نوفل أنه - وفي سبيل تأكيد الشخصية المتفردة لسورة يوسف - فقد حشدت السورة من التعابير والصور البيانية، ما لم يتكرر في سورة أخرى، من مثل: "أحد عشر، اطرحوه، الجب، يرتع، الذئب، قميصه، بضاعة، قدت، شغفها، سكيناً، حاش لله، السجن، أصب، خبزاً، حصص، رجالهم، نمير، بعير، صواع، وعاء، معاذ الله، العير، حرصاً، بثي، تثريب، البدو، تعبرون، جهزهم بجهازهم، تفتاً، دلو، دراهم، أعصر، تعصرون، عجاف، تفندون، غلقت، روح الله، نسوة، الزاهدين"^(٢).

(٢) وفي سورة محمد: أحصى الدكتور صلاح الخالدي الألفاظ التي تفردت بها السورة الكريمة، ومنها: (تعساً، آسن، غسل، أمعاءهم، أشرطها، أفعالها، أضغانهم، أضغانكم، لحن، يحفكم).

كما أورد قائمة بالتعابير التي لم ترد على صورتها التركيبية في غير السورة الكريمة، والتي بلغت ثلاثين، منها:

(أضل أعمالهم، وأصلح بالهم، فضرب الرقاب، دمر الله عليهم، وأنهار من خمر لذة للشاربين، ولن يتركهم أعمالكم، وتقلبكم ومثواكم، والله يعلم إسرارهم)^(٣).

(٣) وبالنسبة إلى سورة النساء التي ركزت على قضايا النساء والأيتام والضعفاء بعام، فاللغت أن فيها أكثر ورود لكلمة النساء، وكلمة اليتامى، ومشتقات الجذر (ضعف)، مقارنة بجميع سور القرآن الكريم.

(١) ابن تيمية، السابق، (49/16).

(٢) نوفل، أحمد، سورة يوسف: دراسة تحليلية، (ص10)، دار الفرقان، عمان، ط1، 1409هـ - 1989م.

(٣) الخالدي، صلاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، (ص: 290 - 294).

٤) وفي سورة القلم جو القسم يبدأ من أولها بقسم الله تعالى وهو الحق، ثم نهى الرسول عن طاعة كل "حلاف" مهين، ثم إن أصحاب الجنة "أقسموا" ليصرمنها صارمين، وجاء التساؤل بعد القصة: أم لهم "إيمان" علينا بالغة. وفيها أيضاً جو من الصرامة والصرم والحسم، يؤكدّه أولاً تكرر القسم، ثم مشتقات "صرم": (ليصرمنها، صارمين، كالصريم)، وكذا الحرمان والحد، وفي السورة كذلك، جو الإصباح: (مصبحين، فأصبحت، وغدوا).

وفيهذا ذو الخلق العظيم والأوسط عقلاً، المنفي عنه الجنون، يقابلهما الحلاف المهين الهماز المشاء بنميم العتل الزنيم، الذي يتأكد لأضراجه أنهم كانوا هم الضالين الأشبه بالمجانين.

المطلب الخامس

التناسب بين اسم السورة وموضوعها

كثير من تسميات السور مرجعها إلى افتتاحها بذلك الأمر الذي سميت به، ولذلك نظائر في شعر العرب؛ كتسميتهم قصيدة كعب بن زهير^(١): (بانئت سعاد) لافتتاحها بها، وتسمية قصيدة امرئ القيس^(٢): ب(قفا نبك)، تسمية الكل باسم أوله؛ لشهرة الأول وخفته وتداوله لكونه أول ما يفاجئه، وعلى هذا كثير من أسماء السور. وكذلك فإن طول شأن الاسم في السورة وإن لم يكن في أولها، من دواعي التسمية به، أو مناسبة الاسم لأول السورة لكون الأول كالترجمة لباقي السورة، وكأنهم يلفتون إلى علاقة اسم السورة بمطلعها الذي يقوم باقي السورة بتفصيله^(٣)، حيث يتم في العنوان الإشارة إلى المحتوى على اعتبار أنه اعتصار واختصار مكثف للنص القادم^(٤).

وأكثر من اهتم بالمناسبة بين الاسم والموضوع هو الإمام البقاعي، وهو القائل بأن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، إذ اهتدى إلى هذه القاعدة بعد وصوله إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائه في تفسير نظم الدرر^(٥)، وحيث إنه قد ألزم نفسه أن يذكر مقصود كل سورة من خلال اسمها فإن من الطبيعي أن لا يحالفه التوفيق في جميع اجتهاداته، دون أن ننقص من قيمة الجهود التي بذلها، والنظري التي اكتشفها.

-
- (١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، (ت 26هـ)، الشاعر المشهور، صحابي معروف، أنشد قصيدته (بانئت سعاد)، فأعطاه الرسول بردته. [أسد الغابة 528/3، الأعلام، 226/5].
- (٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، (ت 80هـ)، يمانى الأصل كان أبوه ملك أسد وغطفان. [الأعلام، 11/2-12].
- (٣) ابن عقيلة المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، (1/292-294).
- (٤) مالكي، فرج عبد الحسيب، عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية، دراسة في النص الموازي، (ص 24)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 1424هـ - 2003م.
- (٥) البقاعي، نظم الدرر، (1/12).

ولقد سبق القول بأن عنوان السورة - أو اسمها - مفتاح لمعانيها،^(٢) والأمثلة الآتية تهدف إلى استعراض بعض محاولات الربط بين أسماء السور وموضوعاتها، ثم استخلاص ما يشبه القاعدة في ذلك.

ومن الأمثلة على الربط بين اسم السورة وموضوعها:

[illegible]

(١) خالد، عمرو، *خواطر قرآنية، نظرات في أهداف سور القرآن*، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 1425هـ - 2004م.

(٣) في المطبوع: (في)، والسياق يستدعي الضمير.

(٥) في المطبوع: (تفرغ).

(٦) البقاعى، نظم الدرر، (183/7).

٤) سورة الكهف: بعد الاقتباسات السابقة، بالإمكان تطبيق ذات المنهج في التوصل إلى المحور الرئيس لسورة الكهف، انطلاقاً من اسمها، ومطلعها وخاتمتها، واستثناساً بما ورد في السنة بشأنها.

الكهف: كانت وظيفته حماية الفتية، وقد انتهت القصة فإذا الدين الذي كان مهدداً مطارداً قد عادت الغلبة لأهله الذين يقررون اتخاذ "مسجد" على فوق الكهف، وبالتالي فقد أظهرت القصة حفظ المؤمنين وحفظ الإيمان، وجو الحفظ ينتظم قصص السورة جميعها، كما سيأتي.

ونفس المعنى في بدء السورة وختامها؛ في البدء تأكيد على أن الكتاب لا عوج له - أي محفوظ - فلا سبيل إلى تحريفه أو حرفه عن مساره، والختام تأكيد على أن كلمات الله لن تنفد، وخلال السورة تأكيد على أنه لا مبدل لكلمات الله.

وفي الحديث أن (مَنْ حَفَظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ)^١، والعصمة حفظ. وكأن المحور الرئيس في السورة هو التأكيد على حفظ الله تعالى للمؤمنين وكتابهم، حتى يبلغوا التمكين ويصير حالهم كذي القرنين، وبعد أن كانوا يحفظهم الله حال ضعفهم، يُطلب إليهم أن يحفظوا الضعفاء، وإذا كان ما يتعلق بالدنيا سريع الزوال ولا بقاء له، فإن الصالحات هن الباقيات، ويصرخ المجرمون حين يوضع الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها حيث حفظت أعمالهم ولم يضع منها شيء، وسيأتي مزيد عند الحديث عن التناسب في القصص القرآني.

١ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، حديث رقم (809).

المبحث الثالث أوجه التناسب بين السور

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التناسب بين السور المتجاورة

المطلب الثاني: التناسب بين السور ذوات المطالع المتشابهة

المطلب الأول

التناسب بين السور المتجاورة

وللتناسب بين السور المتجاورة أوجه عدة:

(١) التناسب بين الأطراف:

ويقصد به التناسب بين آخر السورة ومطلع التي تليها، ومن أمثلته:

أ - خاتمة الأسراء وفاتحة الكهف:

خاتمة الإسراء هي قوله سبحانه: رُتِّلْهُ هُوَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ بِمَا يَفْكُرُونَ

ژ، وفاتحه الكهف ژ و و ؤ و و و و ی ی پ پ ژ .

قال البقاعي: "لما خُتِمت تلك بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التتزه عن صفات النقص، لكونه أعلم الخلق بذلك؛ بُدِئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص، منبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم"^(١).

ب - خاتمة مريم و فاتحة طه: قال في (روح المعاني) في بداية تفسيره لسورة طه: "وجه ارتباط أول هذه بآخر تلك؛ أنه سبحانه ذكر هناك تفسير القرآن بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام معللاً بتبشير المتقين وإنذار المعاندين، وذكر تعالى هنا ما فيه تأكيد لذلك"^(٢). ويشبهه ما جاء في (البحر المديد): "وجه مناسبتها لما قبلها قوله: ژ پ پ پ، [مريم: 97]، مع قوله: ژ چ چ چ چ چ چ چ [طه]، كأنه يقول: فإنما سهلناه عليك لتراح

(١) البقاعى، نظم الدرر، (441/4).

(٢) الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، (216/16)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

به لا لتتعب" (۱).

ت - المناسبة بين فاتحة النور وخاتمة المؤمنون: قال النيسابوري: "لما أمر رسول الله ع في خاتمة السورة المتقدمة بطلب المغفرة والرحمة، وطلبه يستلزم مطلوبه لا محالة بدليل سل تعط، أردفه بذكر ما هو أصل كل رحمة ومنشأ كل خير فقال: **ث أ** رأي هذه سورة **ث ب ب** **ث** [النور: 1]"^(٢).

ث - المناسبة بين أول الحج وخاتمة الأنبياء: قال البقاعي في بداية تفسير سورة الحج: "لما خُتِمت التي قبلها بالترهيب من الفرع الأكبر، وطى السماء وإتيان ما يوعدون، والدينونة بما يستحقون، وكان أعظم ذلك يوم الدين، افتتحت هذه بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم"^(٣).

وقال الشوكاني: " لما أنجز الكلام في خاتمة السورة المتقدمة إلى ذكر الإعادة وما قبلها وما بعدها، بدأ سبحانه في هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها، حثاً على التقوى التي هي أنفع زاد فقال تعالى: **ثَأْبَابُ يَوْمَ الْحَجِّ:**

[١]"(٤).

(٢) التناسب بين الفاتحتين:

في القرآن الكريم أزواج أو مجموعات من السور المتجاورة تتطابق فواتحها أو تتقارب، أو يكون بينها وجه من وجوه المناسبة، وسيأتي في المطلب الثاني من هذا البحث، ما يترتب على المشابهة بين الفواتح من تناسب بين السور تجاورت أم لم تتجاوز، وأما هنا فالمقصود إبراز ارتباط فاتحتي السورتين المتجاورتين، ومن أمثلته:

أ - الإسراء والكهف: فاتحة الإسراء هي ز أ ب ب ب ب ب ب ب پ پ پ پ پ ن ث ذ ن ت ث

ت ت ت ث ث ، وفاتحة الكهف: ز و و و و و و و و ي ي ي ي ي ي ي ز .

والمناسبة بينهما أولاً: من حيث تكرار لفظة (عبده) في الافتتاحيتين مقصوداً بها محمد ﷺ، وثانياً: من حيث افتتاح الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح بالتحميد، نحو: ژ چ چ ژ [الحجر: 98]، وسبحان الله وبحمده^(٥). وقال الإمام الرازي في تحليل تقدم التسبيح في الإسراء على التحميد في الكهف: "التسبيح أول الأمر لأنه عبارة عن تنزيه الله عما لا ينبغي، وهو إشارة إلى

(١) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (259/4).

(٢) النيسابوري، تفسير غرائب القرآن، (١٤١/٥).

(٣) البقاعى، نظم الدرر، (١٢٩/٥).

(٤) الشوكاني، فتح القدير، (593/3).

(٥) السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، (ص ٩٩).

كونه كاملاً في ذاته، والتحميد عبارة عن كونه مكملاً لغيره، ولا شك أن أول الأمر هو كونه كاملاً في ذاته، ونهاية الأمر هو كونه مكملاً لغيره؛ فلا جرم وقع الابتداء في الذكر بقولنا: (سبحان الله)، ثم نذكر بعده: (الحمد لله)، تنبيهاً على أن مقام التسبيح مبدأ، ومقام التحميد نهاية^(١).

ب - الأنبياء والحج: ذكر أبو جعفر بن الزبير أنه: "لما افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى: **ث أ ب ب ب ب** ب - **ب ب ب** [الآية: 1] وكان وارداً في معرض التهديد، وتكرر في مواضع... وقد ختمت بمثل ما به ابتدئت، اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول الساعة وعظيم أمرها"^(٢).

٣) التفصيل والإجمال:

حيث يذكر الأمر مجملاً في سورة فتأتي التي بعدها فتفصله، ومن أمثلته:

أ - مناسبة مجيء سورة النور بعد المؤمنون: "وجه اتصالها بسورة قد أفلح: أنه لما قال: **ث ث ث ث ث ف** **ث [المؤمنون]**، ذكر في هذه أحكام من لم يحفظ فرجه، من الزانية والزاني، وما اتصل بذلك من شأن القذف، وقصة الإفك، والأمر بغض البصر، وأمر فيها بالنكاح لحفظ الفروج، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف وحفظ فرجه، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا"^(٣).

ب - بين مريم وطه: قال السيوطي: "لما ذكر في سورة مريم قصص عدة من الأنبياء، وهم زكريا ويحيى وعيسى، الثلاثة مبسوطه، وإبراهيم، وهي بين البسط والإيجاز، وموسى وهي موجزة بجملة؛ أشار إلى بقية النبيين في الآية الأخيرة^(٤) إجمالاً. وذكر في هذه السورة شرح قصة موسى، التي أجملها هناك، فاستوعبها غاية الاستيعاب وبسطها أبلغ بسط، ثم أشار إلى تفصيل قصة آدم الذي وقع مجرد اسمه هناك، ثم أورد في سورة الأنبياء بقية من لم يذكر في مريم"^(٥).

(١) الرازي، التفسير الكبير، (421/7).

(٢) البقاعي، نظم الدرر، (5/ 129 - 130).

(٣) السيوطي، تناسق الدرر، (ص104).

(٤) يشير إلى قوله تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل...)، [مريم:58].

(٥) السيوطي، السابق، (ص102).

[illegible]

ضرب السيوطي لذلك أمثلة؛ فقال في المناسبة بين سورتي القمر والنجم: "لا يخفى ما في توالي هاتين السورتين من حسن التناسق في التسمية؛ لما بين النجم والقمر من الملابس، ونظيره توالي الشمس والليل والضحى"^(١). وقد لاحظ الباحث وجود تناسب بين أسماء بعض السور المتجاورة، وهو إذ يذكرها فلأجل أن يلتفت الأنظار إلى ما قد يكون باباً مهماً من أبواب التناسب، حيث المعتاد في أوجه المناسبة أن يكون بعضها ظاهراً بَيِّناً، والبعض الآخر يكتنفه بعض الغموض، والبعض الثالث يحتاج إلى طول تفكر؛ وليس من المقبول رفضه لعدم جلالة أو اكتشافه.

ومن الأمثلة عليه السور الثلاث: المؤمنون والنور والفرقان، فالمؤمنون بإيمانهم اتبعوا النور الذي جاء به النبي ﷺ أو انتقلوا وخرجوا بالإيمان من الظلمات إلى النور، وحيث تمسكوا بالنور فقد تحصل لديهم الفرقان، (الفرقان هو القرآن) الذي يفرق بين الحق والباطل، وشأن النور أن يساعد في تمييز الأشياء والتفريق بينها. وكذلك سورتا آل عمران والنساء؛ فقد ركزت آل عمران على امرأة عمران ومريم عليهما السلام، ودعت سورة النساء إلى رعاية النساء بعدما أشادت آل عمران بمثلين كريمين منهن، إذ إن النظرة السلبية للمرأة باعتبارها أصل الشرور، قد تؤدي إلى اليأس من إصلاحها بل والاعتداء على حقوقها. وأما عن العلاقة بين اسمي البقرة وآل عمران؛ فإن الأولى تحدثت عن جنس ما عبده بنو إسرائيل من البقر، والثانية تحدثت عما عبده النصارى؛ وهما عيسى ومريم من آل عمران، والبقرة مهمة وأساسية لحياة الإنسان المادية، وتحدثت الثانية عن أمر رئيس آخر، لكن لحياة الإنسان الروحية وهم حملة الدين من آل عمران.

المطلب الثاني

المناسبة بين السور ذوات المطالع المتشابهة

توقف العلماء عند السور التي لها ذات الفواتح لكشف المشترك فيها، والمعاني التي يمكن أن تستشف من ترتيبها في كتاب الله تعالى، ومن الأمثلة:

- (١) السور المفتحة بالحمد: حيث ذكر ابن كثير^(١) في مطلع تفسيره سورة الكهف، أنه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها؛ فإنه المحمود على كل حال، وله الحمد في الأولى والآخرة، ولذا حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه^(٢).

(١) السيوطي، تناسق الدرر، (ص 120).

هناك خمس سور من القرآن الكريم افتتحت بالحمد، هي الفاتحة وأولها: ژ پ ی پوژ ، ثم الأنعام وافتحتها:
ژ آ ب ب ب ب پ پ پی پ ی ن ث ذر ، وبعدهما الكهف ومطلعها: ژ و و و و و و
و و ی ی پ ز ، ثم تأتي سورة سبأ وبدايتها ژ آ ب ب ب پ ی پ ی ی نث ذ
ت ت ز ، والسورة الأخيرة هي فاطر، وقد استهلته بقوله تعالى: ژ ن ن ث ث ه ه ه ب ه ه ه ه
ع ع ع ك ك و و و و و .

"ومع اشتراك السور الخمس في الافتتاح بتقرير استحقاق الحمد لله على هذه النعمة الكبرى، كان لكل سورة منها منهج خاص فيما عرضت له من أنواع تلك النعمة، وقد جاءت الفاتحة بالنسبة لسائرهما في هذا الشأن، كما جاءت هي لجميع القرآن بالنسبة لكل ما تضمنته، جاءت أما تجمع فروع التربية وأنحاءها التي وزعت على السور الأربع، ونقاسمتها؛ فهي تقول: **ث ب پ پ و ژ**، فتربط استحقاق الحمد لله بربوبيته للعالمين، والربوبية المطلقة تنتظم التربية الخلقية، جسمية وعقلية بالخلق والإيجاد، كما تنتظم التربية التشريعية بالوحي والرسالة؛ فكما لا خالق ولا مانح للعقل وقوى التفكير سواء، لا مشرع ولا مرشد ولا هادي سواء.

- (١) هو أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (ت774) ، مفسر محدث مؤرخ تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية ، له: البداية والنهاية، وطبقات الفقهاء الشافعيين، وجامع المسانيد، [انظر: **طبقات الأندروني** ص360-361، والأعلام 320/1].
- (٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، (71/3)، دار المعرفة، بيروت، 1388هـ - 1969م.
- (٣) محمود شلتوت (1893-1963م)، فقيه ومفسر مصري، تخرج في الأزهر ودرّس فيه ثم صار شيخاً له، من كتبه: الإسلام عقيدة وشريعة، القرآن والمرأة، القرآن والقتال، ولم يفسر سوى الأجزاء العشرة الأولى، [**الأعلام**، 173/7].

المبحث الرابع التناسب في القصص القرآني

وفي خمسة مطالب:

المطلب الأول: التناسب بين قصص السورة الواحدة

المطلب الثاني: تشكل قصة جديدة من قصص السورة

المطلب الثالث: تناسق الشخصية في القصص القرآني

المطلب الرابع: التناسب بين اللفظة القرآنية وبيئة القصة الأصلية

المطلب الخامس: التناسب بين ما يذكر من القصة القرآنية وواقع الدعوة

القصص في القرآن يجري عليه ما يجري على جميع آيات القرآن الكريم، من حيث تناسبها مع الواقع الذي نزلت لمعالجته، والسورة التي وردت فيها، ومن الطبيعي أن تتناسب القصص الواردة في السورة الواحدة بعضها مع بعض، فضلاً عن أن تشكل هذه القصص المتتالية أو المتناثرة في السورة فصولاً من قصة جديدة، تؤدي الغرض المقصود من السورة، كما التفت الباحثون إلى أن كل شخصية قصصية قرآنية – وإن توزعت على مواضع كثيرة – فإنها متناسقة ولها تميزها واستقلالها عن سائر الشخصيات الأخرى.

وقد أفردت المناسبة في القصص القرآني لأهميته، ولتعدد أشكال المناسبة فيه سواء داخل السورة أو بين السور، وكذا تناسبها لواقع النزول أو واقعها التاريخي، وتناسق الشخصية.

ولعل سيد قطب أن يكون أول من نظم الدرر المتناثرة حول مناسبات القصص القرآني من كتب التفسير، فضلاً عن الإضافات المميزة التي جاء بها مما فتح الله عليه، سيما وأنه أديب مطبوع ومفكر من ذوي النبوغ، وذلك في كتابه (التصوير الفني)، ثم في تفسير (الظلال).

التناسب بين قصص السورة الواحدة

يضاف إلى ذلك أن قصة زكريا ويحيى في السورة - مثلما كانت في الواقع - فإنها كالتمهيد والتقديم لقصة مريم وعيسى عليهم السلام، فالسورة اسمها مريم وبدايتها عن زكريا تمهيداً وتهيئة، وفيهما من التشابه الكثير؛ إذ إن الناظر في قصتيهما، سيجد، وبشكل يكاد يكون مطرداً، أن عناصر قصة يحيى، تشكل مقدمة وتوطئة وتمهيداً، لما يقابلها من قصة عيسى، التي تبدو عناصرها أكبر وأكمل.

فقد كانت ولادة يحيى عليه السلام، من أم عجوز عاقر وشيخ كبير، معجزة موطئة وممهدة للمعجزة الأكبر في ولادة عيسى عليه السلام دون أب.

والآية لزكريا في حمل يحيى أن لا يكلم الناس ثلاث ليال سوياً، ومريم تنذر للرحمن صوماً فلا تكلم في ذلك اليوم إنسياً.

وكانت المعجزة في أن يؤتى يحيى الحكم صبياً، مقدمة للمعجزة الأكبر في أن عيسى يكون نبياً ويبلغ عن الله في المهد صبياً.

وكذلك كانت نبوة يحيى موطئة لنبوة عيسى . بحيث يكون يحيى مصدقاً بكلمة من الله، فمع أنه سبقه، إلا أنه يصير بعد بعثة عيسى مؤيداً وتابعاً له.

٥) وقال الرازي في حكمة مجيء قصة إبراهيم عليه السلام بعد قصة مريم في سورة مريم: " اعلم أن الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر، والمنكرون للتوحيد هم الذين أثبتوا معبوداً سوى الله تعالى، وهؤلاء فريقان: منهم من أثبت معبوداً غير الله حياً عاقلاً فاهماً وهم النصارى، ومنهم من أثبت معبوداً غير الله جماداً ليس بحي ولا عاقل ولا فاهم؛ وهم عبدة الأوثان. والفريقان وإن اشتركا في الضلال، إلا أن ضلال الفريق الثاني أعظم؛ فلما بين تعالى ضلال الفريق الأول تكلم في ضلال الفريق الثاني وهم عبدة الأوثان" (١).

المطلب الثاني

(١) الرازي، التفسير الكبير، (541/7).

تشكل قصة جديدة من قصص السورة (قصص سورة الكهف أنموذجاً)

هذا المطلب امتداد لسابقه؛ إذ هو يتحدث عن تناسب القصص في السورة الواحدة، لكنه ينظر إليها جميعاً

باعتبارها فصولاً أو حلقات متسلسلة.

فقصة الكهف التي سميت بها السورة كانت كأنها فصل أول في رواية، وتبعتها القصص الأخرى فصولاً تالية،

أو هي ملخص وتفصيله ما بعده؛ لكن السورة بدأت بما يشبه واقع المسلمين في مكة من المطاردة والاضطهاد،

ثم أرادت تصيبرهم على ما هم فيه بطمأننتهم على أنفسهم وعلى دينهم، ولقّتهم إلى أن الله سبحانه حكمة عظيمة

في كل أمر، وأن الأمور ليست على ظاهرها دائما، والمطلوب تسليم الأمر لله تعالى، فإن الله تعالى سير عاهم

ويحفظهم حتى يتم نوره، ويصير حالهم إلى حال ذي القرنين فيفتحوا المشارق والمغرب بالتوحيد، واسم ذي

القرنين كما هو واضح، يوحى بمعاني القوة والغلبة.

وقد جاءت السورة وقصصها بشكل عام تدعوهم إلى الصبر وعدم الاستعجال، وتطمئنهم

پ پ پ ژ [الكهف: 21]، كما تحقق الوعد لفنية الكهف، ثم جاءت قصة ذي القرنين "ذكرًا"؛ رُح ثم نى

يُجِبُّ بِخَبْرٍ بِيَتَجَرُّ [الكهف]، أي تنكيراً لهم بدورهم الرسالي في نشر التوحيد وحماية الضعفاء،

جهاداً في سبيل الله تعالى والمستضعفين، كيلا يكون كل همهم الخروج من الأزمة دون التفكير في المستقبل

المطلوب، ومرة أخرى يأتي الحديث عن وعد الله، لكن على لسان ذي القرنين، مقترناً بالحديث عن الآخرة،

فالمؤمن لا ينسى في كل أحواله أنه صائر إلى دار الجزاء، فيصبره ذلك أيام الشدة، ويضبطه أيام العز والنصر

ويقيه الغرور والانحراف.

وإذا كانت قصة الكهف تحدثت عن الفتية المؤمنين المطاردين، كيف حفظهم الله تعالى وحفظ الدين الذي قاموا

لأجله، حتى إنهم ليننون المساجد؛ فإن القصة التالية تنبه المؤمنين إلى أن امتلاك زينة الحياة الدنيا لا يعنى

النصر والتأييد والحفظ والبقاء، إذ الحفظ مرهون بقدر الله وقدرته، وقد جاء بين القصتين قوله تعالى :

زأ ي ب ج د هـ و ز ح ط ق ك ل م ن هـ ا

[الكهف]، فهي من جهة تطالب الرسول عليه السلام، بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم؛ فإنهم محفوظون

كما حُفِظ أصحاب الكهف، وبالغون مراد الله تعالى منهم، وتتهام من جهة أخرى عن طاعة مَنْ أعفل الله قلبه

واتبع هواه وحُكم عليه بأن أمره فُرط، وإن كان ظاهره يشير إلى غير ذلك، وقصة صاحب الجنين مثال واضح لذلك.

ثم تأتي أخبار موسى مع الخضر عليهما السلام فيها حفظ السفينة لأصحابها المساكين، وحفظ الأبوين المؤمنين، ثم حفظ الكنز لليتيمين اللذين كان أبوهما صالحاً، تظميناً للمؤمنين المستضعفين أنهم محفوظون في دينهم وذرياتهم وأموالهم ولن تغرق سفينة حياتهم ولا سفينة دعوتهم، وأن عليهم حين يصيرون إلى مثل حال ذي القرنين أن يقوموا هم بحماية المستضعفين حسبة لله تعالى، كما حفظهم حال ضعفهم، وكما فعل ذو القرنين حين جعل الردم، لحماية القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً، من إفساد يأجوج ومأجوج.

وقد تكرر الحديث عن الصبر في القصة السابقة لقصة التمكين – قصة ذي القرنين، كأنما لترسخ في قلوب المؤمنين أنه لا يكون تمكين دون صبر وأن الساعات التي تسبق التمكين تحتاج صبراً أكبر.

المطلب الثالث

تناسق الشخصية في القصص القرآني

قال صاحب كتاب البيان القرآني: إن " التصوير سمة عامة للبيان القرآني في كل مجالاته التعبيرية، وهو في القصة القرآنية على أتم ما يُعهد، فأنت تعرف الشخصيات القرآنية معرفة متميزة؛ حتى لتفرق بوضوح بين سمات يوسف وموسى وإبراهيم وسليمان، وبلقيس وامرأة العزيز، لا أقول السمات الظاهرية وحدها، بل السمات الخافية التي تمرور في مسارب اللحم والعظم"^(١).

وسنلاحظ من خلال الأمثلة الآتية أن أية شخصية مهما تكررت ورودها في السور القرآن، وبالرغم من تعدد المواقف والتطورات الحاصلة في القصة، في سياق العمل الدعوي والحياتي، أو الانتقال من مرحلة عمرية إلى أخرى، بل لا نبالغ إذا قلنا بأن كل مجموعة بشرية وردت في القصص القرآني، لها ملامح خاصة تميزها عما سواها، بحيث تتناسق عناصر الشخصية وتتكامل، دون شذوذ ولا نشوز.

(١) فأما إبراهيم عليه السلام فهو " نموذج الهدوء والتسامح والحلم: ژ چ چ چ ژ [هود: ٧٥] (٢)، فهو الذي آتاه الله تعالى رشده صغيراً، فرفض عبادة الأصنام، بل كسرها وهو لما يزل فتى ليقنع قومه بخطأ الذي يفعلون، ويحاور عبدة الأصنام والأجرام السماوية من قومه، كما يحاور أباه، ويتحمل مواقف العدوانية مسالماً له وواعداً إياه بالاستغفار له، ونلاحظ إبراهيم عليه السلام في أكثر من سورة يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء. وامتداداً لصفة الحلم عنده، يتكرر مشهد إبراهيم الخليل يحاجج ويجادل مرة أباه ومرة قومه وثالثة الذي آتاه الله الملك، بل إنه ليجادل الملائكة في قوم لوط.

وإذ نلاحظ الشجاعة والجرأة العالية في مواجهات إبراهيم ومنذ صغره، مع كرم النفس والتسامح، فإننا نلاحظ إبراهيم عليه السلام الكريم الجواد الذي يأتي بعجل سمين حنيذ لضيوفه، ومعلوم أن هذه الصفات متلازمة، كما أن البخل والجبن واللؤم صفات متلازمة.

(٢) وأما يوسف فنموذج للرجل الواعي الحصيف^(٣)؛ فهذا هو ذا يلقي العنت من مراودة امرأة العزيز له فيأبى، ولا يفجؤه قدوم العزيز ومبادرة المرأة إلى اتهامه، بل يظل محافظاً على رباطة جأشه ويرد بقلب ثابت ولسان

(١) البيومي، البيان القرآني، (ص149).

(٢) قطب، التصوير الفني في القرآن، (ص164).

(٣) قطب، السابق، (ص166-169).

صا^داق أنها هي التي راودته عن نفسه. وإذ يكون في السجن وقبل أن يفسر الرؤى فإنه يقدم لذلك بدعوتها إلى التوحيد، ثم إنه لا يعين أي الرجلين هو الذي سيسقي ربه خمرًا وأيهما الذي سيصلب فتأكل الطير من رأسه، كيلا يجزع الأخير. وعندما يأتيه من يطلب تأويل رؤيا الملك فإنه يقدم خطة عمل واستراتيجية لخمس عشرة سنة قادمة ولا يكتفى بالتأويل، ثم لا تستخفه دعوة الملك للخروج من السجن بل يطلب إعادة التحقيق في القضية، وتتجلى الحصافة كذلك في إكرام إخوته، وتأخير كشف نفسه لإخوته، ثم في إيواء شقيقه ووضع السقاية في رحله، والبدء بأوعيتهم قبل وعاء أخيه.

والإحسان هو التقوى والصبر مجتمعين، ويوسف عليه السلام يصفه ربه بأنه من المحسنين: زى يي زي
[يوسف]، ويتحدث هو عن نفسه أنه قد تحقق بصفة الإحسان إذ اتقى وصبر فلم يضع الله أجره: ژگ گ
گ گ ن ن ٹ ڈ ڈ ژ [يوسف]، كما يصفه الفتيان بنفس الصفة ژئ ئوؤ ئوؤ ئوؤ ئوؤ
ژ [يوسف]، وخطابه بها الأخوة: ژئ ئى ئى دي نج نح نم ئى ئيج بح بخ بم بي ژ
[يوسف]، بل إن رؤيته وحتى مجرد ذكر اسمه ليستدعيان تنزيه الله تعالى، وتذكر الملائكة الكرام، والشهادة له
بالبراءة من السوء: ژت ت ڈ ڈٹ ڈ ڈف ف قق ق ج چ ژ [يوسف]، وزوي

ی پ پر ناا نه نو ئوؤ ئوؤ ئوؤ [یوسف :۵۱].

وعلى الرغم من شدة الذي يجدونه في نفوسهم تجاه يوسف عليه السلام، وتفكيرهم في قتله، فليس من الموضوعية الظن بأنهم مجرمون محترفون؛ ففي اجتماعهم للتخلص من يوسف، بدأوا الحديث عن القتل، وفي نفس اللحظة كان آخر اقتراح آخر بعدم قتله والاكتفاء بطرحه أرضاً ليكون الهلاك بغير أيديهم، ولو كانوا مجرمين

[illegible]

المطلب الرابع

التناسب بين اللفظة القرآنية وبيئة القصة الأصلية

(١) لفظة اليم، والتي تعني البحر^(١)؛ فالملاحظ أنها لم ترد إلا في قصة موسى عليه السلام، وإذا رجعنا إلى تفسير المنار، عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّهِمْ هَهُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، نجد أن

(٢) وجاء في قصة إبراهيم عليه السلام: **ر ك گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ**
ر [الأنعام]، فقد أشار إلى الشمس بقوله: **ر گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ**
 الشمس تعامل معاملة المؤنث عند العرب، حيث تبين من دراسة آلهة ما بين النهرين أن الشمس عندهم إله
 مذكر^(٢).

(2) قصة يوسف: وقد تحدث غير واحد من المفسرين والمفكرين الإسلاميين عن التناسب بين قصة يوسف علي ه السلام، وواقع الدعوة النبوية فالطبري، يقول خلال تفسيره الآية [19] من سورة يوسف: " وهذا، وإن كان خبراً من الله تعالى عن يوسف نبيه- ع - ، فإنه تذكير من الله نبيه محمداً ع وتسليية منه له عما كان يلقي من أقربائه وأنسابه المشركين من الأذى فيه، يقول: فاصبر يا محمد، على ما نالك من الله، فإنني قادر على تغيير ما ينالك به من المشركين، كما كنت قادراً على تغيير ما لقي يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا، ولم يكن تركي ذلك لهوان يوسف عليّ، ولكن لماضي علمي فيه وفي إخوته، فكذلك تركي تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون، لغير هوان بك عليّ، ولكن لسابق علمي فيك وفيهم، ثم يصير أمرك وأمرهم إلى علوك عليهم، وإذعانهم لك، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم وعلو يوسف عليهم" (١).

وتعليقاً على قوله تعالى: **ثِيَابُكَ يُصَبِّحُ** [يوسف]، يقول الطبري أيضاً: " هذا وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فإن المراد به محمد نبي الله ع ، يقول له عز وجل: كما فعلتُ هذا بيوسف من بعد ما لقي من إخوته ما لقي، وقاسى من البلاء ما قاسى، فمكنته في الأرض، ووطأت له في البلاد، فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكن لك في الأرض، وأوتيك الحكم والعلم، لأن ذلك جزائي أهل الإحسان في أمري ونهبي" (٢).

ويعقد صاحب كتاب "مؤتمر تفسير سورة يوسف" فصلاً للمشابهة بين قصتي محمد ويوسف عليهما الصلاة والسلام، يقول فيه: "فأنزل عليه وهو بمكة هذه السورة كاملة مرة واحدة، ليحيط علمه بما سيقع له من قريش وليقيس أحوال قريش على أحوال هؤلاء ويقيس شخصه على شخص يوسف، إذ هو اليوم يوسف قريش" (٣).

(3) وتشير قصة أصحاب الجنة، في سورة القلم: إلى أن حال محمد ع مع قومه، كحال أوسط أصحاب الجنة مع شركائه، أنه أوسطهم أي خبرهم وأعقلهم، وقد وصفه ربه بأنه على خلق عظيم، والحال أن الخلق الكريم قرين العقل الراجح، ومن هنا وصفه ربه تعالى بأنه على خلق عظيم، بعد أن نفى عنه التلبس بالجنون؛ **كَلَّا إِنَّكَ لَمِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ** [القلم]، فما ينبغي للأوسط أن يتبع الأقل

(١) الطبري، جامع البيان، (221/12).

(٢) الطبري، السابق، (232/12).

(٣) نوفل، أحمد، سورة يوسف دراسة تحليلية، (ص102)، نقلاً عن مؤتمر تفسير سورة يوسف، لعبد الله العلمي.

ومن جهة أخرى فقد كان نزول هذه القصة بمثابة الوقاية والتحصين لهم من عقيدة أهل الحبشة، فليسوا جميعهم على نفس الدرجة من الإيمان والوعي، فضلاً عن أن غالب أهل الحبشة لم يكونوا على مثل اعتقاد الملك، ومع ذلك نتحدث بعض المصادر عن تنصر بعض المهاجرين^(١).

المبحث الخامس

أنواع التناسب بين السور القرآنية

سبق تعريف التناسب بأنه ارتباط أجزاء القرآن الكريم بعضها ببعض، وكانت المباحث السابقة عن أجزاء القرآن التي يكون بينها ارتباط، أما هذا المبحث فيُعنَى بطرائق العلماء ومناهجهم في توجيه المناسبات القرآنية، وفهمهم لأسس ذلك الارتباط بين أجزاء القرآن، وهو ما اخترت له اسم: أنواع التناسب، وخاصة ما يكون منها بين السورة وتالياتها، وأكثره مما استخلصه الدكتور محمد العبد^(٢) من تناسق الدرر للسيوطي، أو ما استخرجه الباحث مشهور المشاهرة^(٣) من تفسير البقاعي، علماً بأن هناك العديد من من نقاط الالتقاء بينهما.

-
- (١) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (50/2)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، دت.
- (٢) العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، (ص 157-169)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط 1، 1426هـ - 2005م.
- (٣) مشاهرة، مشهور موسى، التناسب القرآني عند الإمام البقاعي/ دراسة بلاغية، (ص 107 - 129)، أطروحة ماجستير، في اللغة العربية وآدابها، من الجامعة الأردنية، 2001م.

i. التفصيل والإجمال:

القاعدة التي استقر بها القرآن - كما ذكر السيوطي - أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه^(١).

[illegible]

.ii. **التناسب على الدليل والبرهان:**

من هذا القبيل، التناسب القائم بين أوائل سورة الفيل وخواتيم سورة الهمزة؛ فإنه لما قدم في الهمزة "أن كثرة الأموال المسببة بالقوة والرجال ربما أعقبت الوبال، دل عليه بدليل شهودي محذراً من الوجاهة في الدنيا وعلو الرتبة والطغيان، مشيراً إلى أن هذه الأمور كلما عظمت زاد ضررها بما تجره، وما تحمله في ثنائها، إلى أن ينازع صاحبها الملك الأعلى، فالويل له بعد ذلك، وأدل دليل عليها ما شاهدته قريش من أمر أصحاب الفيل" (٣).

ومثله التناسب بين آخر الإسراء وأول الكهف؛ فلما ختمت الإسراء بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التتزه عن صفات النقص، لكونه أعلم الخلق بذلك، فقد بُدئت الكهف بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة من النقص، منبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم

(١) السيوطي، تناسق الدرر، (ص 65).

(٢) البقاعى، نظم الدرر، (4/118-119).

(٣) البقاعي، نظم الدرر، (528/8).

الذي خضعت لجلاله العلماء الأقدمون، وعجز عن معارضته الأولون والآخرين، الذي هو الدليل على ما خُتمت به سورة الإسراء من العظمة والكمال والتنزه والجلال^(١).

وكذا أوائل سبأ مع الأحزاب^(٢)، والتحريم والطلاق^(٣)، والفجر مع العاشية^(٤).

iii. التناسب على أساس السبب والنتيجة:

ومثاله ترتب الفتح، بمعنى النصر، على القتال، وكون الأول نتيجة للثاني؛ حيث جاءت سورة الفتح بعد سورة القتال^(٥)، وكذا ارتباط سورة النصر بسورة الكافرون، على اعتبار أن إخلاص العباد لاءهم لله تعالى وتبرأهم من أعدائه سبب لحصول نصر الله والفتح، فكأنه تعالى يقول: لما أمرتك بمجاهدة جميع الكفار، بالتبري منهم، وإبطال دينهم؛ جزيتك على ذلك بالنصر والفتح وتكثير الأتباع^(٦).

ومن المناسبة بين سورتي الفيل وقريش، ما ذكره بعض النحاة من أن اللام في ثأب ب ث موصولة بما قبلها، على معنى أنه سبحانه جعلهم كعصف مأكول لآلف قريش، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف، ومع أن هذا ليس هو الرأي الراجح عند النحاة^(٧)، فإن المناسبة المعنوية حاصلة حاصلة بين السورتين.

ومثل ذلك توالي سور: المؤمنون والنور والفرقان، فإن الإيمان سبب لامتلاك للنور، والنور سبب نتيجه حصول الفرقان.

iv. التناسب على أساس التقابل:

بأن يؤتى بمعنيين فأكثر ثم ما يقابل هذه المعاني^(٨)، وهي وسيلة في العرض تقوم على مبدأ إقامة ضدية بين فكرتين أو تعبيرين، مع قصد في اللفظ ووفاء بحق المعنى، بهدف الإقناع والإمتاع؛ لما تتضمنه من صور

(١) البقاعي، نظم الدرر، (441/4).

(٢) البقاعي، نظم الدرر، (144/6).

(٣) البقاعي، نظم الدرر، (43/8).

(٤) البقاعي، نظم الدرر، (413/8).

(٥) الألوسي، روح المعاني، (127/26).

(٦) الرازي، التفسير الكبير، (335/32).

(٧) الزجاج، أبو إسحق إبراهيم بن السري (ت 211هـ)، معاني القرآن وإعرابه، (365/5)، تحقيق عبد الجليل شلبي، دار

الحديث، القاهرة، ط 1، 1414هـ - 1994م.

(٨) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفانيتها/ علم البيان، (ص 278)، دار الفرقان، عمان، ط 2، 1996م.

لنماذج بشرية مختلفة، وحقائق دينية متناقضة^(١)، ففي سورة الواقعة مقابلة بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وفي الحاقة مقابلة بين من يؤتون الكتاب باليمين ومن يؤتونه بالشمال، وفي سورة الليل مقابلة بين الليل والنهار، وبين الذكر والأنثى، وبين من أعطى واتفق وصدق بالحسنى، فيسره الله لليسرى، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فيسره الله للعسرى.

وقال الإمام الفخر الرازي عن سورة الكوثر بأنها كالمقابلة لسورة الماعون التي قبلها؛ حيث وصف الله سبحانه فيها المنافقين بأربعة أمور: البخل وترك الصلاة والرياء فيها ومنع الزكاة، فقد ذكر في مقابلة البخل ث ث ث ث في مقابلة الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة ث ث ث أي دم عليها، وفي مقابلة الرياء ث ث ث أي لرضاه لا للناس، وفي مقابلة الماعون ث ث ث وأراد به التصديق بلحوم الأضاحي^(٢).

v. **التناسب على أساس التكميل والعطف:** بأن تكون السورة في ترتيبها كالنتمة للتي قبلها، مثل سورة الماعون - فيما ذكر السيوطي - فإنها كالنتمة لسورة الحاقة في بقية وصف يوم القيامة والنار^(٣)، وكذلك الأمر بالنسبة لسورة عبس التي ختمت بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة؛ لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة؛ ابتدئت التكوير التي تليها، بإتمام ذلك، فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة^(٤)، وكذلك الأمر بالنسبة إلى سورتي البقرة وآل عمران؛ حيث فصلنا أواخر الفاتحة فاختصت الأولى بالتعريف بالمغضوب عليهم، وفصلت الثانية في التعريف بالضالين.

وبالإمكان أن نجد لدى البقاعي وغيره، حديثاً عن التناسب بين عدد من السور المتتالية، تلخيصاً لسور ماضية، أو تهيئة لسور تالية، كما فعل وهو يعطف مناسبات الحاقة والمعارج ونوح والجن والمزمل والمدثر، فالقيامة والإنسان فالمرسلات والنبأ واستمر حتى الانفطار، وما بعدها^(٥).

vi. **التناسب على أساس الملازمة:**

- (١) مشاهرة، التناسب البلاغي، (ص118، 119)، عن/ بن عيسى بطاهر، المقابلة في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، عمان، 1994م.
- (٢) الرازي، التفسير الكبير، (307/32).
- (٣) السيوطي، تناسق الدرر، (ص128).
- (٤) البقاعي، نظم الدرر، (335/8).
- (٥) البقاعي، السابق، (143/8-144).

وقد ضرب السيوطي لذلك أمثلة فقال في المناسبة بين سورتي القمر والنجم: "لا يخفى ما في توالي هاتين السورتين من حسن التناسق في التسمية؛ لما بين النجم والقمر من الملازمة، ونظيره توالي الشمس والليل والضحى^(١)"، وقال في موطن آخر: "هذه الثلاثة حسنة التناسق جداً، لما في مطالعها من المناسبة بين الشمس والليل والضحى من الملازمة^(٢)، ومقصده من الملازمة، كما يبدو، المخالطة والتداخل وذاك واضح بين القمر والنجم في الواقع، وكذلك بالنسبة للشمس والليل والضحى؛ فالليل والضحى وقتان، فضلاً عن علاقة الشمس بهذين الوقتين وجوداً وعدماً.

vii. التناسب على أساس بيان العلة:

بمعنى أن تقع السورة موقع العلة لما قبلها، ومثاله عند السيوطي سورة البينة الواقعة موقع العلة لما قبلها؛ كأنه سبحانه لما قال في القدر: (إنا أنزلناه)، قيل: لم أنزل؟ فقل: لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة، وهو رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة، وذلك هو المنزل^(٣). ومن ذلك أيضاً اختتام الواقعة بالأمر بالتسبيح، وافتتاح الحديد به؛ على اعتبار أن أول الحديد واقع موقع العلة للأمر به وكأنه قيل: **رُكِّدُوا وَوُزِّدُوا وَوُزِّدُوا وَوُزِّدُوا** لأنه **رُكِّدُوا وَوُزِّدُوا** [الواقعة]، لأنه **رُكِّدُوا وَوُزِّدُوا** [الحديد]^(٤).

viii. التناسب على أساس التعجب والإنكار:

ومثال ذلك مناسبة أول المعارج آخر الحاكمة، فقد دل على وجوب وقوعها بتسميتها الحاكمة تنبيهاً على أنه لا بد منها ولا محيد عنها، ولم يبق هناك نوع لبس في وجوب التفرقة في الحكم بين المحسن والمسيء، وأن ترك ذلك مناف للكمال؛ لم يبق عذر لأحد أن ينكرها ويسأل عن وقوعها، ولو فعل أي أحد لكان جديراً بالتعجب منه والإنكار عليه^(٥).

(١) السيوطي، تناسق الدرر، (ص 120).

(٢) السيوطي، السابق، (ص 137).

(٣) السيوطي، السابق، (ص 141).

(٤) السيوطي، تناسق الدرر، (ص 121-122).

(٥) البقاعي، نظم الدرر، (ص 143/8-144).

والأمر نفسه يقال في مناسبة أول سورة النبأ لآخر المرسلات، فإنه لما أخبر في آخر المرسلات بتكذيبهم بيوم الفصل وحكم على أن لهم بذلك الويل المضاعف المكرر، وختمها بأنهم إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشيء؛ افتتح سورة النبأ بأن من خالفوا فيه وكذبوا الرسول في أمر لا يقبل النزاع، فقال معجباً منهم غاية العجب، زاجراً لهم ومنكراً عليهم، ومتوعداً لهم ومفخماً للأمر بصيغة الاستفهام^(١). وثمة أوجه أخرى للمناسبة؛ بين الآيات بعضها ببعض، وكذا بين السور، وفي داخل الآية الواحدة وبالذات فواصل الآيات، مما أورده البقاعي والسيوطي وغيرهما، لكن غاية هذا المبحث هي التمثيل، لا الاستقصاء.

(١) البقاعي، السابق، (8/294-295).

الفصل الثالث

أوجه التناسب الداخلية في سورة البقرة

وفيه المباحث الآتية :

المبحث الأول: التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها

المبحث الثاني: التناسب بين قصص السورة

المبحث الثالث: التناسب بين اسم السورة وموضوعها

المبحث الرابع: التناسب بين فواصل السورة وموضوعها

المبحث الخامس: الوحدة الموضوعية في سورة البقرة

تضمن هذا الفصل من أوجه المناسبات الداخلية في سورة البقرة، كلاً من: التناسب بين البدء والختام، والتناسب بين قصص السورة، ومناسبة اسمها لموضوعها الرئيس، وكذا تناسب فواصلها بمحورها، ثم الوحدة الموضوعية فيها، لكنه خلا من مبحث عن التناسب داخل الآية أو التناسب بين الآية والتي تليها، لا زهداً في الموضوع؛ ولكن لأن هذين الوجهين مما لا يكاد يخلو منهما تفسير قديم أو معاصر، وراعتهما رسالة الدكتور أسد سبحاني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكتابة فيهما كأنها إنشاء لكتاب كبير في التفسير، والباحث معني بالكتابة عن المواضيع التي تتضافر في إبراز الخطوط العريضة، والمحاور الرئيسة المؤدية إلى الوحدة الموضوعية في السورة، ولذلك لم يفرد لهما ولو مبحثاً يتضمن مجموعة من الأمثلة المتناثرة؛ لعدم تحقيقها الغاية المرجوة.

المبحث الأول

التناسب بين مطلع السورة وختامها

من البلاغة عند أهل البيان حسن الابتداء: وهو أن يُتأنق في أول الكلام؛ لأنه أول ما يقرع السمع، وعدّوا من الابتداء الحسن براءة الاستهلال؛ بمعنى أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق^(١) الكلام لأجله، والعلم الأسنّ في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن؛ فإنها مشتملة على جميع مقاصده^(٢).

وقد أكد الزركشي أن خواتم السور مثل فواتحها في الحسن؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلها جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد^(٣). ومن جهة ثانية فإن الخاتمة لأي نص، تمثل نتيجته ونهايته، وكثيراً ما تعود على بدء النص^(٤) لتذكر به، وتؤكد على ما جاء فيه، وتحقق التماسك معه^(٥).

ولفت الانتباه تركيز عدد من العلماء، على أهمية الفواتح والخواتم للكلام عموماً، وللقرآن على وجه الخصوص، لكونهما أول وآخر ما يقرع السمع؛ وبالتالي الأعمق أثراً من جهة، ثم أهمية الفواتح في الإشارة إلى موضوع الكلام وتنمته الموضوع، والخواتم في إيذانها بانتهاء الموضوع.

إن أية سورة عندما تستهل بأحد الموضوعات فإن ذلك يكشف عن كون الموضوع يحمل أهمية كبيرة يستهدف النص لفت نظرنا إليه؛ لكون الاستهلال يحتل مكانة بارزة من حيث أهميته من ناحية، ومن حيث علاقته ببقية أجزاء النص من ناحية أخرى، وتحكمه كذلك في هذه الأجزاء؛ ففي الغالب يركز المرسل كل جهوده في الجملة الأولى، إذ يكون ما بعدها غالباً تفسيراً لها، وتمثل كذلك المحور الذي يدور عليه النص فيما بعد، إذ تتعلق الأجزاء الباقية من النص بالجملة الأولى بوسيلة ما. وهذا واضح في النص القرآني بصورة جلية^(٦).

-
- (١) عند السيوطي وابن عقيلة المكي: (سبق)، والسياق يرجح ما أورده الباحث أعلاه.
 - (٢) السيوطي، الإتيان، (230/2)، وابن عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، (282-283/6)، رسائل جامعية، بإشراف مركز بحوث جامعة الشارقة، سلسلة النشر العلمي، رقم (38)، الشارقة، ط1، 1427هـ - 2006م، بتصرف.
 - (٣) الزركشي، البرهان، (233/1).
 - (٤) الأسطة، عادل، العناوين والنهايات القصصية، في مجموعة توفيق زياد القصصية "حال الدنيا" - www.najah.edu
 - (٥) الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي، (124/2)، دار قباء، القاهرة، دط، 2000م.
 - (٦) الفقي، علم اللغة النصي، (65/1).

اليقين^(۱)، وخطب المؤمنون: ژ بُ ئى ئى ئى ي ئچ ئح ثم ئى ئى بچ بح بخ بم ژ
[البقرة]، ثم جاءت خواتيم السورة عن الحساب والمغفرة والعذاب، وعن المصير إلى الله تعالى: ژ چ د د
چ چ چ چ چ چ چ د ی د ت د ڈ ژ ژ ژ ک ک ژ [البقرة: 284].... ژے ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ

ژ [البقرة].

٥) **النفقة في البدء والختم:** لئن ورد في وصف المتقين أول السورة **رُتُّ تٌ تٌ تٌ** ، فقد فصل آخرها موضوع الإنفاق في آيات عديدة، مبيناً عظم الثواب ووعداً بالمغفرة والفضل، ومحذراً من المن والأذى وتيمم الخبيث في النفقة، ومن الاغترار بالشيطان الذي يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء، وداعياً إلى الإنفاق من طيبات الكسب، وحثاً على إخفاء الصدقة، وذلك في غالب الآيات الكريمة [من 261 – 280].

(٧) دین الله أحق بالقضاء: جاء في أول السورة وصف الكتاب بأنه لا ريب فيه، ثم جاء التحدي لتأكيد أنه لا ريب فيه:

رُؤْيِي بِدَرِّ نَانَا نُئِثُوْهُ تَوْنُوْمُوْهُ مُوْتُوْمُوْنِيْرَ [البقرة]،

وجاء في ختام السورة آيتا الدّين، وفيهما الأمر بكتابه وتوثيقه بالإشهاد عليه حتى لقد تكررت مشتقات الجذر (كتب) فيهما عشر مرات، ومشتقات الجذر (شهد) ثمانى مراراً، وفي التعليل لهذه الإجراءات التوثيقيّة قال سبحانه: زَيْءٌ لَّكَ كَذْوُهُ وَزَرْ [البقرة: 282]، "فمرى هاتين الآيتين كيف تتناولان موضوع

124

[illegible]

(١١) فريقان: في أول السورة تقسيم الناس بحسب مواقفهم من هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام: المتقين، والكافرين، والمنافقين، وحين يجيء في آخر السورة التقرير بأن المؤمنين كلهم آمنوا؛ لذلك يعني إخراج المنافقين من عدادهم؛ حيث أكد بداية السورة كذب دعواهم: ﴿ثُمَّ قَفَّ يَدُوهُمْ يَمْنَهُ بِمَقْعِدِ رَجُلٍ فِي خَلْقِهِ إِذْ هُوَ غَوِيٌّ وَهُوَ صَعِيدٌ﴾ [التوبة: ٢٥].

الطوائف الثلاث المذكورة أول السورة هي في الحقيقة ثنتان فقط، ولذلك جاءت الآيتان الأخيرتان في السورة لتتحدثا عن جماعتين فحسب هما: جماعة المؤمنين، الذين يخوضون صراعاً مع زختم زمرة الكفار.

(١) البقاعي، نظم الدرر، (556/1).

المبحث الثاني

التناسب بين قصص سورة البقرة

اشتملت سورة البقرة على عدد من القصص بدءاً من قصة آدم عليه السلام، فأخبار بني إسرائيل، ومنها قصة البقرة التي بها سميت السورة، وقصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وذلك حتى منتصف السورة الكريمة، وفي الربع الأخير من السورة تأتي خمس قصص هي: قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقصة طالوت وجالوت، ثم تأتي متتابعة قصة الذي حاج إبراهيم في ربه، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وأخيراً سؤال إبراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى.

وسأبين أوجه التناسب بين القصص في سورة البقرة، عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: محور الإحياء والإماتة:

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى ﴿كُذِّبَتْ﴾ [البقرة: 73]، في ختام قصة البقرة: "أي فضربوه فحيي، ونبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القنيل، جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والعناد. والله تعالى قد ذكر في هذه السورة مما خلقه من إحياء الموتى في خمسة مواضع: ﴿وَوُؤُذِ﴾ [البقرة: 56]، وهذه القصة- يقصد قصة البقرة - ،

في تناسب الآيات والسور: دراسة وتحقيق للمقدمة وسورتي الفاتحة والبقرة، (ص 863).

(١) البقاعي، نظم الدرر، (560/1 - 561).

لقد التفت ابن كثير - رحمه الله - إلى أن جواً من الإحياء والإماتة يظل قصص السورة الكريمة، والحق أن هذا الجو يظل سائر القصص في السورة، وإن بصور أخرى أحياناً؛ ففي قصة آدم خلق الإنسان من عدم وهو إحياء بعد موت، وقد سُبقت القصة بقوله تعالى: **رُؤُوسُهُمْ فِيهَا حَاقِقَةٌ يُدْخِلُهَا فِيهَا مِنَ الْمَاجِرِ الْكَبِيرِ وَالْمُنِجِرِ الْأَثَرِ** [البقرة: 28]. وقصة طالوت بعث لأمة كانت مهزومة ميتة، إلى النصر والتمكين، بالدين والجهاد. وهذا إبراهيم عليه السلام يواجه الذي حابه في ربه أن آتاه الله الملك بقوله: **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ نَاصِرًا فَتَضَارِعُ لَهُ** [البقرة: 258]. وكذلك فإن إنجاء بني إسرائيل من آل فرعون الذين كانوا يذبون أبناءهم هو إحياء للسابقين، وسبب وجود اللاحقين المعاصرين للنبي p، وإنّ في استجابة الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بجعل مكة بلداً آمناً هو إحياء لمكة، وفي بعث محمد في العرب ليحملوا معه الرسالة إحياء آخر لهم من بعد موات، ونقل لهم من ذيل البشرية إلى صدارتها.

وذلك تختتم قصص بني إسرائيل بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَكْتُبُ لَكَ هَذِهِ الْقِصَّةَ الَّتِي كُنَّا نُقَالُ بِهَا لِقَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ١٢٩].

ثم تُذكر في سورة البقرة قصة موسى عليه السلام، وكيف أن الله اختار موسى من بين بني إسرائيل ليخبره سبحانه بأن الصاعقة أخذتهم لما قالوا إنهم لن يؤمنوا لموسى حتى يروا الله تعالى جهرة، يمتن عليهم سبحانه أن بعثهم من بعد موتهم ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا اسْتَأْذِنُوا فِي بُيُوتِهِمْ لَقَدْ حَرَّمْنَا عَلَيْكُمُ الدِّمَارَ وَالدَّسْفَةَ وَأَنْتُمْ مُّؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٦] ، ونأتي قصة البقرة فيها دليل مشاهد لبني إسرائيل على إحياء الموتى ﴿فَلْيَتْلُو ذَٰلِكُم مَّن بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفَهُمْ وَسَوَاءٌ يُؤْمِنُونَ بِالْبَاقِرَاتِ الضَّالِّاتِ الَّتِي لَا تَحْمِلُ الْوِجْدَانَ شَرْعًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ويستمر الحديث عن الموت والآخرة حتى نهاية الحديث عن بني إسرائيل.

129

عليهم وجودهم بها، ورتب على هذا حرمانهم من الخلافة، وكتب عليهم الذلة، وحذر المؤمنين كيدهم كما حذرهم مزلقهم^(١).

وتأتي من بعد ذلك قصة إبراهيم عليه السلام، وفيها تأكيد على أن إمامة البشرية وقيادتها بالدين، لا يؤتاها إلا من يستقيم على أمر الله، ولا عبرة بكونه من نسل إبراهيم عليه السلام أو غيره: **ثُمَّ هَاجَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِذْ يَبْرُونَ لَهُمْ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ بَانْتِسَابِهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ p**. وقد تكرر في السورة وصفهم بالظالمين ليؤكد انقطاع الإمامة فيهم وأن عهد الله تعالى لإبراهيم لا ينالهم: **ثُمَّ هَاجَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِذْ يَبْرُونَ لَهُمْ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ بَانْتِسَابِهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ p**. وقد تكرر في السورة وصفهم بالظالمين ليؤكد انقطاع الإمامة فيهم وأن عهد الله ووصية نبيه لعبد عجلًا جسداً، وقد أنقذه الله ممن كانوا يقصدون العجل^(٢).

وتمضي آيات السورة الكريمة تؤكد ذات الفكرة: **ثُمَّ هَاجَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِذْ يَبْرُونَ لَهُمْ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ بَانْتِسَابِهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ p**. ثم أكد سبحانه أن الظلم فيهم لا ينحصر في زمن موسى عليه السلام، فقص علينا خبرهم بعده **p**: **ثُمَّ هَاجَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِذْ يَبْرُونَ لَهُمْ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ بَانْتِسَابِهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ p**. ولم يتوقف الأمر عند حد وصفه سبحانه لهم بالظلم، وإنما بين أنه لا أظلم منهم، وذلك في حق المعاصرين للرسول عليه الصلاة والسلام: **ثُمَّ هَاجَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِذْ يَبْرُونَ لَهُمْ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ بَانْتِسَابِهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ p**.

وجاء في قصة الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك **ثُمَّ هَاجَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِذْ يَبْرُونَ لَهُمْ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ بَانْتِسَابِهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ p**. ليضيف معنى آخر؛ وهو أن الظالمين محرومون من مجرد الهداية فضلاً عن أن يكونوا من أئمة الهدى.

(2) ولولا دفع الله الناس: إذا كانت قصة آدم عليه السلام، قد عرفت محمداً **p** وأمته، غاية وجود البشر، وهي الخلافة؛ وختمت بتأكيد العداوة والصراع الأبدي بين آدم ومن بعده من المؤمنين المستخلفين من جهة، وبين أتباع إبليس، **ثُمَّ هَاجَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِذْ يَبْرُونَ لَهُمْ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ بَانْتِسَابِهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ p**. فإن قصة طالوت قد جاءت تبين للرسول **p** طريق التمكين للدين وأهله وإقامة الخلافة في

(١) قطب، في ظلال القرآن، (65/1)، بتصرف.

(٢) قطب، في ظلال القرآن، (71/1).

زُر ك ك ك ك ك ك ك ك [البقرة]. وهذا كله ينسجم أتم الانسجام مع ما بُدئت به السورة؛ من أن الكتاب لا ريب فيه، ثم تحدّي القرآن الناس إن كانوا في ريب من الكتاب أن يأتوا بسورة من مثله، مؤكداً لهم أنهم لن يفعلوا، حيث تتابع الآيات الربانية لهداية البشر وتعزيز إيمانهم والوصول بهم إلى مرحلة اليقين وطمأنينة القلب.

وفي ذلك إكرام من الله تعالى لبني آدم، إذ لم يكلفهم ما لا يطيقون، ودعوة لهم ألا يقبلوا أمراً إلا بدليل مهما كانت منزلة حامله أو أمره. ولعل من اللطيف هنا التذكير بأن هذا الأمر لا يقتصر على القرآن الكريم، بل وأيضاً الحديث النبوي الذي يجمع بين السند والمتن، أي بين الوحي ودليله؛ بل إن السند سابق على المتن ومقدم عليه؛ لا يُنظر في الثاني حتى يُثبت من الأول.

المبحث الثالث

التناسب بين اسم السورة وموضوعها الرئيس

العنوان هو: "مجموعة العلامات اللسانية التي تدرج على رأس نص لتحده، وتدل على محتواه العام، وتغري الجمهور المقصود بقراءته"^(١)؛ حيث يتم في العنوان الإشارة إلى المحتوى على اعتبار أنه اعتصار واختصار مكثف للنص القادم^(٢).

والعنوان أشبه بالباب أو العتبة التي منها يُدخل إلى النص، فضلاً عن دوره في التحديد والتمييز بين النصوص، وهنا بين السور، إضافة إلى دورها في الإغراء بالقراءة، من خلال السور المسماة بحروف الهجاء، وكذا الأسماء الغربية أو المختصرة، حيث الغالبية العظمى من أسماء السور تتكون من كلمة واحدة. ويتناول هذا المبحث قصة البقرة، التي بها سميت السورة الكريمة، وما يتعلق بعبادة البقر، وتأثير هذه العبادة، وموضوع سورة البقرة، والتناسب بين اسم السورة وموضوعها، وذلك عبر المطالب الآتية:

(١) المطوي، محمد الهادي، شعرية العنوان في كتاب "الساق على الساق في ما هو الفارياق"، مجلة عالم الفكر، مجلد 28، العدد (456/1)، الكويت، 1999م.

(٢) مالكي، فرج عبد الحسيب، عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية، دراسة في النص الموازي، (ص 24)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 1424هـ - 2003م.

فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وحيث لم تتحصل التقوى لديهم وهي الأساس للاهتمام بكتاب الله تعالى، فقد انتهت الآيات إلى تبيين المؤمنين من الطمع في إيمانهم.

المطلب الثاني

حكمة الأمر بذبح البقرة

قال الماوردي^(١): "وإنما أمر - والله أعلم - بذبح البقرة دون غيرها؛ لأنها من جنس ما عبده من العجل، ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه، وليعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته"^(٢)، وقال بمثل قوله أبو حيان: "وإنما اختص البقر من سائر الحيوانات لأنهم كانوا يعظمون البقر ويعبدونها من دون الله فاخترتوا بذلك؛ إذ هذا من الابتلاء وهو أن يؤمر الإنسان بقتل من يحبه ويعظمه"^(٣). وجاء في زهرة التفاسير في تحليل قولهم لموسى **هـ هـ** [البقرة: 67]: "وذلك لما ألفوه من أن البقرة مقدسة لا تُذبح بل تعبد"^(٤).

وعند المودودي^(٥): "كان بنو إسرائيل في فترة إقامتهم بمصر جيرة قوم يعبدون البقر، ويبدلون لها كل تعظيم وتقديس، ومن هنا تعدى هذا المرض إليهم واستشرى فيهم فأمرُوا أن يذبحوا بقرة؛ .. وإذ لم يكن الإيمان قد

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب القاضي البصري الشافعي، (ت 450هـ)، له الأحكام السلطانية، وأدب الدنيا والدين،

الحاوي في الفقه، وقانون الوزارة، [طبقات السيوطي، ص 83-84، طبقات الأندلسي، ص 119-120].

(٢) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون، (1/137)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، (1/404).

(٤) أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، (1/266).

(٥) أبو الأعلى المودودي، (1903-1979م)، مفكر إسلامي، أسس الجماعة الإسلامية في باكستان، له: الحجاب، والخلافة

استقر في قلوبهم؛ فقد حاولوا أن يتملصوا من هذا التكليف وراحوا يسألون ويسألون، وكلما ازدادت أسئلتهم ازداد الأمر عليهم ضيقاً وتعقيداً^(١). وأما كونها صفراء فلأجل إخراج العجل الذهبي الذي أشربته قلوبهم^(٢).

وقال ابن القيم: "والظاهر أن هذه القصة كانت بعد قصة العجل؛ ففي الأمر بذبح البقرة تنبيه على أن هذا النوع من الحيوان، الذي لا يمتنع من الذبح والحرث والسقي، لا يصلح أن يكون إلهاً معبوداً من دون الله تعالى، وأنه إنما يصلح للذبح والحرث والسقي والعمل"^(٣).

وقد يشهد لقول ابن القيم ترتيب القصص في سورة البقرة؛ إذ تقدم الحديث عن عبادة العجل على قصة البقرة، فضلاً عن أن بني إسرائيل في قصة عبادة العجل كانوا قريبيين من البحر؛ أي حديثي عهد بالخروج من مصر، بدلالة قول موسى عليه السلام للسامري: **ثُمَّ تَوَلَّوْا مُؤْتُوْا نِيْ بُنِيْ نُوْثَىٰ نِيْ نُوْثَىٰ يٰ ذِي الْقُرْبَىٰ** [طه]، فيما يظهر من قصة البقرة نوع استقرار وسكن بالنسبة لبني إسرائيل، وعندهم أبقار وزروع، ما يعني أنها متأخرة نسبياً عن قصة عبادة العجل.

يتضح مما سبق أن من أبرز حكم الأمر بذبح البقرة، إبطال عبادة العجل، التي كان عليها بنو إسرائيل، يعزز ذلك ويؤكد تحديد لونها بالصفرة الفاقعة التي تسر الناظرين، وذلك لون العجل الذهبي الذي عبده. ثم إن البقرة فتية قوية **ثَبِيْثَةٌ رَّابِيَةٌ رَّابِيَةٌ** [البقرة: 68]، وهي (مدللة)، لا (مذلة)!! **ثَبِيْثَةٌ رَّابِيَةٌ رَّابِيَةٌ** [البقرة: 71]، وتلك صفات للبقرة المعبودة، حيث يبحثون عن الصفات العليا، ولا يسخرونها للعمل بل تبقى غالباً في المعبد أو في موضع تكريم.

فالغاية إخراج تقديس البقر من قلوبهم، والذي يعني تسبيح الله تعالى وتنزيهه ورفض عبادة ما سواه، عن طريق إخراج عبادة الطاغوت^(٤) ليدخل مكانها عبادة الله وحده **ثَبِيْثَةٌ رَّابِيَةٌ رَّابِيَةٌ** [البقرة: 256]، وهذه الآية جاءت مباشرة بعد آية الكرسي، وما فيها من الحديث عن الله تعالى الواحد الحي القيوم والذي لا يستحق العبادة سواه، بعكس البقرة التي أمروا بذبحها.

والملك، والمصطلحات الأربعة في القرآن، [أبو الأعلى المودودي، فكره ومنهجه في التعبير، غازي التوبة، ص18-27].

(١) المودودي، أبو الأعلى، تفهيم القرآن، (85/1، 86)، تعريب أحمد يونس، دار القلم، الكويت، ط1، 1398هـ - 1978م.

(٢) سمعت الفكرة من أستاذي الدكتور أحمد نوفل، المحاضر في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية.

(٣) محمد، يسري السيد، بدائع التفسير، (320/1).

(٤) الطاغوت: مشتق من الطغيان وهو الارتفاع والغلو في الكبر، وهو على وزن فَعَلُوت من أوزان المصادر، ثم أُزيل عنه معنى المصدر، وصار اسماً لطائفة مما فيه هذا المصدر، وجُعِلَ علماً على الكفر والأصنام، وأصله صفة بالمصدر، ويُطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، كشأن المصادر. بتصرف، عن: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (29-28/3).

ولما اعتبر القرآن ذبحهم للبقرة كأن لم يكن وتحدث عن قسوة قلوبهم التي فاقت الحجارة وقد رأوا القتل يبعث حياً ويكلمهم، فقد انتهى إلى أن قلوبهم التي أُشربت العجل لا مكان فيها للتوحيد. ژ گب گ گگ گ گ گ گ گ گ ن
ن ن ٹ ٹ ڈ ڈ ه ه ه ہ ہہ ہ ہ ہ ہ ع ع ئ ئ ك ك و و و و و و و و ژ [البقرة]،
وقد اتجه الخطاب لمعاصري النبي p لتأكيد أن حالهم هي حال أسلافهم، وأن لا أمل يرجى في اهتدائهم ولا انقيادهم للرسول p.

المطلب الثالث

عبادة البقر

إن عبادة بني إسرائيل للعجل، كما لفت عدد من العلماء، لم تبدأ بالعجل الذهبي الذي صاغه لهم السامري؛ وإنما هو صاغ لهم إلهاً مما ألفوا عبادته في مصر من آلهة الفراعنة، وقد كان العجل والثور والبقرة من أبرز تلك الآلهة.

1) عبادة قديمة جداً: ومن المناسب هنا التنويه بأن عبادة البقر من أقدم العبادات على مر التاريخ وامتداد الجغرافيا؛ فالثور المجنح أحد أبرز الآلهة في " حضارة " ما بين النهرين، والثيران، أيضاً، من أبرز الآلهة في حوض البحر المتوسط، والبقرة، كما هو معروف، أحد أهم الآلهة في شبه القارة الهندية.

فقد كان " المصريون يعرفون العجل أبيس إله القوة البدنية والجنسية، والعجل عموماً كان معبود الكثير من الشعوب، ولا يوجد شعب من شعوب الشرق الأوسط إلا وكان من عبدة العجول في يوم من الأيام، وفي الهند يعبدون البقرة رمز الخصب التناسلي والخصوبة التكاثرية، والعطاء الأنثوي المتمثل في اللبن والغذاء الحيوي، كقولنا الغذاء الملكي عند النحل.

"والعبرانيون لما كانوا في أرض جاسان من مصر عبدوا العجل، ليس نقلاً عن المصريين وإنما عن الآشوريين الذين كانوا يحكمون جاسان وحكموا مصر كلها، وقد كانت تنسب مدن من المدن القديمة للعجل الإله مثل مدينة عجلون، وصورة العجل متغلغلة في الأدب العبراني الرسمي والشعبي على حد سواء، والأدب السامي عموماً، ويزعم كتبة العهد القديم أن هارون عليه السلام قد صنع لبني إسرائيل عجل الذهب وبني مذبحاً)

خروج: 5-1/32)، وأن يربعم بعد انقسام بني إسرائيل إلى مملكتين بني تمثالين للعجل أحدهما في بيت إيل،

والآخر في دان (ملوك: 26/12-33)، وظل شعب اليهود يعبد العجل، وأيد هذه العبادة جميع الملوك الذين تعاقبوا على المملكة الشمالية ما عدا الملك هوشيا، وتحفل أسفار العهدين القديم والجديد بأوصاف العجول، كما في (الأمثال: 14/4)، و(عاموس: 6/4)، و(لوقا: 15/23)، و(العدد: 19/1-22)، والرسالة إلى العبرانيين: 9/13-14)، و(التكوين: 15/9-17)، وقد وصف إرميا مصر بالعجلة ووصف سكانها بالعجول الصغيرة (إرميا: 46/20-21)^(١).

ولربما يتساءل المرء عن سر تقديس قطاعات من البشر- ولا عذر لهم قطعاً - للبقرة، وهو - كما يبدو- يرجع إلى نقطتين أساسيتين: أهمية البقرة في معيشة الإنسان، وكون الأبقار وبخاصة الذكران، رمزاً للقوة، وقد تجلى الرمزان في رؤيا الملك في قصة يوسف، ورؤيا النبي محمد عليهما الصلاة والسلام.

ففي رؤيا ملك مصر زمن يوسف عليه السلام، كانت البقرة مع السنبلة، رمزين لأهم مظاهر الحياة في حالي الرخاء والشدة؛ وذلك تقرير إلهي يؤكد أهميتها لحياة الإنسان:

ر ثا ئه ئو ئو
ز ي د ر ئو ئو ئو ئو ئو ئو

ى ي د ز [يوسف].

وكذا في رؤيا النبي محمد ρ عليه السلام ، كانت البقرة رمزاً لخير القرون أصحاب محمد ε ، فقد روى أبو موسى الأشعري^(٢) عن الرسول ε (رأيت في رؤيائي أنني هزرت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هزرتة أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء به الله من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها بقرأً — والله خير — فإذا هم المؤمنون يوم أحد)^(٣)، وتفصيل النقطةتين:

أ) تكاد البقرة أن تكون أبرز حيوان، له تأثير كبير في معيشة الإنسان خاصة في البيئات الزراعية؛ فغذاؤه لبنها ومشتقاته، وهي تثير له الأرض للزراعة، وتسقيه وتسقي حرثه، وربما حمل عليها بعض أثقاله، حتى لقد قيل بأن البقر سيد الحيوانات الإنسانية⁽⁴⁾، وقد يشعر الإنسان — وبخاصة في المجتمعات الزراعية الفقيرة — أن حياته مرتبطة بحياة البقرة، ووجوده رهن بوجودها؛ وقد يتضاعف عنده هذا الإحساس فيشعر وكأنها هي سبب

(١) الحفنى، عبد المنعم، موسوعة القرآن العظيم، (1012/1-1013)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2004م.

(٢) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس، كان حليفاً لسعيد بن العاص، وقدم المدينة بعد فتح خيبر، استعمله النبي على اليمن، وعمر على البصرة، وعثمان على الكوفة، فتح الأهواز وأصفهان، مات سنة 423، أو 444هـ، [الإصابة 4/211-214].

(٣) البخاري، في كتاب المناقب (رقم: 3622)، وكتاب المغازي، (رقم : 4081)، مسلم (رقم: 2272).

(٤) أبو حيان، البحر المحیط، (1/404).

هذا الوجود وتلك الحياة، فيعبدوها من دون الله تعالى، ويخاف عليها خوفه على نفسه وولده أو أشد، إلى الحد الذي مر فيه زمان على بعض مناطق فلسطين، مثلاً، إذا ماتت لأحد الأشخاص بقرة، لبس السواد حداداً عليها، وعزاه الناس بمصيبته^(١).

وهذا يذكرنا بالحديث الشريف: (إذا تابعتم بالعينة^(٢))، وأخذتم أذنان البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم^(٣)).

والحديث هنا يصور بعض الناس آخذين بأذنان البقر تابعين لها، ولا شك أن العين والقلب والشعور والفكر، قد سبقت الخطو في اتباع أذنان البقر، حين ظن هؤلاء أن رزقهم وحياتهم مرتبطان باتباع البقرة فلم يعودوا ينظرون إلى السماء.

وقد اقترن بهذه النقيصة، ترك الجهاد والرضا بالزرع، والتباعد بالعينة، حيث تؤدي مجموعها إلى ذل لا ينزعه تعالى عن مستحقه إلا بالعودة إلى الدين. فهو انحراف كبير عن الدين، وركون إلى الدنيا وخمول وكسل، يكون في مجتمع زراعي قد رضي بالزرع فما عاد يفارق تلك البقعة المحدودة من الأرض، لا يتحرك أبعد مما تتحرك البقرة، ولا تكاد عينه ترتفع عن ذيلها، ومن الطبيعي في مجتمع راكد كهذا أن يقتصر الناس المال لتسيير أمورهم إلى حين الحصاد، فيقرض غنيتهم محتاجهم بالربا، ولكنه يبحث عن " حيلة شرعية " ويظن، لسوء فهمه وقلة دينه، أنه بقدر على خداع الله تعالى، كما يمكنه خداع الناس، ومثل هذا المجتمع الذي يتفلسف من الدين؛ لن يرجى منه أن يحمله لغيره، وحيث لم تعد له رسالة يتحرك من أجلها فقد ترك جهاد الطلب، وقعد عن جهاد الدفع.

وحين يُحذر الرسول عليه السلام، المسلمين من اتباع أذنان البقر؛ فكأنه يقرر أنهم وإن لم يصلوا إلى درك عبادتها، لكن يمكن أن يصلوا إلى ما يقارب نفسيات وسلوكيات عابديها.

(١) كما حدثني بذلك أحد الأخوة من الريف الفلسطيني.

(٢) العينة: قرض في صورة بيع، لاستحلال الفضل (الربا). انظر: الموسوعة الفقهية، (9/ 95-97)، وزارة الأوقاف، الكويت، ط2، 1407هـ - 1987م.

(٣) رواه أبو داود في كتاب البيوع، رقم (3462)، وأحمد في مسند عبد الله بن عمر، رقم (4765)، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (11).

ويتحدث الأستاذ محمد أحمد الراشد عن وجود ظاهرة حيوية رصدتها النبي ع والفقهاء من بعده: أن الأمة الزراعية مستضعفة تستأسد عليها أمم الصناعة، وأن في تعاقد الزرع استرخاءً نفسياً معنوياً يضاد متطلبات الجهاد، فيترسب ذلك عبر الزمن وتعاقب الأجيال، حتى ينغلق أمر أمة الزراعة على الاستكانة وروح المسالمة والتنازل عن الحقوق، فتتحرك أمم الصناعة والتجارة، بما عندها من محركات نفسية، تدفع إلى الطموح والغلبة على الأسواق وضمان الغذاء من نتاج الأمم الزراعية، فتكون الحرب القصيرة الأجل، لانعدام التكافؤ، ويكون استخذاء الضعيف المزارع، كالذي كان من خبر الاستعمار^(١).

وقد جاء في سورة البقرة نفسها تحذير للمؤمنين أن يقعوا في مقدمات ذلك؛ حيث إن الأنصار فكروا بالعودة إلى مزارعهم وترك الجهاد؛ فحذرهم الله تعالى أن يُلقوا بأيديهم إلى التهلكة: ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَكَ دُونَهُ حَمَلٌ وَفِي بَطْنٍ﴾ [البقرة: 195]، كما ورد في سبب نزول هذه الآية؛ فعن أسلم بن يزيد^(٢) قال: غزونا م ن المدينة نري د القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد^(٣)، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل منا على العدو، فقال الناس: مه مه !! لا إله إلا الله ! يلقي بيده إلى التهلكة! فقال أبو أيوب الأنصاري^(٤): (إنما تأولون هذه الآية هكذا أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة، أو يبلي من نفسه؛ إنما نزلت فينا معشر الأنصار ، لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا بيننا — خفيا من رسول الله ع — : هلم نقيم في أموالنا ونصلحها ، فأنزل الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَكَ دُونَهُ حَمَلٌ وَفِي بَطْنٍ﴾ ، فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد)^(٥).

ب (ومن أسباب تقديس البقرة وعبادتها — أيضاً — أنها رمز للقوة، إذ تثير الأرض وتسقي الحرت. والثور — ذكر البقرة — رمز أوضح للقوة؛ كما هي صورته في الأدب الشعبي والرسمي على حد سواء؛ وثمة أسطورة قديمة تقول بأن الأرض على قرن ثور، وهل أقوى من مخلوق يقدر على حمل كل هذا الثقل على قرن واحد،

(١) الراشد، محمد أحمد، منهجية التربية الدعوية، (ص 317)، دار المحراب، كندا ، ط1، 1422هـ - 2002م.

(٢) أسلم ابن يزيد أبو عمران التُّجيبِي مصري تابعي ثقة من الثالثة. [العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، 335/1 ابن حبان، التتقات 45/4].

(٣) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي (ت 46هـ)، كان يؤمر على غزو الروم أيام معاوية، وذكر أنه شهد فتوح الشام مع أبيه، وقيل إن له رؤية أو صحبة، مات بحمص، [ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 33/5-35].

(٤) أبو أيوب الأنصاري، خالد بن زيد الخزرجي من بني النجار، (ت 55هـ)، نزل النبي عنده حتى بنيت له حجرة زوجه سودة، شهد العقبة وبردأ وسائر المشاهد، ودفن قرب سور القسطنطينية. [أسد الغابة 381/3-382، سير أعلام النبلاء 4/ 402-413].

(٥) رواه الترمذي في كتاب التفسير، رقم (2973)، وأبو داود في كتاب الجهاد، رقم (2512)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (13).

عند من يؤمن بهذه الأسطورة ؟ وفي المثل الرمزي (أكلت يوم أكل الثور الأبيض)^(١)، حيث يصور قوة الثور قريبة من قوة الأسد، ويقارن قوته بقوته، حتى إنه ليعجز عن منازلة ثورين. وثمة مثال آخر، وهو مصارعة الثيران في إسبانيا وغيرها؛ حيث إن الإنسان عندما يصارع الثور، لا يضيره صرع الثور أم صرعه، ثم يفخر بهزيمته له، اعترافاً منه بأن الثور أقوى منه بل هو رمز القوة، ما يهون عليه إن غلبه الثور أو أصابه. ولذلك أيضاً نجد حضوراً بارزاً للثور في آلهة الوثنيين، وقد ذكرنا الثور المجنح، كأحد آلهتهم في العراق القديم.

(2) أثر عبادة البقر

قال الدكتور حسن محمد باجودة: "ويلاحظ أن لفظ بقرة يجيء في الآيات الخمس خمس مرات، أربع منها بلفظ (بقرة)، ومرة واحدة بلفظ (البقر). ويبدو أن من أهم أسباب تكرار لفظ بقرة على لسان موسى عليه السلام مرات أربعاً، وإعادة لفظ بقرة بصريح اللفظ كل مرة يسألون فيها موسى عليه السلام ويلحفون في السؤال، من أهم أسباب بلادة أذهان السائلين وقصور إدراكهم، وكأن للقوم نصيباً مما اشتهر به جنس البقر من البلادة والبلادة"^(٢).

الصغير يقلد الكبير، والمغلوب يتابع الغالب، والناس على دين ملوكهم، وإذا ما قدس أحدٌ أو عبد شخصاً أو شيئاً، فلا بد أن يسعى لتقليده والتشبه به والاقتباس من صفاته.

والبقرة رمز للغباء ومضرب المثل به، وكثيراً ما يُشبَّه الغبي بالبقرة أو الثور، وكذلك عابدو البقر، فإنهم ما انحطوا إلى عبادتها إلا وقد بلغوا من الغباء والجهالة والعمى كل مبلغ، وإذا تتبعنا سلوك بني إسرائيل في قصة البقرة وأسئلتهم والردود عليها ظهر لنا بجلاء حمقهم وغباؤهم.

في البداية يأمرهم نبيهم p بذبح بقرة فيردون عليه: **ز ه هـ [البقرة: 67]**، ويجيبهم **ز هـ [البقرة: 67]**، ثم إذا نظرنا في أسئلتهم نجدهم يكررون مرتين سؤالاً لا ينم عن وعي: **ز و و و و و و و و [البقرة: 68، 70]**. وحتى سؤالهم الثالث عن اللون؛ لا يعدو كونه سؤالاً سطحياً لا ينم عن أي ذكاء، فوق أن مماطلتهم في الاستجابة من أكبر علائم الجهالة. ومن الملاحظ أن الرد الإلهي عليهم في كل مرة كان يبدأ بـ **ز**

(١) الميداني، مجمع الأمثال، (56/1)، رقم (81).

(٢) باجودة، حسن محمد، تأملات في سورة البقرة، (398/1)، مكتبة مصر، 1992، د. ط.

ي ي ي ر البقرة: [68، 69، 71] تبكيثاً لهم وتذكيراً بأن المطلوب من الأساس ذبح بقرة دون تخصيص ولا

تحديد صفات، وأن هذه البقرة — وإن تميزت صفاتها — لا تعدو كونها بقرة ، وما سيكون من إحياء القتيل بضربه ببعضها ، ليس لخاصية في البقرة ولا قدرة عندها، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن تعيين سن البقرة للقوم يتم من أطول طريق وليس من أقصر طريق؛ وتفسير ذلك أن لفظ "عوان" يصح أن يفهم منه المخاطبون لو كانوا أذكاء سن البقرة؛ لأن البقرة العوان هي التي ولدت بطناً أو بطنين، وهي أقوى ما تكون من البقر وأحسنه^(١).

ومع أن الهدف كان أن "يعقل" بنو إسرائيل؛ ژ ژ ژ ژ ژ ک ک ک گ گ گ ژ [البقرة] فقد كانت النتيجة مناقضة لذلك الهدف: ژ گ گ گ گ گ ن ن ن ڈ ڈ ه ه ب ه ه ه ه

ے ے ٹ ٹ ک و و و و و و و و و و و ژ [البقرة].

وإذا أمعنا النظر في أسماء عائلة البقرة (العجل، والبقرة، والثور)، وجدنا صفة العجلة تميز هذا الحيوان صغيراً، وفي حركته رعونة وطيش، ثم إذا كبر ظلت معه هذه الصفة لكنها تصبح أخطر لما يرافقها من القوة، فالأنثى الكبيرة بقرة؛ لكونها تنقر، والذكر الكبير ثور لثورته وعنفه وقوته العاتية المؤذية^(٢).

ومن المتوقع أن يكون عابد البقر المقدس لها، مقلداً لها ومتماهياً معها، فهو سفاك للدماء بغير حق ولا حد، وهو في حركته أهوج أرعن، أسوته البقرة في بقرها البطون والثور في ثورانه وبطشه، فالفراعة الذين كانوا يعبدون البقر كان من أبرز صفاتهم وجرائمهم تقتيل أولاد بني إسرائيل وذبحهم بكل همجية وقسوة قلب. وبنو إسرائيل، الذين ورثوا العقيدة والسلوك عن الفراعة، وأشربوا في قلوبهم العجل، من أكثر الأمم سفكاً للدماء؛ ولذلك جاء تحذيرهم وتهديدهم: ژ آ ب ب ب ب پ پ پ ن ن ن ت ت ت ث ث ف ف ف ف ف ف ف ف ف ف ف ف ج ج ج ج ج چ ژ [المائدة]، حتى لقد أخذ الله ميثاقهم بعدم القتل: ژ آ ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ن ن ن ن ن ت ت ت ت ژ [البقرة:84، 85].

(١) باجودة، تأملات في سورة البقرة، (405-404/1).

(٢) انظر مثلاً: أنيس، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، (بقر: ص 85)، (ثور: ص 132)، (عجل: ص 615)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1972م.

فالأمر الإلهي لبني إسرائيل بذبح بقرة، جاء بهدف منع سفك الدماء؛ ژ چ چ چ ی د ذ ذ ڈ ڈ
ژ ژ ژ ک ک ک ژ [البقرة: ۷۲-۷۳]؛ حيث يؤدي كشف القاتل إلى معاقبته وحده، ووقف التدارؤ
والنداف المؤديين إلى الاقتتال وسفك الدماء؛ فمعنى إحياء الموتى هنا حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تُسْفَك
بسبب الخلاف في قتل تلك النفس أي يحييها بمثل تلك الأحكام، على حد قوله: ژځ ک گ و و و و و ژ
[البقرة^(١)].

لكن هذا الأمر بالذبح، له حكمة أخرى، كما يبدو؛ علاجاً للنفوس الغاضبة الراغبة في الثأر والانتقام وسفك الدماء، حيث إن الذبح لحيوان كبير كالبقرة، ورؤية دمه سائلاً مسفوكاً على الأرض، يؤدي إلى تفريغ الطاقة الغضبية، وتنفيس الرغبة في القتل في الحيوان المذبوح .

ولذلك كان تشريع الجهاد تفريراً لتلك الطاقة، لإقامة الدين وتنشيط الخلافة، فيه سفك "لبعض" الدماء لأجل حماية دماء كثيرة. وقد جاء التعقيب الإلهي على قصة طالوت، التي انتهت بملك داود عليه الصلاة والسلام وخلافته:

(٢) الزمخشري، الكشاف، (154/1).

أما قصة البقرة فإنها تشير إلى النقاط الآتية:

(١) الأمر الإلهي: بداية قصة البقرة، أمر إلهي لبني إسرائيل أوحى به إلى النبي الكريم موسى p، وهذا يتناسب مع الكتابة والتكليف المذكورين في أول السورة وآخرها، والمنبتقين من الإيمان بما أنزل الله على رسله.

(٢) التوحيد: وهو أحد أبرز الغايات من الأمر بذبح البقرة، لإخراج تقديسها من قلوبهم.

(٣) البعث: تتضمن القصة مشهد إحياء لقتيل، يليه تعقيب يهدف إلى ترسيخ إيمان المعانين، بالبعث والآخره ك ك ك ك [البقرة: ٧٣]، ومعلوم أن أهم أركان الإيمان هما الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر.

(٤) منع سفك الدماء: الأمر بالذبح جاء لمنع التدارؤ حقناً للدماء، والخلافة نقيضها سفك الدماء، كما جاء في كلام الملائكة، حين أخبرهم الله تعالى، بأنه جاعل في الأرض خليفة، فقالوا: **ثَ يَ بَ ثَ ذَ ثَ ثَ** [البقرة: 30]. وهذا ما يتناغم وينسجم أتم الانسجام مع قصة البقرة.

(٥) عدم صلاحية بني إسرائيل للقيادة ولا للجندية: فقد سبق القول بأن قصة البقرة جاءت في ذروة الحديث عن فساد بني إسرائيل ونكولهم عن الأمانة ونقضهم للعهد مع الله سبحانه، وهي بذلك تؤكد أن هؤلاء القوم لم يعودوا يصلحون لأي خير؛ حتى ولو أتباعاً لأمة محمد ع ، حيث جاء التعقيب على القصة مبنياً على المسلمين من إيمانهم أو طاعتهم لهم، فقد صارت قلوبهم أقسى من الحجارة: **ث و ي ي ب ... ث البقرة: ٧٥** [البقرة: 75]، "أي ينقاد لكم بالطاعة هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود الذين شاهد آبائهم من البينات ما شاهدوه ثم قست قلوبهم من بعد ذلك"^(١)، وقد قرر أول السورة أن الكتاب هدى للمتقين، ولا تتأتى الهداية لقساة القلوب.

إنها سمات بني إسرائيل " تبدو واضحة في قصة البقرة هذه: انقطاع الصلة بين قلوبهم وذلك النبع الشفيف الرقاق: نبع الإيمان بالغيب والثقة بالله والاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل، ثم التكلؤ في الاستجابة، وتلمس الحجج والمعاذير والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وسلطنة اللسان" (٢).

وإذ قد قرر ظلمهم في غير موضع من السورة، حتى بعد زمان موسى ρ ، كما سبق القول؛ فإنه يؤكد عدم

جدارتهم لأن ينالهم عهد الله ببقاء الإمامة فيهم ژ و و و و ژ [البقرة].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (155/1).

(٢) قطب، في ظلال القرآن، (٧٧/١).

ولقد تحدث غير واحد من القدامى والمعاصرين عن المحور الرئيس لسورة البقرة، والذي قالوه - كما سيأتي -
يدور في نفس الفلك، ويتجه إلى ذات الوجهة، وإن بدا وكأنه متعدد.

يقول البقاعي في بداية السورة: " مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب رُپ ر [البقرة: ٢]، ليتبع في كل ما
قال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة؛ فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه
قصة البقرة، التي مدارها الإيمان بالغيب؛ فلذلك سميت بها السورة" (١).

وذكر في أواخر تفسيره لها: " أن بداية هذه السورة هداية وخاتمتها خلافة، فاستوفت تبين أمر النبوة إلى حد
ظهور الخلافة فكانت سناماً للقرآن" (٢).

وقال أسد سبحاني إن عمود سورة البقرة هو: " تقرير حقية القرآن والدعوة إلى الإيمان به" (٣).

وفي تفسير الشعراوي: " إن اسم سورة البقرة قد أخذ من قضية أساسية في الدين وهي الإيمان بالبعث، والإيمان
بالبعث هو أساس الدين.....، وسورة البقرة فيها تجربة حدثت مع بني إسرائيل، ورأوا البعث وهم ما زالوا في
الدنيا؛ حين بعث الله سبحانه وتعالى قتيلاً.. " (٤).

أما صاحب الظلال فيقول: " هذه السورة، تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها كلها، محور واحد
مزدوج، يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطاً شديداً؛ فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة
الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها ع وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وسائر ما
يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة
أخرى.

وهي من الناحية الأخرى، تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها، وإعدادها لحمل أمانة الدعوة
والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها،
وتجريدهم شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم ع صاحب الحنيفية الأولى، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من
العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم" (٥).

(١) البقاعي، نظم الدرر، (24/1).

(٢) البقاعي، نظم الدرر، (560/1 - 561).

(٣) سبحاني، البرهان في نظام القرآن، (ص 431).

(٤) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (95/1).

(٥) قطب، في ظلال القرآن، (28/1).

وقال في تفسير التحرير والتنوير: "وإذ قد كان نزول هذه السورة في أول عهد بإقامة الجامعة الإسلامية، واستقلال أهل الإسلام بمدينتهم؛ كان من أول أغراض هذه السورة تصفية الجامعة الإسلامية من أن تختلط بعناصر مفسدة؛ لما أقام الله لها من الصلاح سعيًا لتكوين المدينة الفاضلة النقية من شوائب الدجل والدخل"^(١). ويقول الدكتور فضل عباس: "وسورة البقرة- كما نعلم- هي سورة التكاليف التي كلفت بها الجماعة المؤمنة، وهذه التكاليف لا بد لها من علم، فمن علم بها وعمل، كان جديرًا أن يكون خليفة في هذه الأرض؛ ولذلك ذكر فيها ما يتناسب مع شخصية السورة وموضوعها"^(٢).

وعند الدكتور صلاح الخالدي أنها سورة الخلافة والخلفاء^(٣).

الاقتراسات السابقة تضمنت عددًا من النقاط، بعضها كرره غير واحد، والبعض الآخر مما تفرد به صاحبه وذلك على النحو الآتي:

(١) موضوع الكتاب: من حيث إقامة الدليل على أحقيته وأنه هدى ليؤمن به الناس ويتبعوه، تكرر عند البقاعي وأسد سبحاني، وذلك واضح من فاتحة السورة الكريمة وخاتمتها.

(٢) موضوع الآخرة: وقد لفت إليه البقاعي والشعراوي، وكلاهما استنبطه من قصة البقرة، وقد سار محور البعث مع السورة الكريمة من بدئها حتى الختام.

(٣) موضوع الخلافة: وقد صرح به سيد قطب، وابن عاشور الذي تحدث عما أسماه الجامعة الإسلامية والمدينة الفاضلة، وكذلك تحدث البقاعي في الاقتباس الثاني، والدكتور فضل عباس، والدكتور صلاح الخالدي؛ فأما البقاعي فقد جعلها الغاية التي تؤدي إليها الهداية وأخذها من الآية الختامية، وأما الدكتور عباس فقد جعلها نتيجة للقيام بالتكاليف الواردة في السورة، التي وصفها بسورة التكاليف، وهذا الوصف يدل عليه مطلع الآية الأخيرة في السورة **وَوَوَوُورْ** [البقرة: ٢٨٦].

والذي قاله العلماء في محاولاتهم للتعريف بمحور سورة البقرة، وإن بدا وكأنه متعدد، فإنه يصير أمرًا واحدًا؛ فكتاب التكليف هو الهدى وأبرز ما فيه التوحيد، الذي دلت عليه آية الكرسي وهي أعظم آية، وقصة البقرة دعت إلى التوحيد من خلال إخراج عبادة البقرة من القلوب، وقد قام الدليل على الكتاب لما عجز الناس عن الإتيان

(١) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (202/1).

(٢) عباس، فضل حسن، القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، (ص 54)، دار الفرقان، عمان، ط1، 1985م.

(٣) الخالدي، صلاح، التفسير الموضوعي، بين النظرية والتطبيق، (ص73).

بمثله، وهذا الكتاب يهدي إلى القيام بتكليف الخلافة، هذه الخلافة التي قصر فيها بنو إسرائيل، وقد أُشربوا في قلوبهم العجل، ومن ثم انتقلت إلى محمد p وأمته، ويقتضي التكليف المحاسبة والجزاء، وهما المتمثلان في البعث والآخر، وبذا يظهر جلياً التناسب بين اسم سورة البقرة وموضوعها من أكثر من وجه.

المطلب الخامس

مفردات تميز سورة البقرة

ربما كان حق هذا الموضوع أن يكون مبحثاً مستقلاً في هذا الفصل، ولكن قصر مادته من جهة، وغاية وجوده في الدراسة، من جهة ثانية، قد رجّحاً جعله في مطلب تابع لهذا المبحث حول موضوع سورة البقرة وعلاقته باسمها.

وإذا تتبعنا الألفاظ التي تفردت بها السورة الكريمة فسنجدها تصب في المصب ذاته؛ واعتماداً على كتاب معجم الفرائد القرآنية^(١)، الذي جعله مؤلفه في الجذور اللغوية التي لم ترد سوى مرة واحدة في القرآن جميعه، ومقتضى وجود أي مفردة منها في سورة البقرة يعني بالضرورة عدم وجودها في أي موضع آخر من القرآن الكريم.

(١) البسومي، باسم، معجم الفرائد القرآنية، نون للأبحاث والدراسات القرآنية، ط1، 1422هـ - 2001م.

واللافت للنظر أن غالب المفردات الخاصة بسورة البقرة^(١) هي في سياق الحديث عن بني إسرائيل، وهي: (بابل، بصلها، بقلها، عدسها، فاقع، فومها، قنائها، ماروت، ميكال، هاروت، شية).

والقسم الثاني ما ورد من المفردات في آية الكرسي والآية التي تليها، وهي: (يؤوده، انفصام، سينة).

والقسم الثالث يتعلق بالأحكام المطلوبة من المؤمنين، كالصوم والحج والعمرة، وعلى الأخص النفقة، ويقابلها الربا، وهي: (يتخبطه، رمضان، صلداً، فطل، تغمضوا، إلحافاً، المروة).

والقسم الأخير مثل ضرب للكفار، وهو كلمة: (ينعق)، وبيان لخسران تجارة المنافقين (ربحت).

فلقد وردت إحدى عشرة مفردة في بني إسرائيل وحدهم من بين ثلاث وعشرين، ما يعني مركزية موضوعهم في السورة، وهو ما يتناسب مع قصة البقرة التي سميت السورة بها، بل إن كلمتين من المجموعة قد وردتا في قصة البقرة (فاقع، شية).

والمجموعة الثانية، وهي الأكثر عدداً، فقد وردت قصة استبدال بني إسرائيل الذي هو أدنى بالذي خير، ولذلك دلالاته على مستوى هذه الجماعة البشرية وعدم صلاحيتها للخلافة أو لأي من عظام الأمور (بقلها، بصلها، عدسها، قنائها، فومها).

والمجموعة الثالثة من هذا القسم حول علاقتهم بالسحر واتباعهم ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، بدلاً من اتباعهم وحى الله تعالى على أنبيائه، ثم كفرهم بذلك الاتباع، وما فيه من تعلم ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما في هذا الخبر من تهيئة للمؤمنين من إمكانية صلاحهم، وقد صاروا أولياء الشيطان ووكلاء الطاغوت (بابل، هاروت، ماروت)، وفي تمييزهم بين (ميكال) وجبريل عليهما السلام، تأكيد منهم على رفض رسالة محمد، بدعوى سخيفة، وإظهار لعنصريتهم من جهة أخرى.

والقسم الثاني الذي تخصص في آية الكرسي والآية التالية لها، يتناسب مع موضوع التوحيد الذي جاءت تعالجه قصة البقرة، ليظهر الارتباط الوثيق بين أعظم آية في كتاب الله تعالى، والقصة التي سُميت بها أطول سورة في القرآن الكريم.

والذي لا يؤوده حفظ السماوات والأرض لن يعجزه حفظ دينه ولا نصرته أوليائه، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم، لن يضعف عن الحفظ، وليس بغافل عما يعمل الظالمون، والكفر بالطاغوت الذي قصدت إليه قصة البقرة، يجعل

(١) البسومي، السابق، (ص 133).

صاحبه مستمسكاً بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ما يشير إلى واقع أتباع محمد، وواقع الذين لم يكفروا بالطاغوت.

والقسم الثالث تحدث عن أركان الدين، وواجبات الخلفاء الجدد وما ينبغي أن يتجنبوه؛ فقد جاء حديث عن رمضان الذي فرض فيه الصيام، وعن المروة التي هي من شعائر الله تعالى في الحج والعمرة، ثم تركيز طويل على موضوع النفقة، وضرورة الإخلاص فيها، وأسباب قبولها أو ردها، وأهمية استهداف النفقة أهل العفة الذين لا يسألون الناس إلحافاً، وفي نفس الوقت الحذر من الربا الذي يستدعي إعلان الحرب الإلهية على فاعليه، ويجعل آكليهِ ألعوبة بأيدي الشيطان، ولعل التركيز على النفقة لأن الأشخاص الرساليين ينبغي أن يكونوا من أهل العطاء، لا من الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة.

المبحث الرابع التناسب بين فواصل السورة وموضوعها

الفاصلة ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة المعالم، وهي مما انفرد به القرآن عن النثر والشعر معاً، وتعد من أبرز الخصائص التي جعلته نحواً جديداً من أنحاء البيان، وطريقاً فريداً من طرق التعبير^(١). ويراد بالفاصلة: حرف الروي الذي تنتهي به الآية، ويشبه روي قافية الشعراء، أو المقطع الذي تنتهي إليه الآية، أو الجزء الأخير الذي تذيل به الآية، ويكون أفضل نهاية مناسبة متمكنة لها^(٢).

(١) أبو زيد، أحمد، التناسب البياني في القرآن، (ص 351)، رسالة ماجستير، 1990م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 19، المملكة المغربية.

(٢) اليافي، نعيم، قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، ع 15-16/ 1984، اتحاد الكتاب العرب دمشق، يتصرف. <http://www.awu-dam.org/trath/ind-turath102.htm>.

المطلب الثاني: فواصل البدء والختام في السورة

تعالیٰ آیات ز ک د گ ژ ، کما أنه لا ژ نو مو نو نی ژ .

155

157

كما جاءت غالب فواصل الجذر (عمل)، لتأكيد أن الله سبحانه ليس بغافل عما يعمل الناس وهو بصير بما يعملون، وجميعها إلا واحدة كانت في بني إسرائيل، وكان بعضها بصيغة المخاطب وبعضها الآخر بصيغة الغيبة، مع ما يترتب على ذلك من تهديد لبني إسرائيل من جهة، وطمأنة المؤمنين من جهة أخرى، والتهديد يشمل العقاب الدنيوي والأخروي على حد سواء.

وكثير من الآيات التي نتحدث عن (علم) الله تعالى، تلوح بشكل أو آخر بالجزاء الأخروي. وثمة فواصل عديدة غير ما ذكر جاءت في سياق الحديث عن الآخرة، تعزز أهمية الآخرة ترغيباً وترهيباً، لتحقيق الاستقامة وأداء التكليف، وتأكيداً على أن الإنسان لم يُخلق سدى وأنه لا محالة مبعوث من بعد الموت ومحاسب على ما قدم ومجزي به ثواباً أو عقاباً.

المطلب الرابع: فواصل التقوى

الفصلة الأولى بعد (الم) هي كلمة (للمتقين)، وفي تقديم ذكرهم أول السورة مزيد عناية بهم، في سياق التأكيد على أن الكتاب هدى خاص بهم دون سواهم، ما يعني أن حصول التقوى شرط للاهتمام بالكتاب، ثم تأتي الفصلة التالية في المجموعة تدعو الناس إلى عبادة الله (لعلمكم تتقون)، أي رجاء أن تتحصل لديكم التقوى، المؤدية للاهتمام بالكتاب، ويؤمر بنو إسرائيل في آية ثانية بتقوى الله وحده، وتكرر فاصلة (لعلمكم / لعلمهم، تتقون / يتقون) بصيغة الغائب والمخاطب أولاً مع بني إسرائيل، وقد اختيروا لحمل الكتاب بقوة، فلا بد من التقوى للاهتمام به، ثم توجه الخطاب للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، حيث كتب عليهم القصاص والصيام وبين لهم الحدود وكل ذلك لأجل أن تتحصل لديهم التقوى (لعلمكم تتقون)، وإذا كانت التقوى شرطاً للهداية فإنها كذلك شرط لحصول الموعظة، وحيث إن التقوى أمر بين العبد وربّه وهو سبحانه أعلم بمن اتقى؛ فقد جاءت آية البر تبيين الأعمال والصفات التي يصبح المؤمنون فيها من المتقين (وأولئك هم المتقون)، وجاءت آيتان في موضوع الأسرة تهييان بالمتقين أن يقوموا بأداء بعض الواجبات، وقد ورد التعقيب عليهما بقوله سبحانه (حقاً على المتقين) لتحريض المؤمنين أن مقتضى كونهم متقين أن يفعلوا ذلك، وفي سياق الرد على العدوان وعدم البدء به في الشهر الحرام، جاء التعقيب يطالب المؤمنين أن يعلموا بأن (الله مع المتقين)، في معركتهم ضد الكافرين، ليؤكد وقوع الاستجابة لدعائهم أن ينصرهم الله على القوم الكافرين ما دام الله معهم.

• ژ پ پ ژ [البقرة].

[illegible]

- [illegible]

أما في الآيتين (148، 259) فقد جاء تأكيد قدرته سبحانه على البعث والحساب، مرة بعد الدعوة إلى استباق الخيرات والإخبار بأنه سبحانه القادر على الإتيان بالناس أينما كانوا، والآية الثانية على لسان الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، إقراراً منه، بعدما أراه الله سبحانه، كيف يحيي الأرض بعد موتها.

وبالنسبة للآية (106) فقد جاء الحديث عن القدرة المطلقة على وجه الاستفهام المتضمن للإنكار والتقرير المشار فيه للتوعد والتهديد^(١)، أنه سبحانه يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير، وأنه تعالى لما لم يأت بالثاني ابتداء لم يكن ذلك عن عجز؛ فإن من علم قدرته على كل شيء لا يظن ذلك^(٢).

ومن الواضح أن فواصل القدرة المطلقة، وثيقة الصلة بموضوع السورة الكريمة، خاصة ما يتعلق بالآخرة بعثاً وحساباً وجزاءً، وكذلك ما يتعلق بما يقدره الله تعالى نسخاً أو ابتداءً؛ فهو، فضلاً عن الحكمة فيه، فإنه لا يعني العجز عن المتروك أو المؤجل.

● ژ ب ب ب ب پ پ پ پ پ ی ی ی ی ن ن ن ن ت ت ت ٹ ٹ

● رَ قَ اَ قَ جَ حَ خَ دَ ذَ رَ زَ سَ شَ T Ṣ Ẓ Ḍ Ḍ̣ Ṣ Ṣ̣ Ḥ Ḥ̣ Ḷ Ḷ̣ Ḱ Ḳ́ Ḳ Ḳ̣ Ḵ Ḵ̣ Ḷ Ḷ̣ Ḱ Ḳ́ Ḳ Ḳ̣ Ḵ Ḵ̣

• زچ چ چ چ چ چ چ چ ی ی ن نا ٹ ٹ ژ ژ ک ک گ گ گ

گ گ.

(١) البقاعى، نظم الدرر، (217/1).

167

ثم تحذير للنبي p أن لا يتبع أهواء الذين أوتوا الكتاب فيكون من الظالمين، وتأتي بعض الفواصل في موضوع مقاتلة الكافرين ورد عدوانهم، وفي سياق الطلاق للتحذير من تعدي حدود الله، وفي سياق الدعوة للإِنفاق في سبيل الله قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة حيث الكافرون هم الظالمون، وفي التأكيد على أن أحداً لن يُظلم أو يهضم حقه وستوفى كل نفس ما أنفقت، ثم يأتي موضوع الربا والدعوة إلى التوبة منه وأن يكتفي المؤمنون برؤوس أموالهم لا يظلمون ولا يظلمون، والفاصلة الأخيرة في المجموعة تأتي قبيل نهاية السورة تأمر المؤمنين أن يتقوا يوماً يرجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، فإن التقوى المذكورة أول السورة هي سبيل النجاة والفلاح، ولن يظلم أحد من الطائعين أو العصاة، وفي ذلك تطمين للجميع؛ لأن الله تعالى هو مالك يوم الدين.

- [illegible]

168

- [illegible]

وكذلك فإن فواصل الآخرة، التي كان لها حضور بارز في السورة، مهمة في دفع الناس إلى الاستقامة على الأمر والقيام بحق الخلافة، كما أن الآخرة هي النهاية الطبيعية للحياة الدنيا.

المبحث الخامس

الوحدة الموضوعية في سورة البقرة

(التناسب بين مقاطع السورة)

على الرغم من كون سورة البقرة أطول سورة في القرآن الكريم؛ فإن الوحدة الموضوعية فيها والترابط بين مقاطعها، يتجلى غاية التجلي، وهو الأمر الذي عززته المباحث السابقة من هذا الفصل، وحيث تتأكد فيها وحدة البناء على طولها وتعدد قضاياها، وما قد يظهر من النظرة العجلى من عدم الترابط بين أجزائها؛ فإن ذلك يغدو أيسر فيما دونها من السور الأقصر.

يحتل الاستهلال مكانة بارزة من حيث أهميته من ناحية، ومن حيث علاقته ببقية أجزاء النص من ناحية أخرى، وتحكمه كذلك في هذه الأجزاء، وأي سورة عندما تستهل بأحد الموضوعات فإن ذلك يكشف عن كون الموضوع يحمل أهمية كبيرة يستهدف النص لفت نظرنا إليه، والجملة الأولى في أي نص تمثل معلماً عليه.

فقد بُدئت السورة الكريمة بثلاثة أحرف مقطعة **ث ألم ز**، لا عهد للعرب بتصدير مثلها في الإنشاء والإنشاد، كما يقول الدكتور دراز رحمه الله، بما يوقظ الأسماع ويوجه القلوب، وفيه معنى التحدي والإعجاز بهذا القرآن

المكون من مثل هذه الحروف، المبعد لأي ريب عن هذا الكتاب، ولذلك تبع هذه الأحرف قوله تعالى: **ث ب پ**

پ پ پ پ پ پ پ؛ فالإشارة إلى الكتاب باسم الإشارة الدال على البعيد لبيان كماله وعلو مكانته، إعلاناً أنه

ليس في الوجود ما يصلح أن يسمى كتاباً بالقياس إليه، لأنه الحق الذي لا شبهة فيه، ولأنه الهدى المبين الذي

يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وإذ تنتشوف النفس لمعرفة مواقف الناس من ذلك الكتاب الذي ذاك شأنه،

تأتي الآيات التالية لتتحدث عن ثلاثة أصناف من الناس: المتقين الذين كان هذا الكتاب لهم هدى حتى لكأنه إليهم

وقطعهم ما أمر الله به أن يوصل، وإفسادهم في الأرض، وإذ يحسبون أنهم راجعون يأتي التأكيد أنهم هم الخاسرون.

قال في (المنار): " ذكر الكتاب أنه لا ريب فيه، ثم ذكر اختلاف الناس فيه فابتدأ بالمستعدين للإيمان به، المنتظرين للهدى الذي يضيء نوره منه، وثنى بالمؤمنين، وثلاث بالكافرين وقفى عليهم بالمنافقين، ثم ضرب الأمثال لفرق الصنف الرابع، ثم طالب الناس كلهم بعبادته، ثم أقام البرهان على كون الكتاب منزلاً من الله على عبده محمد ، وتحدى المرتابين بما أعجزهم، ثم حذر وأنذر وبشر ووعد، ثم ذكر المثل والقودة وهو الرسول، وذكر اختلاف الناس فيه كما ذكر اختلاف الناس في الكتاب ثم حاج الكافرين، وجاءهم بأنصع البراهين، وهو إحيائهم مرتين وإماتتهم مرتين، وخلق السماوات والأرض لمنافعهم، ثم ذكر خلق الإنسان وبين أطواره، والكلام لم يخرج بهذا التنويع عن انتظامه في سلكه، فهو دائر على قطب واحد في فلكه، وهو الكتاب والمرسل به، وحاله مع المرسل إليهم" ^(١).

وإذ قد طال الحديث عن الكفار وسوء فعالهم ورفضهم للبراهين الساطعة والحجج الدامغة، وعدم تأثرهم بالإنذارات، إلى الحد الذي يدعو إلى الاستنكار تأتي هذه الآية معجبة من كفرهم بالله الذي أحياهم بعدما كانوا أمواتاً ثم يميتهم ثم يحييهم ثم إليه يرجعون : **رُؤُوسُهُمْ فِي النَّارِ كُلَّ يَوْمٍ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** [البقرة: ٢٦].

موضوعاً متكرراً ومحوراً رئيساً على امتداد آيات السورة الكريمة ^(٢) لتعزيز الإيمان بالآخرة وتحقيق التقوى، والآية التالية تستمر في تعريفهم بربهم الذي خلق لهم ما في الأرض جميعاً، ليعبدوه وحده، وفي ذلك توطئة لقصة آدم عليه السلام من جهة التذكير بقصة الخلق الأول، ومن جهة كرامتهم عند الله تعالى، ومكانتهم في الأرض التي كل ما فيها مخلوق لهم.

وتأتي الفاصلة ϵ نتيجة [البقرة]، لتكون حلقة الوصل الأبرز مع قصة آدم - ϵ ، حيث إن ظاهرة (العلم) هي التي شكلت عصب القصة بما تتضمنه من مواقف وأحداث وأبطال، تستمد حركتها جميعاً من (العلم) الذي يقف وراء ذلك، حيث إنها تأخذ مساحة خاصة من النص، بل وتشكل البطانة الفكرية التي يقوم عليها هيكل قصة المولد البشري، حتى لنتكرر مشتقات (علم) في قصة آدم ثماني مرات، فالعلم المطلق صفة الله

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم/المنار، (298/1).

(٢) كما يتضح في المبحث الأول والثاني والثالث والرابع، من هذا الفصل.

تعالى، وهو علم آدم، وحجب ذاك العلم عن الملائكة فلا علم لهم ولا لغيرهم إلا بما يعلمهم سبحانه، ولذلك اصطفاه للخلافة دونهم وأسجدهم له^(١).

وبعد قصة استخلاف آدم وبنيه، يأتي الحديث عن بني إسرائيل، الذين كانت فيهم الخلافة والإمامة الدينية زماناً، لينتهي إلى التئيس من إيمانهم، وفصح دخيلاتهم، والرد عليهم في موضوع القبلة، وبيان علاقة القبلة ونبي الإسلام بإبراهيم عليه السلام الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل، مع التأكيد على أن هذا الانتساب لا يفيد ما لم يكن انتساب إيمان واستقامة، فلا ينال عهد الله الظالمين، وبالتالي فقد انتزعت الخلافة والإمامة الدينية منهم.

قال أبو حيان عند قوله تعالى ﴿ثُمَّ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ﴾ كثر [البقرة]: "ثم ختم هذه الآيات بأمر بني إسرائيل بذكر نعمه السابقة، وتفضيلهم على عالمي زمانهم، وكان ثالث نداء نودي به بنو إسرائيل، بالإضافة إلى أبيهم الأعلى، وتشريفهم بولادتهم منه، ثم أعرض في معظم القرآن عن ندائهم بهذا الاسم، وطمس ما كان لهم من نور بهذا الوسم، والثلاث هي مبدأ الكثرة، وقد اهتم بك من نبهك وناداك مرة ومرة ومرة^(٢)".

وبعد النداءات الثلاثة الموجهة إلى بني إسرائيل لا يعود يتوجه الخطاب إليهم، وإنما تتحول الآيات الكريمة إلى المؤمنين الجدد تفصل لهم أركان دينهم، وشرائع إسلامهم، وتجيب على أسئلتهم، وتحرضهم على القتال لرد العدوان ولئلا تكون فتنة ويكون الدين لله؛ فإن الفتنة أكبر من القتل وأشد، وتتضمن التفصيلات التشريعية كذلك آيات عديدة حول أحكام الأسرة وبالذات أحكام الطلاق، ثم تأتي قصة الجهاد والخلافة، (قصة طالوت) مسبوقة بقصة الهاربين من الموت لتؤكد أن من يطلبون الموت هم الذين توهب لهم الحياة بعكس الذين يهربون منه، ومن ثم تأتي ثلاث قصص تركز على قضية البعث والحساب، فإنه لا تكون استقامة على أمر الله، ولا جهاد، ولا أداء لأمانة الخلافة، ما لم يكن يقين بالبعث والحساب.

وغالب الآيات الباقية عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، وضرورة الإخلاص فيه، وعدم إبطاله بالمن والأذى، وصلة النفقة بالجهاد في غاية الظهور، وفي أواخرها آيتا الدين وقد سبق الحديث عن دلالتهما، وتأتي الآيات الخاتمة تؤكد أن كل ما في السماوات والأرض ملك لله وحده، وأنه سبحانه محاسب الكل على ما يبدون وما يخفون وهو على كل شيء قدير، ثم حديث عن إيمان الرسول والمؤمنين، وإعلانهم السمع والطاعة مع الاستغفار والإقرار بالرجعة إلى الله تعالى، والآية الأخيرة كأنها من ضمن دعاء المؤمنين تنزه الله تعالى أن

(١) البستاني، مجمود، التفسير البنائي للقرآن، موقع الحوزة www.u-of-islam.net.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، (595/1).

طيب المطعم الذي لا بقاء بحال من الأحوال بدونه، ونهى عن الربا أشد نهي؛ إشارة إلى التفتع بأقل الكفاف، ونهياً عن مطلق الزيادة للخواص وعن كل حرام للعوام، وأرشد إلى آداب الدين الموجب للثقة بما عند الله، المقتضي بصدق التوكل، المثمر للعون من الله سبحانه وتعالى والإرشاد إلى ذلك، توفي النبي ﷺ وهو متلبس به، وبنى سبحانه وتعالى كل ثلث من الأثلاث على مقدمة في تثبيت أمره، وتوجه بخاتمة في التحذير من التهاون به، وزاد الثالث لكونه الختام وبه بركة التمام، أن أكد عليهم بعد خاتمته في الإيمان بجميع ما في السورة، وختم بالإشارة إلى أن عمدة ذلك الجهاد الذي لذوي الغي والعناد، والاعتماد فيه على مالك الملك وملك العباد، وذلك هو طريق أهل الرشاد، والهداية والسداد، والله سبحانه هو الموفق للصواب^(١).

(١) البقاعي، نظم الدرر، (1/563-564).

الفصل الرابع

أوجه التناسب الخارجية لسورة البقرة

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : التناسب بين سورتي البقرة والفاطحة

المبحث الثاني: التناسب بين سورتي البقرة وآل عمران

المبحث الثالث: التناسب بين سورتي البقرة والفلق

المبحث الرابع: مناسبة السورة لواقع الدعوة الإسلامية

المبحث الخامس: التناسب بين سورة البقرة وترتيبها في المصحف

المبحث السادس: التناسب بين سورة البقرة وبقية السور المفتحة بـ(ألم)

في هذا الفصل، سيجري الحديث عن أوجه التناسب الخارجية لسورة البقرة، بدءاً من تناسبها مع سورة الفاتحة التي تسبقها، فآل عمران التي تليها؛ ثم مع الفلق نظيرتها في آخر المصحف؛ حيث إن البقرة هي السورة الثانية من الأول، بينما الفلق هي السورة الثانية من الآخر، يليه وجه التناسب بين البقرة وواقع الدعوة الإسلامية عند نزولها، ومن ثم مناسبتها لترتيبها في المصحف، وفي الختام التناسب بين البقرة ومجموعة (ألم).

المبحث الأول

التناسب بين سورتي البقرة والفاضة

سورة الفاتحة هي أم القرآن الكريم جميعه، ومن البدهي أن تكون أما لسورة البقرة على وجه الخصوص؛ كونها التالية لها مباشرة، سيما وقد ذكر السيوطي أن القاعدة التي استقر بها القرآن: أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه. وقد استقر ذلك في غالب سور القرآن، طويها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة^(١).

وأما أبرز أوجه التناسب بين السورتين الكريمتين فهي:

المطلب الأول: الإجمال و التفصيل

(١) دعاء واستجابة: فإنه لما أخبر سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين سألوها في الفاتحة هداية الصراط المستقيم، الذي هو غير طريق الهالكين، أرشدهم في أول التي تليها إلى أن الهدى المسئول إنما هو في هذا الكتاب، وبين لهم صفات الفريقين: الممنوحين بالهداية حثاً على التخلق بها، والممنوعين عنها زجراً عن قربها^(٢).

وقال البقاعي في نظم الدرر: " فحصل من هذه السورة بأسرها - يقصد سورة البقرة - بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال أخذاً وتركاً، وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تنكب عنه، وكان العباد لما عُلِّموا: **ثُ ثُ ثُ** إلى آخر السورة، قيل لهم: عليكم بالكتاب، إجابة لسؤالهم، ثم بين لهم حال من سلك ما طلبوا، فكان قيل لهم: أهل الصراط المستقيم وسالكوه هم الذين بين شأنهم وأمرهم، والمغضوب عليهم من المتكبين هم اليهود الذين بين أمرهم وشأنهم، والضالون هم النصارى الذين بين أمرهم وشأنهم، فيجب على من رغب في سلوك الصراط المستقيم أن يحذر مما أصاب هؤلاء مما نبه عليه، وأن يأخذ نفسه بكذا وكذا، وأن ينسحب إيمانه على كل ذلك، وأن يسلم الأمر لله الذي تطلب منه الهداية، ويتضرع إليه بأن لا يؤاخذ به بما يثمره الخطأ والنسيان، وأن لا يحمله ما ليس في وسعه، وأن يعفو عنه- إلى آخر السورة"^(٣)

(١) السيوطي، جلال الدين، تناسق الدرر في تناسب السور، (ص 65).

(٢) البقاعي، نظم الدرر، (32/1).

(٣) البقاعي، نظم الدرر، (556/1).

تَحْمِلُ إِلَيْهِمُ الْبَشْرَى بِإِتِّمَامِ النُّعْمَةِ عَلَيْهِمْ (۱) : ز گ گ ب گ ب گ ک گ گ گ س ن ط ط ڈ ڈ ه ه ه

ه ب ب ه ه ه ه ع ع ع ئ ئ ك ذ [البقرة].

٤) **تفصيل الحديث عن المغضوب عليهم:** ذكر السيوطي أن الحديث والإجماع على تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى. وقد ذكروا في الفاتحة على حسب ترتيبهم في الزمان؛ فعقب بسورة البقرة، وجميع ما فيها من خطاب أهل الكتاب لليهود خاصة، وما وقع من ذكر النصارى لم يقع بذكر الخطاب، ثم بسورة آل عمران، وأكثر ما فيها من خطاب أهل الكتاب للنصارى^(٢). ويعد الحديث عن بني إسرائيل أحد أبرز محاور سورة البقرة.

٥) وكما ختمت سورة الفاتحة بالدعاء للمؤمنين بألا يسلك بهم طريق المغضوب عليهم و الضالين إجمالاً—
ختمت سورة البقرة بالدعاء بألا يسلك بهم طريقهم في المؤاخذه بالخطأ والنسيان، وحمل الإصر، وما لا طاقة
لهم به تفصيلاً. وقد تضمن آخرها أيضاً الإشارة إلى طريق المغضوب عليهم والضالين بقوله ٥ هـ ٤ هـ ٣ هـ ٢ هـ ١ هـ
هـ هـ ك ز ، فتأخت السورتان في المقطع، وذلك من وجوه المناسبة في التتالي والتناسق^(٣).

٦) الرحمة في الرسول والرسالة : في الفاتحة قوله تعالى: **رَبِّ يَدِّ يُزْ** ، حيث جاءت فاصلة (الرحيم) أول فاصلة في الفاتحة وفي القرآن جميعه، وعادت في الآية الثالثة من الفاتحة، أما في سورة البقرة فقد جاءت فاصلة (الرحيم) اثنى عشرة مرة.

وقد اقترن اسم الرحمن بتعليم القرآن وخلق الإنسان وتعليمه البيان، وفي مطلع سورة البقرة حديث عن الكتاب، وخطاب للرسول عن المتقين الذين يؤمنون بما أنزل إليه، وهو الرحمة للعالمين، وكذلك قصة خلق الإنسان وتعليمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة، واختصاصه بالخلافة، ثم عن شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن.

(١) سبحاني، البرهان في نظام القرآن، (ص 82).

(٢) السيوطي، تناسق الدرر، (ص 68).

(٣) السيوطي، السابق، (ص 70).

عَ لَئِكَ لَئِكَ وَوُ وُ وُ [هود:87]، ومعنى إقامة الصلاة: جعلها كأنها قائمة بفعالها (١)،

بمعنى الموجهة الآمرة الناهية، وقد سبقت الآية التي تبين أن الصلاة (تأمر)، وفي آية أخرى أن الصلاة

القائمة (تنهى): وَوُ وُ وُ يَ يَ يَ رَ [العنكبوت: ٤٥]، وسورة البقرة تحدثت عن الصلاة في

غير موضع، وفيها أركان الإيمان والإسلام، وهي أكثر السور في الأحكام الشرعية، وأمها الأخلق.

(٣) عند سدره المنتهى: روى ابن مسعود رضي الله عنه: (لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ

الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيَقْبُضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ

مِنْ فَوْقِهَا فَيَقْبُضُ مِنْهَا، قَالَ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، قَالَ فَرَأَسُ مَنْ ذَهَبَ، قَالَ فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

ثَلَاثًا أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا

الْمُقَحَّمَاتِ) (٢).

لا شك أن كونها تنزل ليلة الإسراء عند سدره المنتهى، مقترنة بالصلوات الخمس، يجعل لها أهمية مقاربة

لأهمية الصلوات الخمس، ما يعزز الذي ورد سابقاً، وكذلك فإن هذه الأمور الثلاثة التي أُعطيها الرسول ﷺ

هي من جهة منحة عظيمة، لكونها عطاء، ولكونها عند سدره المنتهى، ولكونها ليلة الإسراء.

إن خاتمة السورة عادة تمثل ملخصها والهدف المراد منها، وحيث إن خواتيم البقرة تتضمن إيمان الرسول

والمؤمنين، واستجابتهم لأمر الله، وكون التكليف الإلهي ضمن الوسع وأدعية المؤمنين ربهم أن ينصرهم على

القوم الكافرين، وكأن نزولها ليلة الإسراء تهيئة نفسية للتكليف القادم، والصلاة له خير زاد، وهذا التكليف بمثابة

إقام الصلاة إي إقامة الدين، وما دام المقصود بهذه التكالييف هم البشر أبناء آدم فمن الطبيعي أن يخطئوا، لكن

رحمة الله تتداركهم بالمغفرة كيلا يياسوا من صلاح أنفسهم وقدرتهم على الإصلاح، ولا شك أن خطيئة آدم التي

في أول البقرة نموذج في ذلك إذ بعدها كانت سُكنى الأرض للخلافة فيها، وفي السورة أيضاً خطايا بني إسرائيل

ودعوتهم إلى التوبة وسؤال الله تعالى أن يحط عنهم خطاياهم، حيث كانت مصيبتهم الكبرى في عبادتهم العجل

وإشراكهم بالله، وقد جاء في السورة خطاب الناس أن يعبدوا الله وحده ولا يتخذوا من دونه أنداداً، الأمر الذي

ينسجم مع مغفرة الذنوب لمن لا يشرك بالله شيئاً.

(١) البقاعي، نظم الدرر، (5/6).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم (173).

الكتاب، وأوله؛ والكتاب يُقرأ من عنوانه — كما يُقال — فكأن موضوع الخلافة، وأساسها، وركنها الركين: هو الحمد.

الفاحة اسمها الحمد، وحامل الرسالة هو محمد ع، وهو حامل لواء الحمد يوم القيامة، على ما روى أبو سعيد الخدري أن الرسول ع قال (أنا سيّد ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فخرَ ، وببيدي لواءُ الحمد) ^(١)، وهو الذي بشر به عيسى عليه السلام:

رَأَى بَبْ بِبِبْ بِبِبِبْ يِ يِ نْ ثْ ذْ تْ ثْ ثْ ثْ ثْ

[الصف:6]؛ و"أحمد" على وزن صيغة التفضيل، أي أكثر حمداً. ولعل هذا هو السبب في توقف الخلافة في بني إسرائيل وانتقالها إلى محمد ع، وأمته. حيث توقف فيهم تنزيه الله تعالى وحمده، إذ لا بد لتحمل ثقل الخلافة، من أمة مميزة في تسبيحها، وحمدها لله تعالى.

المبحث الثاني

التناسب بين البقرة وآل عمران

سورة آل عمران هي الثالثة في المصحف بعد سورتي الفاتحة والبقرة، حيث تشترك معها في فاتحتها، وكونهما من الطوال، وقد وصفهما الرسول ﷺ بالزهاوين، وينطبق عليهما القاعدة القرآنية من تفصيل كل سورة لإجمال ما في السورة قبلها، من جهة، وإشارة اللاحقة لما ورد تفصيله في سابقتها من جهة أخرى ، قال البقاعي: وكما وقعت إلاحه في سورة البقرة لما وقع الإفصاح به في سورة آل عمران؛ كذلك وقع في آل عمران من نحو ما وقع تفصيله في سورة البقرة، ليصير منزلاً واحداً بما أفصح مضمون كل سورة بإلاحه الأخرى،

فلذلك هما غامتان وغابتان على قارئهما يوم القيامة لا تفرقان^(٢).

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير رقم (4765)، وأحمد في مسند ابن عباس رقم (2425)، والدارمي، (27/1)، الألباني، صحيح الجامع، رقم (1468).

(٢) البقاعي، نظم الدرر، (5/2).

كل من عند ربنا، والمناسب فيه التأخير لأنه فيما وقع بعد انتشار الدعوة^(١).

وجاء في البقرة إنزال الكتاب مجملاً، وقسمه في آل عمران إلى آيات محكمات، ومتشابهات.

[4]، مفصلاً. وصرح بذكر الإنجيل في آل عمران؛ لأن السورة خطاب للنصارى، ولم يقع التصريح به في

سورة البقرة بطولها، وإنما صرح فيها بذكر التوراة خاصة؛ لأنها خطاب لليهود^(٢).

أ) قال في البحر المحيط: "ومناسبة هذه السورة لما قبلها واضحة لأنه لما ذكر آخر البقرة ثم بي بي تج

تح تخم ژ [البقرة]، ناسب أن يذكر نصره تعالى على الكافرين، حيث ناظرهم رسول الله ﷺ، ورد عليهم

بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة، فقص تعالى أحوالهم ورد عليهم في اعتقادهم، وذكر تنزيهه تعالى عما

يقولون، وبداءة خلق مريم وابنها المسيح إلى آخر ما ورد عليهم، ولم اكان مفتتح آية آخر البقرة ژ گ گ گ

گ گ گ ژ [البقرة: 285]، فكان في ذلك الإيمان بالله وبالكتب، ناسب ذكر أوصاف الله تعالى، وذكر ما

أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ، وَذَكَرَ الْمَنْزَلَ عَلَى غَيْرِهِ م" (۳) .

(ب) **إِنْ سُوْرَةُ الْبَقْرَةِ خَتَمَتْ بِدَعَاءِ النَّصْرِ عَلَى الْكَافِرِينَ : رِم يِي تَج تَح تَخ تَم ر [البقرة]؛ فجاءت**

سورة آل عمران تتوعد الكافرين من أول أمرها وجاءت تبشرهم بالهزيمة وسوء العاقبة

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥ ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥

(ت) وَلَئِنْ خَتَمْتُ الْبَقْرَةَ بِدَعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْصَرِّمَهُمْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، فَقَدْ بَدَأْتُ آلَ عِمْرَانَ بِ: ز ب د

پ پ پ ، تَطْمِئِنَا لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْلَاهُمْ وَنَاصِرُهُمْ، وَهُوَ نِعَمُ الْمَوْلَى وَنِعَمُ النَّصِيرِ.

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم/المنار، (153/3).

(٢) السيوطي، تناسق الدرر، (ص 70-71)، بتصرف.

(٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، (9/3).

(٤) سبحانى، البرهان في نظام القرآن، (ص 642).

المطلب الثالث: التناسب بين خاتمتي السورتين: إن هاتين السورتين متشابهتان في خاتمتيهما أيضاً كما أنهما

متشابهتان في فاتحتيهما، حيث إن الخاتمتين كليهما مدح وثناء لصحابة رسول الله، p وتشتملان على أدعية

حارة ضارعة من المؤمنين واستجابة عجيبة سريعة من الله^(١).

فالدعاء في الأولى يناسب بدء الدين لأن معظمه فيما يتعلق بالتكليف وطلب النصر على جاحدي الدعوة

ومحاربي أهلها، وفي الثانية يناسب ما بعد ذلك لأنه يتضمن الكلام في قبول الدعوة وطلب الجزاء عليه في

الآخرة^(٢).

وكذلك فإن خاتمة البقرة فيها سؤال الله تعالى النصر على الكافرين، فجاءت خاتمة آل عمران تبين سبيل النصر

والفلاح بالصبر والمصابرة والمرابطة وتقوى الله تعالى.

المطلب الرابع: تناسب الاتحاد والتلاحم بين السورتين (التوأمة): قرن النبي p بين سورتي البقرة وآل عمران

في بعض أحاديثه الشريفة؛ حيث وصفهما بالزهرابين، وأنه يُؤتى بالقرآن، وأهله الذين كانوا يعملون به في

الدنيا؛ تقدمهم سورة البقرة وسورة آل عمران كأنهما غمامتان أو غيابتان أو كأنهما ظلّتان سوداوان أو كأنهما

فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما. ومثل هذا الحديث، ينوه بأهمية السورتين الكريمتين، ويجمعهما

في سياق واحد، ويصورهما كأنهما توأمان إذ تؤديان، في تكامل، ذات المهمة.

وقد ذكر السيوطي في تناسق الدرر أن بين سورة آل عمران وسورة البقرة اتحاداً وتلاحماً مؤكداً؛ لأن البقرة

بمنزلة إزالة الشبهة، ولهذا تكرر في آل عمران ما يتعلق بالمقصود الذي هو بيان حقيقة الكتاب: من إنزال

الكتاب، وتصديقه للكتب قبله، والهدى إلى الصراط المستقيم^(٣).

(١) ولذلك أيضاً، كما يتابع السيوطي، ذكر في آل عمران ما هو تال لما ذكر في البقرة، أو لازم له؛ فذكر في

البقرة خلق الناس، وذكر في آل عمران تصويرهم في الأرحام، وذكر هناك مبدأ خلق آدم، وذكر هنا مبدأ خلق

أولاده؛ وألف من ذلك: أنه افتتح البقرة بقصة آدم حيث خلقه من غير أب ولا أم، وذكر في هذه نظيره في

الخلق من غير أب؛ ولذلك ضرب له المثل بآدم^(٤).

(١) سبحاني، البرهان في نظام القرآن، (ص 642).

(٢) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم/المنار، (153/3).

(٣) السيوطي، تناسق الدرر، (ص 73).

(٤) السيوطي، السابق، (ص 73).

(٨) لقد وردت صفات المتقين في البقرة وآل عمران، لكن " كل سورة من السورتين الكريمتين ذكر فيها صفات المتقين ما يتناسب مع السياق وبلائم الموضوع؛ ففي سورة البقرة كان التركيز على قضايا العقيدة:
ثِيَابُكَ ثَوْبُكِ تَأْتِينَ فِي الثَّوْبِ فَأُولَئِكَ الْوَاقِعُونَ
الصلاة كذلك، أما في سورة آل عمران فقد ذُكرت الآيات في سياق غزوة أحد التي كانت فيها دروس كثيرة للمسلمين فذكر فيها الإنفاق في السراء والضراء، وذلك لحاجة المجاهدين إليه، وذكر فيها كظم الغيظ والعفو عن الناس، ذلك لأن المسلمين أصيبوا في أحد"(٢).

ثم جاءت آل عمران لتنتقل بهؤلاء المؤمنين من مرحلة الإعداد والتربية إلى مرحلة التطبيق والتففيذ، فدخلت بهم في معركة فاصلة بين الإسلام والكفر ثم تناولت أحداث تلك المعركة بالتفصيل ليكون ذلك إعداداً لما سيتبعها من المعارك^(٣).

(١) رضا محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم/المنار، (153/3).

(۳) سبحانی، البرهان فی نظم القرآن، (ص 643).

المطلب الخامس: تناسب الإجمال والتفصيل بين السورتين:

يطرد في السورة المتجاوزة، أن يأتي في الأولى موضوع مجملاً، فتفصله التالية، أو يأتي مفصلاً فتشير إلي التالية مجرد إشارة، ومن ذلك:

[illegible]

(١) البخاري، كتاب المغازي، رقم (1454)، وكتاب الجائز، رقم (1242).
(٢) السيوطي، تناسق الدرر، (ص 71).

٨) ذكر الدكتور أسد سبحاني أن سورة البقرة تخاطب جماهير اليهود والنصارى، وتتحدث عنهم، بينما سورة آل عمران تخاطب علماءهم وأحبارهم وتتحدث عنهم.

(١) سبحاني، البرهان في نظام القرآن، (ص644-645).

(٢) سبحاني، البرهان في نظام القرآن، (ص644).

التناسب بين سورتي البقرة والفرقان

194

علماً جلياً أنه شرع سبحانه في رد المقطع على المطلع من سورة قريش الذين أكرمهم الله بإنزال القرآن

بلسانهم، وأرسل به الرسل إليهم، كما أكرمهم ببناء البيت في شأنهم، وتعظيمه لغناهم وأمانهم^(١).

وقد تضمن كلامه السابق أن التناسب هو فقط بين السور التسع الأولى والسور التسع الأخيرة من المصحف،

وليس بين كل سورة في شطر المصحف الأول مع ما يناظرها من شطره الثاني، وفي السور مما قاله البقاعي

أو لم يقله، العديد من أوجه المناسبة ما يشهد لصحة فهمه، وربما كان ثمة مناسبة في كل السور المتناظرة

شطري المصحف، أو في عدد إضافي سوى ما ذكره البقاعي، لكن من الواضح أن ثمة شبكات من العلاقات

بين السور كالتّي بين أجهزة الإنسان المختلفة بل أوثق، وليس صعباً على من ينظر في نظم الدرر أو الأساس

في التفسير، على سبيل المثال، أن يطلع على أوجه متعددة من الترابط والتناسب بين السور لأكثر من اعتبار.

٢) الإخلاص وآل عمران: فالإخلاص وهي الثالثة من آخر المصحف، تتأخر آل عمران، وهي الثالثة من

أوله، والتي سماها البقاعي سورة التوحيد، إذ في كليتهما الحديث عن التوحيد، والمحاجة لمن ادعى أن الله

تعالى صاحبة وولداً^(٢)، فقد بدئت سورة الإخلاص بأنه سبحانه الأحد الصمد، كما افتتحت آل عمران ب ر ب ب

پ پ پ پ ٹ، ثم أكدت الإخلاص أنه سبحانه لم يلد ولم يولد، والذي هو من أبرز محاور

سورة آل عمران قصتها الرئيسة عن ولادة عيسى عليه السلام، واسم القيوم يشترك مع اسم الصمد في

استغنائهُ تعالى عن خلقه وقيامه بذاته، وفي الصمد كذلك معنى أن المخلوقات محتاجة إليه، ومما ينظره في آل

عمران قوله تعالى ژڈ ژڈ ژ ژ ژ ژ ک ی د گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ

ط ط ط ط .

(٣) **المسد والنساء:** وبالنسبة لسورة النساء- وهي الرابعة من الأول- تأمر الناس أن

پ پ پ پ پ ن ن ن ن ت ت ت ت ط ظ ظ ظ ف ف ر، فیما تکشف نظیرتها

المسد - وهي الرابعة من الآخر - عن رجل وامرأة لم يتقيا الله تعالى، ولم يرعيا حق الأرحام، مع أن رحمهما

خير رحم؛ وذلك شأن أبي لهب وزوجه، في حربهما ضد النبي ρ . ولئن أمرت سورة النساء بالنقوى ورعاية

الرحم، فإن المسد قد بينت جزاء المخالف.

(١) البقاعي، نظم الدرر، (537/8-538)، بتصرف.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، (594/8).

[illegible]

(١) البقاعي، السابق، (574/8).

(٢) البقاعي، نظم الدرر، (8 / 557).

وفي نظم الدرر أن حاصل سورة النصر الإيذان بكمال الدين، ودنو الوفاة لخاتم النبيين، والنصر على جميع الظالمين الطاغين الباغين، وذلك من أعظم مقاصد المائدة، كما يشير إليه قوله تعالى ﴿يُجِزُّ بِحَمْدِ اللَّهِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 3]، وقوله سبحانه ﴿يُؤْتِيهِم مِّنْهُ نِعْمَةً يُعْرَفُونَ﴾ [الناس: 1] ^(١).

٦) **الناس والفاتحة:** فسورة الناس وهي الأولى من آخر المصحف، تتناظر الفاتحة وهي الأولى من أوله؛ حيث بُدئت كلتاهما بالثناء على الله تعالى، ففي الناس الثناء على الله تعالى بأنه رب الناس إله الناس ملك الناس، وفي الفاتحة البدء بالحمد وهو غاية الثناء، لتضمنه بأنه تعالى رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، ولئن جاء الثناء على الله تعالى تقريراً منه سبحانه، فقد جاء الثناء في سورة الناس مسبقاً بكلمة قل ليس فقط على أساس الترداد الذاتي ولكن أيضاً باعتبار حمل الرسالة وتبليغ الفكرة.

وحيث تضمنت الفاتحة سؤال الله تعالى الهداية والسلامة من سبيل المغضوب عليهم والضالين فقد جاء في الناس طلب العوذ به سبحانه من الوسواس الخناس، من الجنة كان أم من الناس. وقد كان حق ما سبق أن يفرد في مطلب مستقل من الفصل الثاني، لكن قصر المادة الموجودة عن التناسب بين الفلق والبقرة، عن أن تشكل مبحثاً مستقلاً في هذا الفصل، والرغبة في تعزيز ما ذهب إليه البقاعي في رد المقطع على المطلع بالنسبة لسور القرآن الكريم، ثم الخلوص منها إلى ما أورده عن التناسب بين سورتي البقرة والفلق، انطلاقاً من أن الأمر مطرد وليس مجرد تعداد لصلات متوهمة بين سورة طويلة وأخرى من القصار، مما دفع الباحث إلى الاستطراد في ذكر النقولات السابقة، ومن ثم جعلها في هذا المبحث عن المناسبة بين سورتي الفلق والبقرة.

٧) **الفلق والبقرة:** وأما التناسب بين سورتي البقرة والفلق - الثانية من الأول ونظيرتها من آخر المصحف، فيقول البقاعي في ختام تفسير سورة الفلق: "وحاصل هذه السورة العظمى، في معناها الأبدع الأسمى - الاستعاذة بالله بذكر اسمه (الرب) المقتضي للإحسان والتربية، بجلب النعم ودفع النقم، من شر ما خلق، ومن شر السحر والحسد؛ كما كان أكثر البقرة، المناظرة لها في رد المقطع على المطلع؛ لكونها ثانية من الأول كما أن هذه ثانية من الآخر، في ذكر أعداء النبي ﷺ الحاسدين له على ما أوتي من النعم، وفي تذكيرهم بما منحهم من النعم التي كفروها. وأكثر ذلك في بني إسرائيل الذين كانوا أشد الناس حسداً له ﷺ، وكان من أعظم ما ضلوا

(١) البقاعي، نظم الدرر، (8 / 564).

198

مناسبة البقرة لواقع الدعوة

سبق القول بأن سورة البقرة، قد ابتدأ نزولها بُعيد هجرة النبي ﷺ، حيث تغير حال المسلمين من جماعة ودعوة مطاردة مضطهدة ، إلى مجتمع ودولة ذات هيبة ومنعة.

أو بمعنى آخر؛ فإن الله تعالى قد مكن للمؤمنين دينهم الذي ارتضى لهم، وأصبح الرسول ع خليفة لله تعالى في الأرض، ولذلك فقد جاء في بداية السورة، الخطاب للرسول ع ث أ ب ب ب ب ب ب ب ب ب [البقرة : 30
[، كأنما ليقول له: إن ربك الذي أنعم عليك ومكنك فجعلك خليفة، قد خلق أباكم آدم، أصلاً، لهذه المهمة، فأنت ومن معك ومن تبعك، ورثة أبيكم في هذا الاستخلاف؛ وبالتالي فما تقومون به ليس غريباً ولا مناقضاً لما وجد الإنسان لأجله ابتداءً.

إن سورة البقرة هي الموضوع الوحيد في القرآن كله الذي تُذكر فيه الخلافة في الأرض، مرتبطة بخلق آدم " كما يقول الأستاذ محمد قطب ، في سفره القيم : "دراسات قرآنية" ، والذي يتابع قائلاً : "لقد كان ذكر القص ة - يقصد قصة آدم - من قبل يأتي في العهد المكي، والمسلمون مشردون في الأرض، لم يُمكنوا بعد. والآن ترد القصة في العهد المدني؛ بعد أن قامت الدولة المسلمة وبدأت تتمكن في الأرض. فهل لذلك علاقة بذكر الاستخلاف في هذا الموضوع ؟! (...) فهنا بعد أن استقر المسلمون في الأرض؛ أصبح من المناسب أن يُذكر لهم أن أباهم آدم خلق ليكون خليفة في الأرض. وهم - اليوم - هم ورثة الاستخلاف، المطلوب منهم: أن يُقيموا الخلافة الراشدة في الأرض.

وما دام الرسول ﷺ والمسلمون قد تسلموا الخلافة، فما أحرأهم أن يتعرفوا على الواقع الجديد، وأقسام الناس ليكون
السير على نور وهداية؛ ولذلك فقد صُدِّرت السورة بالحديث عن أقسام الناس ، حيال هذا الكتاب وحمَلته. وأكد
في البداية على أنه هدى للمتقين، ثم خطب الرسول الكريم ﷺ بأن الكفار لن يجدي معهم الإنذار ثَأ ب ب
ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب [البقرة]، فإن في ذلك تهينة للمسلمين أن يستعدوا للمعركة الحتمية القادمة.
ولا ننسى ختام سورة البقرة حيث يُعلِّم الله تعالى المؤمنين أن يدعوه قائلين: ث ي تج تح تخ تم ژ ، وهو
نفس الدعاء الذي ورد على لسان المؤمنين من جنود طالوت عندما برزوا لجالوت وجنوده : ژ گ گ گ گ گ
گ گ گ گ گ گ گ گ ن ن ن ن ن [البقرة].

إن عدة الفئتين لم تكن وجه الشبه الوحيد ، إذ يبدو أن إيراد القصة في أول سورة مدنية، كان تهيئة لأصحاب محمد ع، كي يستعدوا للمعركة القادمة، متسلحين بالإيمان واثقين بنصر الله تعالى، غير آبهين بفارق العدد والعدة؛ وژ ذ ذ ذ ذ ذ ذ ذ ذ ر ژ ر ك ك ك ك [البقرة] ، وفيها توجيه لاستهداف أئمة الكفر، كما قتل داود جالوت، وهو ما طبقه أصحاب محمد ع؛ إذ تسابق — حتى الفتيان — للنيل من أئمة الكفر وأكابر المجرمين ، وما خبر أبي جهل بخاف ، حيث يروي عبد الرحمن بن عوف (إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن ، فكأنني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه : أتعرف أبا جهل ؟ فقلت : يا ابن أخي، وما تصنع به ؟ قال: عاهدت الله إن رأيتَه أن أقتله أو أموت دونَه. فقال

(١) البخاري، كتاب المغازي، رقم (3958، 3959).

لي الآخر سرّاً من صاحبه مثله . قال : فما سرني أني بين رجلين مكانهما ، فأشرت لهما إليه ، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء^(١). ومن اللطيف أن أول ما نزل بعد البقرة، سورة الأنفال^(٢).

المبحث الخامس

-
- (١) البخاري ، كتاب المغازي، رقم (3988)، وكتاب فرض الخمس رقم (3141)، ومسلم، رقم (1752).
(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (1 / 19).

التناسب بين سورة البقرة وموقعها في المصحف

مضى القول - في الفصل الأول- بتوقيفية ترتيب آي القرآن وسوره، وحيث تقدمت سورنا الفاتحة والبقرة هذا الموكب الكريم من سور القرآن الحكيم، فلا بد من حكم عظيمة لهذا الموقع المتقدم لسورة البقرة، تسعى المطالب الآتية الى تحليلتها.

ولعل من حكمة الله تعالى، أن ترتيب القرآن الكريم لم يكن على وفق النزول؛ فهو ليس كتاباً في التاريخ يهدف إلى رواية تاريخ الدعوة الإسلامية. وإنما غايته أن يهتدي به الناس - والمؤمنون على وجه الخصوص - إلى يوم القيامة، فيقيموا الدين ويعمروا الأرض. ومن المحال أن تتطابق حركة الدعوة الإسلامية في أي عصر مع حركتها في عصر البعثة؛ فالتاريخ لا يكرر نفسه، بل هي بشارة وضمانة ربانية: أن الدين لن يرجع - مهما بلغت سوء الأحوال - إلى ما كان عليه الوضع قبل البعثة، لبيتئد من مرحلة: **رُجِعْ** **إِلَى** **أَوَّلِهِ** **وَأَوَّلُهُ** [العلق].

المطلب الأول: من حكم مجيء البقرة أول المصحف:

١) لا تكاد تمر صفحات قليلة في سورة البقرة، حتى تأتي قصة بدء الخليقة، في بدايات المصحف، لتجيب على السؤال الفطري: من أنا؟ ولماذا جنّت؟ ومن جاء بي؟ وإلى أين أنا ذاهب؟ وما علاقتي بما حولي ومن حولي؟

فيعرف الإنسان ربه، وذاته، وغاية خلقه وأنها الخلافة عبادة لله تعالى، ويعرف كرامته على من سواه فيربأ بنفسه أن يعبد سوى ربه، أو أن يرعى مع الهمل وقد رُشِّح لهذه المهمة العظيمة .

ويدرك، فيما يدرك، من قصة آدم؛ جبهة الأصدقاء والأعداء، وعون ربه والملائكة، وأساليب الشيطان وجنوده.

(٢) وأمر آخر؛ فالبقرة هي أول الطوال، وأطول السور على الإطلاق. والبدء بها يتناسب وعزائم الناس التي تبدأ عادة، قوية، ثم لا تلبث أن تفتر، وبهذا تظهر الحكمة في أن الأجزاء الأخيرة، تتناقص طولاً حتى نرى قصار السور في آخر المصحف.

ومن الطبيعي أن كل من أراد أن يقرأ ختمة كاملة للقرآن الكريم فإنه لا بد أن يبدأ بعد الفاتحة بالبقرة، حتى لو فترت همته بعد ذلك عن إتمام المصحف؛ فإذا عاوده الحنين إلى التلاوة فلا بد أن يبدأ من جديد بالبقرة، ما يعني أن يقرأها المسلم أكثر من غيرها. ولا ننسى أن فيها غاية خلق الإنسان، وحشداً من الأحكام الشرعية، وحديثاً عن أقسام الناس، وهي التي لا يستغنى عنها سائر إلى ربه.

(٣) وقال في تفسير (المنار): "من نظر في ترتيب السور كلها في المصحف يرى أنه قد روعي في ترتيبها الطول والتوسط والقصر في الجملة، ومن حكمته أن في ذلك عوناً على تلاوته وحفظه؛ فالناس يبدأون بقراءته من أوله فيكون الانتقال من السبع الطوال (١) إلى المئين (٢) فالمئاني (٣) فالمفصل (٤)، أنفى للملل وأدعى إلى النشاط، ويبدأون بحفظه من آخره لأن ذلك سهل على الأطفال، ولكن في كل قسم من الطوال والمئين والمفصل تقديماً لسورة قصيرة على سورة أطول منها، ومن حكمة ذلك أنه قد روعي التناسب في معاني السور مع التناسب في الصور؛ أي مقدار الطول والقصر" (٥).

المطلب الثاني: البقرة أم ثانية للقرآن الكريم

بنى الأستاذ سعيد حوى تفسيره (الأساس في التفسير)، على قاعدة الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم جميعه، وليس فقط الوحدة الموضوعية لكل سورة على حدة، انطلاقاً من أن سور القرآن جميعها تفصل سورة البقرة، كما سيأتي بعد أسطر قليلة.

وللحقيقة فإن فكرة الوحدة الموضوعية للقرآن، وفكرة مركزية سورة البقرة بالنسبة لباقي المصحف قد أشار إليهما غير واحد من العلماء، وإن كان يحسب لصاحب (الأساس) أنه أثبت الفكرة وفصلها، وأطال الحديث وكرره عنها خلال تفسيره.

فقد أكد السيوطي أن: "القاعدة التي استقر بها القرآن: أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له وإطناب لإيجازه. وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن طویلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة" (٦).

والذي يهمنا من قول السيوطي هذا أنه إذا كانت سورة البقرة مفصلة لسورة الفاتحة، التي هي أم القرآن، فإن البقرة بهذا المعنى هي أم ثانية للقرآن، مع فارق أن الفاتحة مجملة وأن البقرة مفصلة.

(١) الطوال: وهي سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، [الجرمي، إبراهيم، معجم علوم القرآن، ص 243، دار القلم، دمشق، ط 1، 1422هـ - 2001م].

(٢) المئين: السور التي تلي السبع الطوال، وهي من أول الأنفال إلى نهاية السجدة، ما عدا سورة يونس لأنها من السبع الطوال، [الجرمي، ص 238].

(٣) المئاني: السور التي تلي المئين، من أول الأحزاب إلى أول سورة ق، [الجرمي، ص 243].

(٤) المفصل: السور التي تلي المئاني، وهي من أول سورة ق إلى سورة الناس، [الجرمي، ص 272].

(٥) رضا، تفسير القرآن الحكيم/ المنار، (7/ 287-289).

(٦) السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، (ص 65).

وفي تناسق الدرر يتحدث السيوطي عن أربع سور بدءاً من آل عمران ^(١) تفصل في سورة البقرة، فالنساء، ثم المائدة والأنعام ^(٢)؛ ما يعزز فكرة تفصيل ما بعد سورة البقرة لها.

و قال البقاعي في ختام تفسيره لسورة البقرة " إن بداية هذه السورة هداية وخاتمتها خلافة، فاستوفت تبين أمر النبوة إلى حد ظهور الخلافة فكانت سناماً للقرآن، وكان جماع ما في القرآن منضمّاً إلى معانيها إما لما صرحت به أو لما ألاحته وأفهمه إفصاح من إفصاحها، كما تتضمن هي مع سائر القرآن إلى سورة الفاتحة فتكون أمّاً للجميع" ^(٣).

فكلامه واضح في أن جماع ما في القرآن منضم إلى معاني سورة البقرة، وأنها تتضمن مع سائر القرآن للفاتحة فتكون أمّاً للجميع، والضمير هنا عائد - كما أفهمه - للبقرة لا للفاتحة؛ لما سبق من قوله في انضمام جماع ما في القرآن إلى البقرة، ولأن كون الفاتحة أمّاً للقرآن ليس بحاجة إلى تدليل، وليس هذا مكان ذكره.

وقد لخص الأستاذ سعيد حوى نظريته في الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، بعد فراغه من تفسير سورة الناس، تحت عنوان: (كلمة أخيرة في السياق القرآني العام) بقوله: " رأينا أن سورة الفاتحة ذكرت كل المعاني القرآنية بإجمال، وجاءت سورة البقرة لتفصل في الطريقتين: طريق المنعم عليهم، وطريق المغضوب عليهم والضالين، وجاءت الآيات التسعة والثلاثون من سورة البقرة للتحدث عن المعاني الرئيسية في الهدى والضلال.

ثم جاءت بقية السورة لتخدم معنى من المعاني الآتية في هذه التسعة والثلاثين آية، ثم جاءت بعد ذلك أربع وعشرون مجموعة قرآنية، كل مجموعة فصلت في معاني سورة البقرة على ترتيب ورود هذه المعاني في سورة البقرة بشكل رأينا حكمه وتفصيلاته فيما مر معنا، ورأينا أن في كل تفصيل جديداً وفي كل سورة جديداً. لقد رأينا ابتداء أن القرآن ينقسم إلى أربعة أقسام: قسم الطوال وقسم المئين وقسم المثاني وقسم المفصل، ورأينا أن كل قسم من هذه الأقسام يتكامل مع بعضه، وأن هذه الأقسام كلها تتكامل مع بعضها.

وقد رأينا أن القسم الأول يتألف من سورة البقرة ومجموعة واحدة - يقصد الطوال - تفصل في سورة البقرة من أولها إلى آخرها، ورأينا أن قسم المئين يتألف من ثلاث مجموعات، كل مجموعة تفصل في سورة البقرة من ابتدائها إلى مكان فيها، ثم جاء قسم المثاني وفيه خمس مجموعات، كل مجموعة تفصل في سورة البقرة من

(١) سبق الحديث عنه في مبحث التناسب بين البقرة وآل عمران.

(٢) السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، (ص75، 80، 85).

(٣) البقاعي، نظم الدرر، (1/560-561).

ابتدائها حتى آية منها على اختلاف في المدى الذي يبلغه التفصيل، ثم جاء قسم المفصل وفيه خمس عشرة مجموعة كل مجموعة تفصل في سورة البقرة من ابتدائها إلى مكان ما فيها، وهكذا نجد أن سورة البقرة قد فصلت أربعاً^(١) وعشرين مرة تفصيلاً بعد تفصيل".^(٢)

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ سعيد حوى قد اعتمد في نظريته على حديث: (أُعْطِيَ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعُ الطَّوَالَ، وَمَكَانَ الزَّبُورِ الْمِائِينَ، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِائِيَّاتِ، وَفُضِّلَتْ بِالْمَفْصَلِ)^(٣)، وللعلماء أقوال في تحديد بدايات بعض المجموعات ونهاياتها^(٤)، مما لا تحتمله هذه الرسالة؛ كونه ليس من أغراضها. ولقد أطال الباحث فيما نقله هنا، وفيما سينقله تالياً عن تفسير (الأساس)؛ متابعاً الأستاذ سعيد حوى الذي كان يطيل الكلام، ويكرره في أكثر من موضع، وهو يبرهن على نظريته في الوحدة الموضوعية، لما في ذلك من تعزيز للفكرة.

والباحث معنيّ هنا فقط بمجرد الإشارة السريعة لنظرية الأستاذ سعيد حوى، وليس بصدد الشهادة لها أو عليها، ولا مناقشتها أو نقدها ببيان أوجه القوة والضعف فيها، وقد عرض البحث لعدد من أقوال العلماء السابقين، فضلاً عن الأمثلة التفصيلية الكثيرة الموثقة في تفسيره الأساس، ما يجعل النظرية في عمومها في دائرة القبول. ومن الدراسات التي تخصصت في " الأساس في التفسير"، أطروحة ماجستير للدكتور أحمد الشرقاوي في جامعة الأزهر، وكان قد تفضل بإرسالها للباحث بواسطة البريد الإلكتروني، ثم نشرها في موقعي: صيد الفوائد، وشبكة التفسير^(٥).

المبحث السادس

التناسب بين سورة البقرة وبقية السور المفتحة ب(الم)

(١) في المطبوع: (أربعة).

(٢) حوى، الأساس في التفسير، (6770/11-6771).

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن باب فضائل السبع الطوال (ص 119)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (2415)، والطبراني في المعجم الكبير رقم (187) .

(٤) انظر، على سبيل المثال، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (307/1-311).

(٥) www.saaid.net www.tafsir.net,

ستّ سور في القرآن الكريم بُدئت ب(ألم)، وهي البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة. وحيث إنّ لها جميعاً ذات الفاتحة فإنّ ذلك يعني وجود التناسب فيما بينها بشكل أو بآخر، وقد ذُكر في مبحث سابق أوجه التناسب بين البقرة وآل عمران، وفي هذا المبحث شيء من المناسبة بين البقرة والسور الأربع الباقية.

وقد حاول غير واحد من العلماء القدامى والمعاصرين أن يقف على أسرار الافتتاح بالحروف المقطعة ذاتها، ومنهم ابن القيم وسعيد حوى، والذي ذكره مقاربات وتحويمات حاولت أن تربط بين السور، دون أن تأتي بالجواب الحاسم، وما في هذا المبحث يستحضر ما أورده الفضلاء، ويسعى إلى محاولة جديدة للتحويم والمقاربة.

المطلب الأول: مقارنة الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد

الهزمة هي أول مخارج الحلق مما يلي الصدر، واللام من وسط مخارج الحروف وهي أشد اعتماداً على اللسان، والميم هي آخر الحروف ومخرجها من الشفتين، وجاء ترتيب الحروف مطلع السورة من البداية إلى الوسط إلى النهاية، وكل سورة افتتحت بهذه الأحرف الثلاثة - كما يقول ابن القيم - فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسطه؛ فمشتملة على تخليق العالم وغايته، وعلى التوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر، وقد مثّل لذلك بسورة البقرة وآل عمران والسجدة والروم^(١) ولم يذكر سورتي العنكبوت ولقمان اللتين لهما نفس الفاصلة، ولا الأعراف أو الرعد اللتين لهما الفاتحة ذاتها مع زيادة حرف آخر كل منهما (المص، المر).

وقد يشهد لما قاله ابن القيم أن جميع السور السابقة تتضمن الحديث عن الآخرة، ومثل ذلك الحديث عن التشريع والأوامر، وأما بالنسبة لبدء الخلق وغايته فقد اشتملت سورة البقرة على قصة آدم والخلافة، وفي آل عمران حديث عن تصوير الناس في الأرحام، وإشارة إلى قصة آدم في قوله تعالى ﴿ثُمَّ هَوَّاهُ وَنَزَّلْنَاهُ مِنْهَا مُرْتَدًّا فَقَتَلْنَا لَهُ قَتْلًا كَانَ يَجْزِيهِ فَنَصَبْنَاهُ قَدْحًا فَنَادَى ابْنَ آدَمَ أَنْ نَزِّلْكَ مِنَ الْقَدْحِ فَنُزِّلْنَاكَ مِنْهَا مُنْقَلَبًا وَنَعْنَعُ الْكَاذِبِينَ﴾

(١) ابن القيم، بدائع الفوائد، (3/199).

[illegible]

المطلب الثاني

مقاربة الأستاذ سعيد حوى فى الأساس

وقد تناول، رحمه الله، فيها الجوانب الآتية:

أولاً: التناسب في ترتيب فواتح السور التي تأتي بعد مجموعتي (الم)

قال في (الأساس): ثم إنك تلاحظ أحياناً أن مجموعة من السور لها بدايات معينة تشبهها مجموعة أخرى لها

نفس البدايات، فمثلاً نلاحظ أن سورتي البقرة وآل عمران مبدوءتان ب (الم)، وتأتي بعدهما سورتنا النساء

والمائدة، وكل منهما مبدوءة ب(يا أيها) ، ثم تأتي سورة الأنعام وهي مبدوءة ب(الحمد لله).

ونلاحظ بعد ذلك بسور كثيرة أنه تأتي سورة العنكبوت هي والسور الثلاث بعدها مبدوءة ب(الم)، ثم تأتي بعد ذلك سورتا سبأ وفاطر، وكل منهما تبدأ بالحمد لله^(١).

ثانياً: مجموعة (الم) تفسر مقدمة سورة البقرة

للأستاذ سعيد حوى في كتابه (الأساس في التفسير)، نظريته في الوحدة القرآنية، والتي أقامها على أساس أن كل سورة بعد سورة البقرة إنما تفصل آية أو آيات منها، انطلاقاً من تقسيم القرآن إلى مجموعات، تفسر مرة بعد مرة آيات البقرة من أولها حتى نهايتها.

وعنده أن السور الأربع التي تبدأ ب(الم)، تفصل في مقدمة سورة البقرة، وأن تفصيل كل من السور الأربع لهذه المقدمة يكمل تفصيل الأخرى، فسورة العنكبوت مثلاً تفصل في قضايا الإيمان بالغيب والكتاب، ومستلزمات ذلك بشكل أخص، بينما سورة الروم تفصل في قضايا الإيمان باليوم الآخر بشكل أخص، وكل من السور الأربع تفصل في جانب من مقدمة سورة البقرة، وفي امتدادات ذلك من سورة البقرة نفسها^(٢).

وذكر في موطن آخر أن مقدمة سورة البقرة بآياتها العشرين؛ قسم منها في المتقين، وقسم منها في الكافرين، وقسم منها في المنافقين. وكل صفة للمتقين يقابلها صفة للكافرين أو صفة للمنافقين، ويلاحظ في هذه السور الأربع أنها تعمق في سياقها الرئيسي موضوعاً من موضوعات الآيات الواردة في المتقين، وتتحدث خلال ذلك عما يقابل ذلك. ومن ثم فإن السور الأربع – وإن كانت في سياقها الرئيسي تفصل في الآيات الأولى لمقدمة سورة البقرة، فإنها تفصل – في الحقيقة – في مقدمة سورة البقرة كلها. ومن ثم نجد في سورة العنكبوت كلاماً عن الكافرين والمنافقين، ونجد في سورة الروم كلاماً عن الكافرين، ونجد في سورتَي لقمان والسجدة كلاماً عن الكافرين، فالتفصيل في النهاية لمقدمة سورة البقرة كلها، أي للعشرين آية الأولى من سورة البقرة^(٣).

والسطور الآتية تلخيص لأهم ما أورده الأستاذ سعيد حوى في تفسيره (الأساس) عن الارتباط بين سورة البقرة وكل من العنكبوت والروم ولقمان والسجدة.

(١) حوى، الأساس، (78/1).

(٢) حوى، سعيد، الأساس، (8/4158).

(٣) حوى، السابق، (8/4305 – 4306).

المنقون في سورة البقرة بأنهم: ژ ف ق ج ژ، فإن آخر آية في سورة الروم هي: ژ ب خ م ي ت ج ژ^(١).

وقد بُدئت عدة آيات في السورة الكريمة باسم الجلالة (الله)، أو الضمير الدال عليه سبحانه، كالأيات السابقة وغيرها أيضاً، في سياق الاستدلال والاحتجاج على اليوم الآخر، ما يعزز فكرة الارتباط الشديد بين ركني الإيمان بالله وباليوم الآخر^(٢)، وفي السياق ذاته مجيء عدد من الآيات المتتابعة في السورة تعرض بعض آيات الله تعالى الدالة عليه، وابتدائها بقوله سبحانه: (ومن آياته)، حيث إن الإيمان باليوم الآخر فرع الإيمان بالله، والتدليل على الله وأسمائه وصفاته تدليل على اليوم الآخر^(٣)، وعلى هذا فلا يكون الخلل في التصورات عن اليوم الآخر إلا بسبب الخلل في معرفة الله عز وجل، وأعظم خلل في معرفة الله هو الشرك، لذلك كان هو العامل الأكبر في اختلال تصورات الإنسان عن اليوم الآخر، وكما جاء في مقدمة البقرة وصف المتقين بأنهم يقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون، ف كذلك تضمنت سورة الروم الحديث عن هذين الركنين العظيمين^(٤).

دون أن ننسى أن ركني الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر اللذين ركزت عليهما سورة الروم هما رأس الإيمان بالغيب المذكور في مقدمة سورة البقرة^(٥).

وحيث قد جاء في مقدمة الروم ژي پږ ر ناا نه نه ئونو ئو ئو ئو ئو وچاء فيما بعد ژه ه ه ه ع ع ژ، ما يعني أن الكلام عن النصر محور رئيس من محاور السورة^(٦)، وتأتي الآية الأخيرة في السورة تأمر النبي p أن يصبر انتظاراً لوعد الله بنصره للمؤمنين متزامناً مع غلبة الروم على الفرس^(٧)، ژئج ئح ثم ئى ئى بـج بـخ م ي ي تـج ژ.

وقد فات صاحبَ (الأساس) ربطُ سورة الروم، وبالذات مقدمتها وخاتمتها ، بخاتمة البقرة ثم بي تج تح تخ تم ژ، وسيأتي بإذن الله.

(١) حوى، سعيد، السابق ، (4247/8)، بتصرف.

(٢) حوى، السابق، (4260/8)، بتصرف.

(٣) حوى، الأساس، (4265/8)، بتصرف.

(٤) حوى، السابق، (4269/8).

(٥) حوى، السابق، (٨ / 4272-4273)، بتصرف.

(٦) حوى، السابق، (8 / 4285)، بتصرف.

(٧) حوى، السابق، (8 / 4297)، بتصرف.

(٣) ارتباط سورة لقمان بسورة البقرة

ذكر صاحب (الأساس) أن آيات مقدمة سورة لقمان، تكاد تكون هي نفس الآيات الأولى من مقدمة سورة البقرة، مع تركيز خاص حول الاهتداء بكتاب الله، ومن ثم عن الموقف المقابل والأسباب النفسية لذلك، وإذ تصف الآية الأولى هذا القرآن بالحكمة، وإذ كان في ذلك دعوة لاتباع كتاب الله؛ فإن الكلام عن حكمة الله وعن إيتاء الله الحكمة لخلقه، يأخذ حيزاً من السورة، وكأنه يشير إلى أن مقتضى اتصاف الله بالحكمة أن يكون كتابه حكيماً، وإذ كان كتابه حكيماً فإن ذلك يقتضي من الإنسان اتباعه.

"وفي وسط السورة يأتي الكلام عن لقمان، وإيتائه الحكمة، ويعرض القرآن لنا نماذج من وصاياه الحكيمة، التي تتسجم مع موضوع السورة، ومن ثم حديث عن عن نعمه تعالى التي تقتضي شكراً، والشكر يقتضي اتباع كتاب الله، وهكذا من خلال الكلام عن الحكمة والنعمة تعمق السورة موضوع اتباع الكتاب والشروط اللازمة لهذا الاتباع، وقصة لقمان في الوسط تأتي لتضيء ما قبلها وما بعدها، وتأتي لتكون أنموذجاً لما قبلها وما بعدها.

ومن ثم فدورها كبير في السورة، ومع تعميق اتباع الكتاب من خلال الحكمة والنعمة تختتم السورة بالكلام عن علم الله المحيط، وذلك من خلال ذكر مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وفي هذا كله دعوة لاتباع كتاب الله ،

فإذا كان الله تعالى وحده هو الذي يعلم الغيب فهذا يعني أنه لا أحكم منه ولا أعلم، ومن ثم فلا أحكم من كتابه.

وتابع: "كنا ذكرنا من قبل أن أي سورة عندما تفصل في محور من سورة البقرة فإنها تفصل في هذا المحور وفي امتدادات معانيه في سورة البقرة، ولقد جاء في سورة البقرة قوله تعالى: **ر ر ن ا ن ه نو نوو** ئى. ر ، وإيتاء الله الحكمة مرتبط بإيتائه الكتاب، ومرتب بتوفيق الله للإنسان، وسورة لقمان تفصل في هذا وهذا، فقد وصف الله كتابه بالحكمة، وأعطانا نموذجاً على إيتائه الحكمة لعبده من عباده **ر أ ب ب ب د ث ر** ، ففي السورة نموذج للحكمة في الكتاب، ونموذج للحكمة عند الحكيم، وفي السورة تعريف على ماهية الحكمة، وفي السورة بيان لما ينبغي أن يقابل الإنسان به نعمة الحكمة من شكر^(١).

وفي تفصيله الارتباط بين مقدمتي السورتين ومقارنته بينهما، وتذكيره أن محور سورة لقمان هو الآيات الأولى من سورة البقرة، قال الأستاذ سعيد حوى إنه قد جاء في مقدمة سورة البقرة قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَفْبَحْنَا لَكَ أَنَّكَ بِالْأُولَىٰ مِنْ أَوَّلَىٰ﴾، بقابل هذا في سورة لقمان ﴿ثُمَّ أَفْبَحْنَا لَكَ أَنَّكَ بِالْأُولَىٰ مِنْ أَوَّلَىٰ﴾، لقد جاء وصف

(١) حوى، سعيد، الأساس ، (8/ 4305 - 4307)، بتصرف.

الله^(١)، في قوله تعالى: زُيِّنَ لَهُ نُوْمُهُ نَوْمًا مُّوْسَوًى يَّسْرًا يُدْخِلُ فِيهِ النَّجْوَى

نَحْنُ نَمْنُنِي بِجَحِيمٍ بِحَبِيمٍ يٰ

٤) ارتباط سورة السجدة مع سورة البقرة

أول البقرة: زَأ ب ب ب پ پ پ ز، وأول لقمان: زَأ ب ب ب پ پ پ ز، وأول السجدة زَأ ب

[illegible]

وفي هذا يقول الأستاذ سعيد حوى: "لاحظ أن كلمة : ث پ ث الواردة في آية البقرة وردت في سورة لقمان

ولم ترد في سورة السجدة، وأن كلمة : ژ ب پ پ ڀ ژ وردت في أول السجدة ولم ترد في أول لقمان، وإن

فسورة السجدة تكمّل التفصيل للآية الأولى من البقرة: هذه تفصيل بشكل أخص في موضوع الاهتداء، وهذه

تفصل بشكل أخص في موضوع الريب، ومن مثل هذا ندرك صحة اتجاهنا في فهم الوحدة القرآنية، وفي فهم

السياق الخاص لكل سورة، وفي فهم التكامل بين السور^٢.

فالسورة وبالذات مقدماتها تلاحق الرب والشك، ثم تبين حكمة إنزال القرآن، ثم تمضي السورة تحدثنا عن الله بما

يزيدنا معرفة به، وفي ذلك تدليل على أنه لا بد من وحي؛ ومن ثم فلا يستغرب أن ينزل الله هذا القرآن، وفي

السورة حديث عن علامة الإيمان الجازم، كما أوردتها آية السجدة، ثم موازنة بين فريق المؤمنين وفريق

الكافرين، وما أعد الله لكل منهما^(٣)، على غرار ما جاء في مقدمة البقرة.

المطلب الثالث

التناسب بين أول المجموعة وآخرها (البقرة والسجدة)

(١) حوى، السابق، (8 / 4345 - 4346)، بتصرف

(٢) حوى، السابق، (٨ / 4346).

(٣) حوى، السابق، (٨ / 4351).

218

والخلافة تستلزم وجود القادة والأئمة على مستوى الأفراد وعلى مستوى الجماعة، وقد اقتضت حكمته سبحانه أن لا تكون إمامة حتى يكون ابتلاء، ومن أوضح الآيات في ذلك قوله تعالى في سورة البقرة **ثُمَّ هَدَىٰ لَهُ سُبُلَ الْبِرِّ** **وَوَعَدَ الْوَفَىٰ**، ومن قبل قوله سبحانه في حق بني إسرائيل **ثُمَّ آتَيْنَاهُم آلِهَةً مِمَّا كَفَرَوا** **وَوَعَدَ الْوَفَىٰ**، ويلاحظ أن الجار والمجرور (من ربكم) قد توسطاً بين الموصوف وصفته (بلاء) و (عظيم)، لفتاً لبني إسرائيل إلى أن هذا البلاء العظيم، مع كونه على يد فرعون، فإنه من ربهم - بعلمه وإذنه وحكمته - أي فيه معنى التربية والترقية لهم، إعداداً لهم وتهئية للمهمة المنوطة بهم.

الخلاصة والتوصيات

وبعد، فقد كانت تلك محاولة متواضعة للكشف عن بعض أوجه التناسب القرآني عامة، والتناسب في سورة البقرة على وجه الخصوص، حيث سعت الدراسة إلى التعريف بسورة البقرة، وعلم المناسبات في القرآن الكريم، وأبرز المشتغلين بهذا العلم، وأجابت عن شبهات المعارضين، ثم عرّفت بجوانب أهمية هذا العلم، وانتقلت إلى أوجه التناسب القرآني وأنواعه، ثم عرضت لأوجه التناسب الداخلية في سورة البقرة، فأوجه التناسب الخارجية للسورة الكريمة مع غيرها.

الخلاصة:

وقد خلصت هذه الدراسة إلى النقاط الآتية:

(١) أن فكرة التناسب القرآني قديمة قدم القرآن نفسه، ولطالما لفت النبي μ المسلمين إلى التعامل مع القرآن

الكريم باعتباره وحدة واحدة، وتنبه الصحابة ومن بعدهم إلى أهمية السياق في التوصل إلى الفهم الصحيح للنص القرآني؛ والمعاني الإضافية التي يفيدها ترتيب آي القرآن وسوره، وانطلقوا في تفسيراتهم وتأويلاتهم منها، ولعل ضعف السليقة العربية في العصور التالية من جهة، وتركيز الكثيرين على التفصيلات والتفريعات النحوية والفقهية وغيرهما، مما أدى إلى غياب النظرة الكلية لآيات القرآن الكريم وسوره.

(٢) بعدما رصد البحث تطور فكرة المناسبة من الشعور بوجودها والتمثيل لها والاستدلال عليها، وما رافق ذلك من جدل أو معارضة، أو قلة اكتراث وتفاعل، فقد خلص إلى أن جل المعارضين لا يعارضون مبدأ التناسب، وإنما يعارضون ما يرونه تكلفاً، وأن تراوح المناسبات بين الوضوح والغموض، قد ساهم في ذلك، وأن الحديث عن التناسب لم يكن دائماً ينطلق من منهجية علمية مبنية على العلوم اللغوية وغيرها.

(٣) أن في تفسير الطبري كثيراً من الوقفات في الربط بين أجزاء السورة من خلال أدوات الربط وعلى رأسها حروف العطف، أو من خلال ما أسماه الكلام المحذوف الذي ترك لظهوره، وإن لم يستخدم مصطلح التناسب أو مرادفاته.

(٤) أن الفخر الرازي هو أبرز من فتح الباب واسعاً لفهم النظم القرآني، ولم يقارب جهوده أحد حتى جاء البقاعي واستوعب ما قيل قبله، وكان عمله في نظم الدرر هو الأوسع والأشمل؛ حيث تحدث عن النظم بدءاً من أجزاء الآية الواحدة وصولاً إلى الحديث عن التناسب في القرآن الكريم جميعه بوصفه كتاباً واحداً، مروراً بالتناسب بين الآيات ثم التناسب بين أجزاء السورة، فالتناسب بين السور.

(٥) أكدت الدراسة توقيفية ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، بعدما كانت انطلقت منها ابتداء.

(٦) عزز البحث حقيقة الوحدة الموضوعية في سورة البقرة، من خلال تناسب خاتمتها مع بدايتها، واسمها مع محورها، والتناسب في قصصها، وكذا تناسب فواصلها، وتميزها بمفردات خاصة بها.

(٧) أن الموضوع الرئيس لسورة البقرة هو كتاب التكليف بالخلافة، وهو الأمر الذي أُسكن لأجله آدم p وبنوه الأرض، وهو ضمن الوسع، وقد حمل الراية زمن إبراهيم عليه السلام والصالحون من ذريته من نسل إسحق ويعقوب عليهم السلام، ثم توقفت الإمامة فيهم، بل ولم يعودوا يصلحون لمجرد الطاعة والاتباع لمحمد p ، وقصة البقرة تدل على ذلك، وتدل على البعث الذي فيه يحاسب الناس على قيامهم بالتكليف أو تقصيرهم فيه، والإيمان بل الإيقان به مهم جداً للقيام بحق الخلافة.

٨) عزز البحث ما ذكره العلماء من التناسب بين سورة البقرة وكل من سورة الفاتحة، وآل عمران، والفرق، ومجموعة (الم)، بل وسائر السور القرآنية، وبالتالي مركزية السورة بالنسبة لباقي المصحف؛ كونها في أوله وكونها بعد الفاتحة، ما يؤكد اعتبارها أمماً ثانية للقرآن الكريم بعد الفاتحة.

٩) عزز البحث فكرة الوحدة القرآنية، وما كان كرره السابقون من أن القرآن كالكلمة الواحدة؛ ذلك أن مقتضى وجود المناسبة بين كل سورة والتي تليها يؤدي إلى الاتصال القرآني من أوله إلى آخره، فضلاً عما سبق ذكره من الاتصال بين سورة البقرة ومجموعة (الم)، والتناسب بين سور المسبحات والطواشين والحواميم وغيرها، وكذلك مركزية سورة البقرة لما بعدها من السور الكريمة حتى نهاية المصحف.

التوصيات:

١) يرى الباحث أن ما أورده الإمام الرازي عن المناسبة يستحق الأفراد بالبحث والدراسة، ويحتمل أن تُكتب فيه الرسائل الجامعية، بل إن (تناسق الدرر) للسيوطي، على صغر حجمه، جدير بأن يستخلص منه نظريته في المناسبة.

٢) وتفسير البقاعي مع تعدد الدراسات حوله، فإنه لم يُقرأ بعد، ويتسع للمزيد، وكذلك فإن نظرية سعيد حوى في الوحدة القرآنية ومركزية سورة البقرة، تستحق النظر والدراسة.

٣) ويرى الباحث كذلك أن في كتب التفسير - حتى تلك التي لم تتخصص في المناسبة - الكثير من الدرر المنثورة أو المنظومة، في موضوع التناسب، ما يستدعي إطالة النظر وكثرة المطالعة فيها، وعلى رأس هذه الكتب تفسير الطبري.

٤) يرى الباحث أن هناك عدداً من القضايا والعناوين الفرعية في هذه الرسالة تستحق أن تفرد برسائل مستقلة؛ وعلى رأسها ارتباط أسماء السور بمحاورها الرئيسية، وكذا أوائل السور وأواخرها، وفواصلها، ومجموعات السور ذات الفواتح المتشابهة، مع التأكيد على أن ما أورده الباحث عن فواصل البقرة، أو ارتباط السور المفتحة ب(الم)، لا يعدو كونه تحويمات ومقاربات بحاجة إلى المزيد من البحث والتحقيق.

٥) يرى الباحث أن هذه الأطروحة، شأنها شأن الكثير من الدراسات حول التناسب القرآني والوحدة الموضوعية في سوره، لم تفد على الوجه الأكمل، من التراث البلاغي والنقدي العربي، ولا من البحوث اللغوية المعاصرة، وبضمنها علم اللغة النصي، وتحليل الخطاب، وغيرها، وقد تنبه الباحث متأخراً إلى أهمية اعتماد

تلك المناهج التحليلية، ما يعني ضرورة الالتفات إلى هذا الجانب، مع تجنب التكلف في التحليل، أو المقايسة الآلية والرياضية الجافة.

هذا ولا يدعي الباحث أنه قد وفى الموضوع حقه من البحث والدراسة، وإذا كان قد قصر في شيء منه أو عجز عن الوفاء بما يستوجبه من الاستقراء والتحليل، أو التحقيق والتمحيص؛ فعذره أنه قد بذل غاية ما يستطيع في التقصي والاسترشاد، وأن الطريق الذي نهج لم يكن في كل مسالكه مطروقا، ولم يكن يجد دائما من يأتم به في سيره، فضلاً عن أن القرآن الكريم لا تتقضي عجائبه ولا يزال يتفجر عن بحار من المعاني، تفنى الأعمار عن متابعتها، بله تضمينها للدراسة.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل كاتبه وقارئه وكل من كان له فيه سهم، آمين.

المصادر والفهارس

- مسرد الأحاديث النبوية الشريفة
- مسرد الأعلام
- المصادر والمراجع

(1) مسرد الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث الشريف	صفحة الورود
1	اقْرءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ...	3
2	إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ...	4، 9
3	انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى...عَلَّمَا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ	6، 174
4	يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ ..	9
5	يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟...	9
6	سَمِعَ نَقِيبُضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ...عَبَّيْنَا جَبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ	9
7	الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّاهُ...	9
8	لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ...	10
9	يا عباس! ناد قل: يا أصحاب السمرة يا أصحاب سُورَةِ الْبَقَرَةِ...	10
10	أَصْغَرُ السِّتَةِ الَّذِينَ وَفَدُوا عَلَيْهِ مِنْ تَقِيفٍ.. وأنا والله استعملني رسول	10
11	، وقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟علما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله	15
12	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج	48
13	احفظِ الله يحفظك: أعلمك كلمات كنت خلف رسول الله يوماً ، فقال : يا غلام ، ألا	49
14	مَنْ حَفَظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ	75
15	رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ ، فَإِذَا هُوَ مَا أَصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أَحَدٍ	126
16	إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ،	127
17	إنما تأولون هذه الآية هكذا أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة ، أو يبلي من نفسه ؛ إنما نزلت فينا معشر الأنصار	128

173	قسمت الصلاة بين وبين عبدي ولعبدى ما سأل	18
176	قويها لا يأخذ ضعيفها حقه من يقدر الله أمة كيف	19
176	الحمْدُ لواءُ أنا سيّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فخرَ ، وببدي	20
196	كنا أصحاب محمد نتحدث أن أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت ، الذين جاوزوا معه النهر	21
196	إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن	22
182	أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك	23
201	أعطيت مكان التوراة	24
176	خير يوم طلعت فيه الشمس	25

(2) مسرد الأعلام

الرقم	العَلَمُ	أرقام الصفحات
١.	أبي بن كعب	9

٢٠	أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي، ابن تيمية	15، 44، 63، 68
٢١	أبو إسحق الشاطبي	18
٢٢	أسلم بن يزيد	126
٢٣	أبو الأعلى المودودي	121
٢٤	أبو أمامة الباهلي	3
٢٥	امرؤ القيس	71
٢٦	أبو أيوب الأنصاري	126
٢٧	بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي	5، 17، 21، 22، 36، 37، 45، 105، 137، 138
٢٨	برهان الدين البقاعي	س، ش، ض، ط، 13، 17، 22، 28، 29، 30، 32، 38، 42، 45، 65، 72، 77، 99، 103، 106، 111، 132، 164، 175، 186، 190، 198، 219، 220
٢٩	أبو بكر السخاوي	30
٣٠	أبو بكر بن العربي المالكي	32
٣١	أبو بكر النيسابوري	16، 43
٣٢	بلاشير	51
٣٣	جار الله محمود بن عمر الزمخشري	20، 57، 70
٣٤	أبو جعفر بن الزبير	21
٣٥	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري	16، 18، 40، 61، 62، 96، 221

١٨.	جلال الدين السيوطي	ص، 3، 5، 7، 17، 22، 32، 33، 36، 102، 103، 105، 168، 170، 178، 179، 197، 198
١٩.	أبو الحسن الماوردي	121
٢٠.	الحسين بن مسعود الفراء البغوي	7
٢١.	حميد الدين عبد الحميد الأنصاري الفراهي	13، 23، 25، 34، 40، 42، 44، 65
٢٢.	أبو حيان الأندلسي	56، 57
٢٣.	خالد بن معدان	4
٢٤.	الزبير الكلابي	214
٢٥.	سعيد حوى	25، 42، 50، 65، 197، 198، 199، 200، 201، 204، 202، 207، 208، 221
٢٦.	سيد قطب	24، 33، 45، 65، 86، 105، 134،
٢٧.	عبد الرحمن بن خالد بن الوليد	126
٢٨.	عبد القاهر الجرجاني	14، 19، 20
٢٩.	عبد الكريم الخطيب	72
٣٠.	عبد الله بن مسعود	4
٣١.	عبد الملك بن قريب الأصمعي	58
٣٢.	عثمان بن أبي العاصم الثقفي	10
٣٣.	عز الدين بن عبد السلام	27، 29، 30، 35

٣٤.	أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني	٨، ٥
٣٥.	الفخر الرازي	٨٧، ٧٧، ٤٣، ٤٢، ٢١، ٢٠، ٢١٩، ١٠٦، ١٠١، ٩٥، ٨٨
٣٦.	أبو الفداء إسماعيل بن كثير	١١٢، ٨١
٣٧.	ابن القيم	٢٠٠، ١٢٢، ١٢١، ٦٨
٣٨.	كثير بن عباس بن عبد المطلب	١٠
٣٩.	كعب بن زهير	٧١
٤٠.	كمال الدين الزمكاني	١٧
٤١.	محمد البيهقي	٧٣
٤٢.	محمد أبو زهرة	٥٩
٤٣.	محمد عبد الله دراز	١٦٠، ٤١، ٤٠، ٢٤، ٢٣،
٤٤.	محمد بن علي الشوكاني	٤١، ٣٩، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٧، ٨٧، ٧٧، ٤٢، ٦١
٤٥.	محمد بن غانم	٣٩
٤٦.	محمود البستاني	٢٦
٤٧.	محمود بن حمزة الكرمانلي	٨٣
٤٨.	محمود شلتوت	٨١
٤٩.	أبو مسعود البدراني	٩
٥٠.	مصطفى صادق الرافعي	٣٥
٥١.	نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري	٧٦، ٦٦
٥٢.	النواس بن سميان العامري	٩
٥٣.	نولدكه	٥١
٥٤.	ولي الله الملوي المنفلوطي	١٧

10	أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي	٥٥.
----	-------------------------------------	-----

(3) قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المطبوعة

القرآن الكريم.

١. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه وعلق عليه كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.
٢. ابن الأثير، عز الدين الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1418هـ - 1997م.

٣. ابن الأثير، عز الدين، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م.
٤. الأندروني، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ - 1977م.
٥. الإفريقي، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت ط 1، 1300هـ.
٦. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح "الجامع الصغير وزيادته"، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1408هـ - 1988م.
٧. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، 1415هـ - 1995م.
٨. الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، دط، 1414هـ - 1994م.
٩. الأندلسي، ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م.
١٠. أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1972م.
١١. باجودة، حسن محمد، تأملات في سورة البقرة، مكتبة مصر، د. ط، 1992م.
١٢. بازمول، محمد بن عمر، علم المناسبات بين السور والآيات، ويليهِ: مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ - 2002م.
١٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ط، 1419هـ - 1998م.
١٤. بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، ط 3، 1370هـ - 1950م.
١٥. البستاني، محمود، التفسير البنائي www.u-of-islam.net.
١٦. البسومي، باسم، معجم الفرائد القرآنية، مركز نون للأبحاث والدراسات القرآنية، ط1، 1422هـ - 2001م.

١٧. ابن بشكوال، الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة وبيروت، دت، دط.
١٨. البغوي، الحسين بن مسعود، (436-516هـ)، شرح السنة، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1403هـ - 1983م.
١٩. البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1995م..
٢٠. البهي، محمد، تفسير سورة الأنعام، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1394هـ - 1974.
٢١. البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.
٢٢. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ - 1985م.
٢٣. البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ - 1990م.
٢٤. البيومي، محمد رجب، البيان القرآني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1421هـ - 2001م.
٢٥. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، بتحقيق وشرح أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط 1، 1356هـ - 1937م.
٢٦. التوبة، غازي، أبو الأعلى المودودي، فكره ومنهجه في التغيير، دار البشير، عمان، ط1، 1417هـ - 1996م.
٢٧. ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموعة الفتاوى، دار الوفاء بالمنصورة، ومكتبة العبيكان بالرياض، ط1، 1418هـ - 1997م.
٢٨. ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق عصام الحرساني، ومحمد شكور، دار عمار، عمان، ط1، 1418هـ - 1997م.

٢٩. الجابري، محمد عابد، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2006م، بتصرف.
٣٠. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز**، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط3، 1413 هـ - 1992 م.
٣١. جرار، بسام نهاد، **إعجاز الرقم 19 في القرآن الكريم**، المؤسسة الإسلامية، بيروت، ط2، 1414 هـ - 1994 م.
٣٢. الجرمي، إبراهيم، **معجم علوم القرآن**، دار القلم، دمشق، ط1، 1422 هـ - 2001 م.
٣٣. الحارثي، عبد الوهاب أبو صفية، **دلالة السياق: منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم**، عمان، دن، ط1، 1409 هـ - 1989 م.
٣٤. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت، ط 4، 1406 هـ - 1986 م.
٣٥. حامد، التيجاني عبد القادر، **أصول الفكر السياسي في القرآن المكي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ودار البشير، فرجينيا وعمان، ط1، 1416 هـ - 1995 م.
٣٦. الحسنوي، محمد، **الفاصلة في القرآن**، دار عمار، عمان، ط2، 1421 هـ - 2000 م.
٣٧. الحسيني، أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري: **جواهر البيان في تناسب سور القرآن**، عالم الكتب، بيروت، 1406 هـ - 1986 م.
٣٨. الحنبلي، ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1419 هـ - 1998 م.
٣٩. الحنبلي، ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1409 هـ - 1988 م.
٤٠. الحفني، عبد المنعم، **موسوعة القرآن العظيم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2004 م.
٤١. حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، دار السلام، مصر، ط2، 1409 هـ - 1989 م.
٤٢. حوى، سعيد، **هذه تجربتي وهذه شهادتي**، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1407 هـ - 1987 م.

٤٣. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، (654-745هـ)، البحر المحيط في التفسير ، دار الفكر، بيروت، 1413هـ - 1992م.
٤٤. خالد، عمرو، خواطر قرآنية، نظرات في أهداف سور القرآن ، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ - 2004م.
٤٥. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي، بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، عمان، ط 1، 1418هـ - 1997م.
٤٦. الخالدي، صلاح، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط 1، 1411هـ - 1991م.
٤٧. الخالدي، صلاح، القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ - 1998م.
٤٨. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مدخل إلى ظلال القرآن، دار المنارة، جدة، ط1، 1406هـ - 1986م.
٤٩. الخضري، محمد الأمين، من أسرار المغامرة في نسق الفاصلة القرآنية ، دن، د.ط، القاهرة، 1414هـ - 1994م، القاهرة.
٥٠. الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1970م.
٥١. الخطيب، محمد بن كمال، ابن شهيد ميسلون، نظرة العجلان في أغراض القرآن، المطبعة العصرية، دمشق، 1365هـ.
٥٢. الدارمي، الحافظ أبو محمد بن عبد الله، السنن، تحقيق فواز زمولي، وخالد العلمي، دار الريان للتراث بالقاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م.
٥٣. الداني، أبو عمرو (371-444هـ)، البيان في عد آي القرآن ، تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط1، 1414هـ - 1994م.
٥٤. الداودي، الحافظ شمس الدين محمد بن علي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي أحمد عمر، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط 2، 1415هـ - 1994م.
٥٥. دراز، محمد عبد الله (ت 1958م)، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، ط2، 1390هـ - 1970م.

٥٦. الدغامين، زياد، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دار البشير، عمان، ط 1، 1416هـ - 1995م.
٥٧. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط2، 1396هـ - 1976م .
٥٨. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، حقق بإشراف، شعيب الأرناؤوط وأكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1990م.
٥٩. الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، دن، دت، دط. عن/المكتبة الوقفية، www.waqfeya.com.
٦٠. الرازي، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة-الرياض، ط1417، 1هـ - 1997م.
٦١. الرازي، محمد ابن أبي بكر، مختار الصحاح، دار عمار، عمان، ط1، 1417هـ - 1996م.
٦٢. الرازي، الفخر محمد بن عمر بن الحسين، الشافعي، (544-606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1417هـ - 1997م.
٦٣. الراشد، محمد أحمد، منهجية التربية الدعوية، دار المحراب، كندا، ط1، 1422هـ - 2002م.
٦٤. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ - 1997م.
٦٥. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1381، 7هـ - 1961.
٦٦. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ - 1993م.
٦٧. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، د. ط، 1414هـ - 1994م.
٦٨. ابن الزبير، أبو جعفر، ملاك التأويل، تحقيق محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1405هـ - 1985م.

٦٩. الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تخريج وتعليق مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، لبنان، ط1، 1988م.
٧٠. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986م.
٧١. الزجاج، أبو إسحق إبراهيم بن السري (ت211هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1414هـ - 1994م.
٧٢. الزمخشري، محمود بن عمر، (476-538هـ)، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م.
٧٣. أبو زهرة، محمد، أصول الفقه، دار الفكر العربي، بيروت، د. ط، د.ت.
٧٤. أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، مصر، د. ط، د.ت.
٧٥. أبو زيد، أحمد، التناسب البياني في القرآن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 19، المملكة المغربية، 1990م.
٧٦. السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1418هـ - 1998م.
٧٧. سبحاني، محمد عناية الله أسد، إمعان النظر في نظام الآي والسور، دار عمار، عمان، ط1، 1424هـ - 2003م.
٧٨. سبحاني، البرهان في نظام القرآن، في الفاتحة والبقرة وآل عمران ، دار عمار، عمان، ط 1، 1426هـ - 2005م.
٧٩. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، (831 - 902 هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ - 2002م.
٨٠. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1999م.
٨١. سعيد، محمد رأفت، سورة لقمان بين كلمة التنزيل وتناسب الترتيب ، دار المنار، القاهرة، د.ط، 1412هـ - 1992م.
٨٢. السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1414هـ - 1993م.

٨٣. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي، *الروض الأنف*، مكتبة الكليات الأزهرية، 1971م.
٨٤. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، *الإتقان في علوم القرآن*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1415هـ - 1995م.
٨٥. السيوطي، جلال الدين، *تناسق الدرر في تناسب السور*، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1406هـ - 1986م.
٨٦. السيوطي، جلال الدين، *طبقات المفسرين*، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1396هـ - 1976م.
٨٧. السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1408هـ - 1988م.
٨٨. الشاطبي، إبراهيم اللخمي، (790هـ)، *الاعتصام*، دار الرحمة، مصر، ط 1، 1408هـ - 1988م.
٨٩. الشاطبي، *الموافقات في أصول الشريعة*، شرحه وخرج أحاديثه عبد الله دراز، ووضع تراجمه، محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.
٩٠. الشعراوي، محمد متولي، *تفسير الشعراوي*، دار أخبار اليوم، مصر، 1991م، د. ط.
٩١. شلتوت، محمود، *تفسير القرآن الكريم*، الأجزاء العشرة الأولى، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ط 7، 1399هـ - 1979.
٩٢. الشوكاني، محمد بن علي، *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1419هـ - 1998م.
٩٣. الشوكاني، محمد بن علي، *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، مختصراً، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، ط 2، 1418هـ - 1997م.
٩٤. الطباطبائي، محمد حسين، *الميزان في تفسير القرآن*، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 1، 1417هـ - 1997م.
٩٥. الطباع، إياد خالد، *الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي*، دار القلم، دمشق، ط 1، 1417هـ - 1996م.

٩٦. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط2، الزهراء الحديثة بالموصل، 1405هـ - 1984م.
٩٧. الطبري، أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (224 - 310هـ) دار الفكر، بيروت، 1415هـ - 1995م.
٩٨. الطراونة، سليمان، دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية، دن، ط1، عمان، 1413هـ - 1992م.
٩٩. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، د.ط، 1997م.
١٠٠. عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، عمان، ط1، 1418هـ - 1997م.
١٠١. عباس، فضل، وعباس، سناء فضل، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، 1991م.
١٠٢. عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها/ علم البيان، دار الفرقان، عمان، ط2، 1996م.
١٠٣. عباس، فضل حسن، خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمانة، دار الفرقان، عمان، ط2، 1418هـ - 1997م.
١٠٤. عباس، فضل حسن، القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان، ط1، 1985م.
١٠٥. عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل - بيروت، د. ط، د.ت.
١٠٦. ابن عبد السلام، عبد العزيز، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، وبذيله: تَبَذُّ من مقاصد القرآن الكريم"، تحقيق محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ - 1995م.
١٠٧. أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تحقيق وهبي سليمان غاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1991م.
١٠٨. ابن عساكر، علي بن الحسن الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1415هـ - 1995م.
١٠٩. العسقلاني، أحمد بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ - 1997م.
١١٠. العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ - 1995م.

١١١. العسقلاني، ابن حجر (ت 852هـ)، **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م.
١١٢. العسقلاني، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416هـ - 1996م.
١١٣. العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، (773-852هـ)، دار الفكر، بيروت، د. ط، د.ت.
١١٤. العظم، يوسف، **رائد الفكر الإسلامي، الشهيد سيد قطب**، دار القلم، دمشق، ط 1، 1400هـ - 1980م.
١١٥. عكاوي، د. إنعام، **المعجم المفصل في علوم البلاغة**، دار الكتب العلمية، ط1، 1992م.
١١٦. العلمي، عبد الله، **مؤتمر تفسير سورة يوسف**، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1969م.
١١٧. علي، جواد، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت، 1976م.
١١٨. العلي، إبراهيم محمد، **صحيح أسباب النزول**، دار القلم، دمشق، ط1، 2003م.
١١٩. العمري، أكرم ضياء، **السيرة النبوية الصحيحة**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 5، 1413هـ - 1993م.
١٢٠. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ط1، دار الفكر، بيروت، 1415هـ - 1994م.
١٢١. فاندليك والبستاني، ترجمة منقحة، **الكتاب المقدس**، منشورات نداء الرجاء، شتوتغارت، ألمانيا، 1991م.
١٢٢. الفراهي، عبد الحميد، **التكميل في أصول التأويل**، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند.
١٢٣. الفراهي، عبد الحميد، **دلائل النظام**، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند، 1388هـ.
١٢٤. فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1984م.
١٢٥. الفقي، صبحي إبراهيم، **علم اللغة النصي**، دار قباء، القاهرة، د.ط، 2000م.
١٢٦. القاسم، محمد أحمد يوسف، **الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره**، دار الطبوعات الدولية، مصر، ط 1، 1399هـ - 1979م.

١٢٧. القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ - 1997م.
١٢٨. ابن قتيبة، أبو محمد مسلم، تأويل مشكل القرآن، المكتبة العلمية، بيروت، ط2، 1981م.
١٢٩. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، لبنان، د ط، 1415هـ - 1995م.
١٣٠. القشيري، مسلم بن الحجاج، الصحيح، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د ط، 1419هـ - 1998م.
١٣١. قطب، سيد، (1906-1966م)، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة و بيروت، ط 8، 1403هـ - 1983م.
١٣٢. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة/بيروت، ط26، 1418/1997م.
١٣٣. قطب، محمد، دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة ط 7، 1993م.
١٣٤. القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1415هـ - 1995م.
١٣٥. القيرواني، ابن رشيق، العمدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، ط 5، 1981م.
١٣٦. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الدمشقي، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، دت.
١٣٧. ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، 1414هـ - 1994م.
١٣٨. ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، دت.
١٣٩. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1966م.
١٤٠. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، 1388هـ - 1969م.
١٤١. الكرمانلي، محمود بن حمزة، البرهان في توجيه متشابه القرآن (أسرار التكرار في القرآن، كما سماه المحقق)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، دت.
١٤٢. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، 1395هـ - 1975م.
١٤٣. الماوردي، علي بن محمد، (ت450هـ) النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، د ط.

١٤٤. آل مبارك، فيصل بن عبد العزيز، توفيق الرحمن في دروس القرآن، حققه عبد العزيز آل حمد، دار
العليان ودار العاصمة، السعودية، ط1، 1416هـ - 1996م.
١٤٥. المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، المكتبة السلفية،
المدينة المنورة، ط2، 1406هـ - 1986م.
١٤٦. محمد، يسري السيد، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، الدمام،
ط1، 1414هـ - 1993م.
١٤٧. مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ - 2004م.
١٤٨. المرسى، كمال الدين عبد الغنى، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث - الإسكندرية، ط
1، 1420هـ - 1999م.
١٤٩. مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط1، 1410هـ - 1989م.
١٥٠. المصري، ابن أبي الإصبع، تحرير التحرير، تحقيق حنفي محمد شرف، منشورات لجنة إحياء التراث
الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، دط، 1416هـ - 1995م.
١٥١. مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط2، 1996م.
١٥٢. مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1981م.
١٥٣. المكي، ابن عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، مجموعة رسائل جامعية، بإشراف مركز بحوث
جامعة الشارقة، سلسلة النشر العلمي، رقم (38)، الشارقة، ط1، 1427هـ - 2006م.
١٥٤. المودودي، أبو الأعلى، تفهيم القرآن، " الجزء الأول"، تعريب أحمد يونس، دار القلم، الكويت، ط 1،
1398هـ - 1978م.
١٥٥. موسى، محمد السيد، الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول، موقع صيد الفوائد.
١٥٦. أبو موسى، محمد محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، مكتبة وهبة/ القاهرة، ط 2،
1408هـ - 1988م.
١٥٧. الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ -
1988م.

١٥٨. الندوي، أبو الحسن علي الحسني، تأملات في القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط 1، 1411هـ - 1991م.
١٥٩. نوفل، أحمد، سورة يوسف: دراسة تحليلية، دار الفرقان، عمان، ط 1، 1409هـ - 1989م.
١٦٠. النووي، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1347هـ - 1929م.
١٦١. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1416هـ - 1996م.
١٦٢. يوسف، محمد خير، تنمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، ط 2، 1422هـ - 2002م.

ثانياً: الرسائل الجامعية

١٦٣. الدراويش، حسين، النظم القرآني في سورة البقرة، دراسة في الدلالة والأسلوب، رسالة دكتوراه، في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، 1986م.
١٦٤. الشاعر، تميم كمال، منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين أقوال المفسرين، رسالة ماجستير في أصول الدين بجامعة النجاح الوطنية، 2004م.
١٦٥. الشرقاوي، أحمد، نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس في التفسير ، رسالة ماجستير في أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، جامعة الأزهر، 1994م.
- www.saaaid.netwww.tafsir.net,
١٦٦. طقش، رهام يعقوب، الروابط اللفظية في سورة البقرة، دراسة نحوية دلالية إحصائية، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة القدس، 2003م.
١٦٧. مالكي، فرج عبد الحسيب، عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية، دراسة في النص الموازي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 1424هـ - 2003م.
١٦٨. مشاهرة، مشهور موسى، التناسب القرآني عند الإمام البقاعي - دراسة بلاغية، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، 2001م.

١٦٩. نواهضة، إسماعيل الحاج أمين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور دراسة وتحقيق ، للمقدمة
وسورتي الفاتحة والبقرة، رسالة دكتوراه، من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، 1403هـ -
1983م.

١٧٠. اليازجي، صبحي رشيد، الوحدة الموضوعية بين عبد الحميد الفراهي وسيد قطب، رسالة ماجستير
في أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، 2000م.

ثالثاً: المقالات والدوريات

١٧١. الأسطة، عادل، العناوين والنهايات القصصية، في مجموعة توفيق زياد القصصية "حال الدنيا" ،
www.najah.edu-
١٧٢. البستاني، محمود، عمارة السورة القرآنية، www.u-of-islam.net
١٧٣. حسن، سامي عطا، المناسبات بين الآيات والسور، www.saaaid.net.
١٧٤. الشرقاوي، أحمد، موقف الشوكاني من التناسب، عن: موقع صيد الفوائد، وشبكة التفسير.
١٧٥. العلواني، طه جابر، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، www.almultaka.net.
١٧٦. المطوي، محمد الهادي، شعرية العنوان في كتاب " الساق على الساق في ما هو الفاريانق"، مجلة
عالم الفكر، مجلد 28، العدد 1، الكويت، 1999م.
١٧٧. نوفل، أحمد، عطف البدء على الختام في أحسن الكلام، مقال مخطوط.
١٧٨. اليافي، نعيم، قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، ع 15-16 / 1984م،
اتحاد الكتاب العرب دمشق، بتصرف. www.awu-dam.org/trath/ind-turath102.htm.